













الجزء الأول.

المجلد الثامن والعشرون

مَجْلَدٌ

المجمع العلمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٣ م

١٥ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ







## ابرهيم اليازجي

١٢٦٣ - ١٣٢٤ هـ

١٨٤٨ - ١٩٠٦ م

هاجر من حمص أحد أجداد بيت اليازجي سنة ١٦٩٠ وذل قرية كفرشبا من سواحل بيروت ، وكان أهل هذا البيت على مذهب الروم الأرثوذكس فانتحلوا الكشككة ودخل بعضهم في خدمة الدولة العثمانية كاتباً فأطلق عليه اسم « يازيجي » أي الكاتب حرفت بعد فصارت يازجي -

ولد ابرهيم في بيروت وظهرت عليه مخايل النجابة في سن العاشرة وكان أبوه الشيخ ناصيف من رجال النهضة العربية الأولى وله مقام عال في الأدب والشعر . وكان لقب الشيخ في لبنان يطلق على الطبقة التي كانت ترتفع عن العامة وتخط عن طبقة الأمراء .

وتخرج ابرهيم بأبيه في علوم العربية وحفظ القرآن في صباه وأخذ الفقه الحنفي عن الأستاذ محيي الدين الباقي وأولع بالرسم والنقش والحفر وامتاز بمجال خطه . وهو الذي نقش بعد أمهات حروف مجليه البيان والضياء وحروف المطبعة الأدبية وكانت منها حروف معظم المطابع في الشام ومصر :

وتعلم الفرنسية والانكليزية وأخذ بطرف من الألمانية . وقال أحد مريديه في الكلام على اتقانه الفرنسية انه سمعه يقرأ فصولاً استملح عريبتها ثم تبين ان نظره كان يحول في السطور الفرنسية فيلقها لسانه بالعربية الفصحى .

قال لي المترجم له : لو كان لي الخيار لآثرت أن أكون رساماً مصوراً الا انني رأيت الأجدر بي الانصراف الى خدمة اللغة العربية حتى لا يتعلق



بيتاً ياتقراض افراده المعنيين بهذه اللغة فيفوتني شرف خدمتها على ما كان الحظ  
لأبي في هذه الخدمة .

انضم الشيخ في أول شبابه الى الجمعية العلمية السورية فألقى فيها الخطب  
وأشدد القوائد ثم تولى تحرير جريدة النجاح فعبّر المقالات وتوسّل ، فكانت هذه  
الجمعية وهذه الجريدة مدرسته الأولى في البيان والصحافة .

وعهد اليه الآباء اليسوعيون بتقويم ترجمة الأسفار المقدسة وكانت عربت  
عن أصلها العبراني واليوناني عدا ثلاث ترجمات عنزية كانت أمام من قاموا على  
تصحيحها ، وكان تعريب المزامير والانجيل مقيداً بترجمة عبد الله زاهر لشهرة  
نصوصها في المعابد . ففضى الشيخ في هذا العمل ثماني سنين واضطرته معارضة  
الترجمة على المتن الأصلي الى التبحر في بعض اللغات السامية ولا سيما العبرانية  
والسريانية وألف في العبرانية كتاب نحو وصرف نسج فيه على منوال النحو  
العربي وصرفه .

علّم الشيخ دهرأ في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت خلفاً  
لأبيه فتخرجت به طائفة من الأدباء كانت لهم منزلة رفيعة في الآداب . وفي  
سنة ١٨٨٤ نشر بالاشتراك مع الدكتورين بشارة زلزل و خليل سعادة مجلة  
« الطيب » سنة واحدة ثم هاجر الى مصر فأصدر فيها مجلة « البيان » بالاشتراك  
مع الدكتور زلزل سنة واحدة ، واستقل بعد ذلك باصدار مجلة « الضياء »  
وقد اطردها ثماني سنين حتى سنة وفاته . وكانت من أمتع المجلات العربية  
يجمال أسلوبها وطلاوة عبارتها وطرافة أبحاثها . وفي الضياء ظهرت شخصيته ،  
كأن ما كان مضى من حياته العلمية في لبنان قبل أن تصح عنيمته على نشر  
مجلة في مصر كان دور استعداد تجلي بعده نبوغه على أكل حالاته ، وما سبق  
له من نشر آيات علمه وأدبه كان كالمقدمة قدمها بين يدي كتابه الشامل .



بروحي الطيب واليان والضياء توفر على نشر أبحاث متسلسلة استخراج من بعضها  
كتبا برأسها مثل « لغة الجرائد » . ومن أبحاثه المتممة « أمالي لغوية » ،  
« أغلاط العرب » ، « أغلاط المولدين » ، « اللغة العامية واللغة الفصحى » ،  
« اللغة والمصر » ، « أغلاط لسان العرب » ، « المجاز » ، « الشعر » ، « التعريب » ،  
« العلوم عند العرب » الى غير ذلك من المقالات والأبحاث المتممة . ومن كتبه  
« نجعة الزائد في المترادف والموارد » . ومنها اختصار أو تصحيح بعض كتب  
والده كمختصر « نار القري » و « مختصر الجملة » وشرح ديوان المتنبي سماه  
« العرف الطيب » . والى ذلك يشير في آخر هذا الديوان اشارة تتم عن ير  
بوالده قال : « وانا أقيت عنوان الشرح باسمه - باسم أبيه - رعاية لكونه هو  
واضع الأصل فلم أؤثر ان أنطلق عليه في نسبة الكتاب ، وان تطفلت عليه  
في التأليف . واني لأرجو ان يكون قد وهبني الله السلامة في ذلك كله » ،  
وأثرتني من هذا الشرح منزلة توجب استدراار الرحمة على واضعه ، ولا تكون  
مدرجة لنقص برّي به بأن أمر عليه تبعة تلتزمي دونه او ينسب اليّ فضل  
هو أحق به مني . ومعاذ الله أن أدعي لنفسي في جنبه فضلا أو علما فانما أنا  
احتدبت بمناره واقتديت بآثاره ، واني لاعلم لي الا ما علمني » .

ومجموع الشيخ كتبا كثيرة ومنها « تاريخ بابل وأشور » و « نفع الأزهار »  
و « دليل الهائم » و « مخب الملح » و « العقود الدرية » في شرح شواهد المختصر  
و « رسالة القرآن » للمعري و « الفرائد الدرية » وهو معجم عربي فرنسي -  
وقد القسم الذي ترجمه باريه دي مينار من مستعربي الفرنسيين من كتاب  
« صروج الذهب » للمسعودي كما قد تكلمة المعجمات العربية لدوزي - ومعجم  
« محيط المحيط » للبستاني وسماء الحواشي ، ومعجم « أقرب الموارد » للشرتوني ،  
و « الدرة البتية » لشكيب أرسلان ، وناقش أرباب المقنطف فيما وقع لهم  
من الأغلاط وغير ذلك .



وصرف شطراً من حياته في تأليف معجم سماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » قال انه شرع في وضعه مقتصراً على الفصح دوت المولد والمحدث في الاصطلاح لأنه رأى طرفين لا يلتقيان ولا تؤلف منهما حلقتا بطلان ، فضلاً عما يقتضي بحث الطارئ من التجرد والجهد ، واختلاء الذرع للبلوغ الى باحة القصد ، فلا بد من افراد هذا القسم في كتاب مخصوص يحاط به بعد مراجعة الكتاب والنصوص قال : وقد وضعت الكتاب على نسق لم أكن متابعاً فيه ولا مقلداً ، ولا متحدياً ممن سبقني أحداً . فاني اعتبرت فيه جانب المعاني في كل مادة فقدمت منها ما حسبته الأصل في ذلك التركيب ثم ألحقت به ما تفرع عنه من طريق المجاز الأقرب بالأقرب الى أن تنقطع سلسلة الترتيب ، وما بقي بعد ذلك مقتضياً من ذلك النظام ذيلته في آخر المادة وضمتته المشهور من الأعلام ، وكل ذلك على أسلوب مختصر اطرحت فيه الوحشي من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء . وتجنبت ما يستجى منه من الفاظ السوءات ، وما يضاف اليها مما تبتدأ نقوس الأدباء ، وكنت قد بلغت في تسويده الى آخر حرف الحاء المهمة مما يقدر بالربع أو يزيد ا هـ .

أولع الشيخ ببلاغة القرآن . حدثني تلميذه صديقي خليل مطران الشاعر انه كثيراً ما كان يقول لتلاميذه اذا تصدوا للكتابة ونشر المقالات أن يستشهدوا بآيات القرآن ليكون بها رونق لما يكتبون ، أو ما هذا معناه . فمن كان هذا اعتقاده لا يعقل أن يطعن ببلاغة الكتاب العزيز وفصاحته على ما اتهمه بذلك بعض الطوائف من أنه عارض القرآن وحط من شأنه في رسالة له فحله اياها وما هي الا من أقلام بعض دعاةهم .

وكان أعداء الشيخ من الفريق الذي أصلام الشيخ تار تقده مثل صاحبي المتنظف وسميد الشرتوني وشكيب أرسلان وجماعة اليسوعيين ، وعلى مطبوعات



هؤلاء حمل حملة شعواء وكثيراً ما عمد في حوارهم الى السخرية وربما انتهى بعض هذه المناقشات بالمهاترة أحياناً وأدى بعضها الى ما كان يردّ أحباب الشيخ لو تصوّروا عنها . وقيل ان الشيخ كان ينشر أشياء باسم بعض تلاميذه أو باسماء مستعارة غيرهم فيما لا يريد أن ينسب اليه . وهذا أيضاً لا يخلو من تبعة خصوصاً وهو في بعده عن اللغو والتخلي بالقضايا النفسية المثل الأعلى . يد أنه جيّل على حب المطارحات والمناظرات وبها تجلّت ملكته في البيان هذا التجلي الرائع ، اذا أريد التنظير بين كلامه وكلام معاصريه وفي المناقشة التي دارت بينه وبين العلامة احمد فارس كان أكثر اعتدالاً مع أنه كان شاباً وخصمه كان شيخاً . كان الشيخ يألم ممن يرتكب غلطاً لغوياً ألمه ممن يسيء اليه مباشرة فما كان يفتل عن فقد معظم ما كان يهدى اليه من الكتب الجديدة لتقريبه والتبويه بصاحبه ، وكل ذلك حتى لا يبعث باللغة عابث و « كان أقصى أمانيه أن يبيد الى اللغة يهيجتها الأولى ويرد الناقشة من كتاب العصر الى النهج القويم من الاحتفاظ بقواعدها وأصولها المقررة في أمهات المعاجم ، وكتب البلاغة المعروفة بصحة التعبير وفصاحة الألفاظ ، والا يعدل الى المولد الدخيل الا بعد طول البحث والتقيب ، واجماع أهل العلم الواسع من المحققين ، وبعد اليأس من الوقوع على النصيح الأميل . »

وبما كان يحزنه ان اللغة لا تقي بمطالب العلم في هذا العصر ولذلك وضع النفاظ لمسميات افرنجية مري بعضها على أسلات أقلام الكتاب والمصنفين في حياته ، وعرب بعض المصطلحات تعريباً صحيحاً ولو طال به الأجل لاستكثر من كل ما يقيد اللسان العربي حتى يداني بجاذبه العلمية لغات العلم عند الافرنج ويؤدي على أيسر وجه معاني الألفاظ الجاري استعمالها في العلم والاجتماع والفن والصناعة .

قال لي مرة وأنا أسأله رأيه في اللغة العصرية : اني مقتبط بأن اللغة علت بلهجتها ، وقل فيها الابتذال الذي كان لما أول نهضتها ، ويتخللها الآن من النصيح



ما لم يكن يعهد فيها في عصور الانحطاط . وكيف لا يفرح لسمو اللغة وهو من أول العارفين يجرس الأنفاظ ورتتها ويختها وثقلها ، وادراك أجدر المواضع باستعمالها . درج حياته على تصنع كتب البلاء والتقاط الفاظها وتراكيبها الجميلة يتثقل ويدمج في تضاعيف كلامه ما تقضي الصناعة بإدماجه ، يقرنها الى أمثالها بما وعاء صدره ، وبهذا ارتفعت كتابته عن كتابة غيره اذ توفرت لها المادة والقوالب وعرف أساليب الكتاب على إختلاف العصور فبعد عن مستوى غيره .

يعين على ذلك ذوق سامر جمع بين أدب الافرنج والعرب . هذا وهو لم يعالج من فنون الانشاء الا ما أخذ من نفسه ، ولا تتعلق همته على الأكثر بغير الموضوعات الأدبية والتاريخية القريبة المأخذ مما لا يتعاصى تفهمه على من شدوا شتبا من الآداب .

كانت مجلة «الضياء» كتابه الأم حفلت بالفوائد الأدبية واللموية حتى ليستخرج منها عدة كتب ، ومن أم ما ينتزع منها مجموعة جميلة من نقده الأدبي وسخرياته . يستخرج منها أسفار نافعة حري بالناشئة أن تجعلها ممرها في خلوتها وتخذلها أصولاً للبلاغة . وفي مجلته هذه يتثقل لعينيك جهده في انشاؤها وتوفره على اتقان أبحاثها حتى لقد صدته عن النظر في سائر مؤلفاته ومنها معجمه ، ويبدو لناظرك ان صاحبها قد نقى اللغة وغربلها وطحنها ونخلها وعجنها وخبزها فجاء منها بكل لقمة كريمة وحلواء لذيدة .

وكان باب النقد مما يجب مجلة الضياء الى القراء ذلك لأنه كان على مثل اليقين ان أبحاثها لا تخلو من جناف كان يداويه بشيء من الفكاهات والأقاصيص يكتبها له أهل هذا الشأن من تعريبيهم او تأليفهم . والناس أميل الى تلقف ما يسليهم منهم الى الجنوح الى ما يتعلمون منه ، ولو يمحصر أذهانهم دقائق معدودة ، والبحث في الآداب مما يثقل على السواد الأعظم وهم لا عهد لهم بالنظر في هذه الأبحاث ويمدون بها من الأبحاث الجلمدة .

و كانت الضياء تبرز الى قرائها في حلة لبنانية بروحها وموضوعها . اذا قرأها القاري تراءى له انها تكتب في لبنان وتطبع في مصر . وترى منشأها فيها وقد التف حوله تلاميذه وذوو قرياء ومواطنوه من الشاميين يؤازرونه في انشاء مجلته فيما يتقنون من الموضوعات فلا يكاد التأمل يقع بينهم على كثير من النابيين المصريين ينشرون أبحاثهم في مجلته . ولعل العلة في ذلك ابتعاد الشيخ عن الاختلاط بالناس ، فأكثر الشاميين في مصر يعيشون بين الجالية السورية لا يمتزجون بالمصريين كثيراً . على انه يندر يومئذ في المصريين رجال من الطراز الذي تعجب صاحب المجلة كتابته وبجته .

لم ينصرف الشيخ الى الشعر انصرفه للنثر ولذلك بعد من المقلين منه ، استخدمه في أغراض اجتماعية على الأغلب ، كأن يذكر العرب بمجدهم او يدعو القوم الى كسر قيود الاستبداد وتطلب الحياة الحرة والقضاء على من وقفوا عثرة في سبيل نهوض العرب وكانوا سبباً في تدهوره وخموله . فمن شعره في هذه المعاني :

وما العرب الكرام سوى نصال	لما في أجفان العليا مقام
لعمرك نحن مصدر كل فضل	وعن آثارنا أخذ الأنام
ونحن أولو المآثر من قديم	وان جحدت مآثرنا اللثام
فقد علم العراق لنا قديماً	أيادي ليس تنكرها الشأم
وفي أرض الحجاز لنا فيوض	يسيل لما الى اليمن انسجام
وفوق الأندلس لنا بنود	للمات النجوم بها اعتمام
وصل في الغرب عن آثار فخر	لما في جبهة الزمن ارتسام

وله السنية المشهورة ومطلعها :

دع مجلس النيد الأوانس وهوى لواحظها التواعين



الى أن يقول :

قال شر كل الشر ما بين العائم والفلائس  
والخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس  
مام رجائب الله فيكم بل هم القوم الأبالس  
يمشون بين ظهوركم تحت الطيالس والفلائس  
أي النعيم لمن يبيت على بساط النل جالس  
ولن تراه بانسا أبداً لذيل الترك «بانس»  
ولن أزمته بكف - عداه يظلم وهو آيس  
ولن تباح حقوقه ودمائه يع الخسائس  
ولن يرى أوطانه خيراً كأطلال دوارس

وقال في الترك :

فالترك قوم لا يفوز لديهم الا المشاكس  
أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس  
فابتزقوا . لتسلم ناراً تزوع كل قابس  
عمت قياضهم فاضحت لا تحيق بها الفهارس  
حال بها طاب التيسم للوغى والموت عابس  
وحلا بها سفك الدما . وسفكها للجور حابس

ومثلها قصيدته :

تنهبوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غامت الركب  
فيم التمل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحت القنا ملب  
كم تظلمون ولستم تشكون وكم تستغيثون فلا يبدو لكم غضب

ثم يعرض بحكام تلك الأيام فيقول :

سلاحهم في وجوه القوم مكرم      وخير جندهم التدليس والكذب  
لا يستقيم لهم عهد اذا عقدوا      ولا يصح لهم وعد اذا ضربوا  
بالله يا قومنا هبوا لشأنكم      فكم تنادىكم الأسفار والخطب .  
ألتم من سطوا في الأرض واقحموا      شرقاً وغرباً وعزوا أبنائهم  
فألكم ويحكم أصيغتم هملاً      ووجه عزكم بالهون منتقب .  
لا دولة لكم يشند أزركم      بها ولا ناصر للخطب ينتدب  
أقداركم في عيون الترك نازلة      وحكم بين أبدي الترك مفتصب  
وأظن هذه القصيدة هي التي انهم بها أحد الأدباء يومئذ وجس بها سنة  
كما قال لي الشيخ رحمه الله . وهذه القصائد تنادي بأنه كان حراً يدعو الى  
الحرية وعربياً يبكي لمجد العرب ويحاول أن يترعوا من ربقتهم حكم العثمانيين  
وينجوا من الاستعباد . وهو ما كان يطيب له ادعاء هذه القصائد لأن قصده  
مجرد عن الغاية فلا يطمع في الظهور والتجدد . ولو ظهر عليه أدنى أثر من  
الانكار على الدولة لئاله من العقوبات أفظعها فهو بقله وحيطة بتقييم ولا يرتكب  
مالا يرضيهم على ما كان يتقي أهل بيته ، ويثته كانت جد متعصبة جامدة ،  
وكنت تلمح حرية فكره تلمع أشعتها من خلال ما ينشره ويتجلى للنقاد  
البصير أنه معلم حكيم يرمي الى تهذيب النفوس بكل ماله من الذرائع ،  
ويحاول اخراج أمته الى طريق سليم ليدخلها في غمار الأمم الناهضة وهو الذي  
يعرف مبلغ أمته من معاونته ومعاونة أمثاله ولذلك لم يهاجم بدعوته لأن الأمة  
خلت من هذه المعاني وما كانت تفكر الا في الساعة التي هي فيها .  
وما سلم الشيخ من عيوب الشعراء المتأخرين فقد كان أصحابه وجيرانه وأهله  
يربدونه على أن ينظم تواريج لأضرحة موتاهم ، وكان يرجى ألا يقبل اخلاعة



وقته في مثل هذه المنظومات ومنها المدح والثناء ، وما كان الحامل له على نظمها  
 الا ارادة التخلص من تعجيز المعجزين وقد اعتاد الناس ألا يرضوا عن الشاعر  
 الا اذا مدح أحياءهم ورثى موتاهم به وقد أثرت له رسائل لك أن تدعوها من  
 جنس الاخوانيات كان يبعث بها الى أحبائه أو الى ارباب الوجاهة لدفع مفرم  
 وجلب حقم لمن يتوسطه ، يكتبها من حاصر الوقت لا يتعمل فيها ، وأكثرها  
 مسجوع اذا تلوتها تراءى لك الله ينسج فيها على منوال المزداني والخوارزمي  
 والمصاحب . ومن شعره الجليل يذكر حمص منبت أجداده :

-ومتى الله أرض حمص وحيت      تفحات الرضا خصيب ثراها  
 يحي فردوسي القديم ومنها      ثمرات الحياة كانت جثاها  
 ومنه :

لبس الرقيقة من شأني فان عرضت      أعرضت عنها بوجه بالحياه ندي  
 اني آمن بعرضي أن يلزم به      غيري فهل أتولى خرقه يدي  
 وقال في ساعة دقاقة :

ومحبة أعمارنا كلما اتققت      لنا ساعة دقت لما يجرس الحزن  
 فيابت هذا الدهر مرت بسيره      فهل أنت دون الناس منه على أمن  
 وقال في عود الطرب :

وعود صفا الندمان قدما بظله      وما يرحل تصفو لديه المجالس  
 تشقه طير الأراكة أخضرأ      وحنأ اليه ريشه وهو يابس  
 وقال في بملك :

يا بملك غريبة الأزمات      والسهد والصناع والبنيات  
 لم تُبك الأيام في حدثانها      الا لتظهر قدرة الرحمن

وقال :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا-  
فقد أصبحت أذنا بنا وهي أرؤس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الوراء

وقال في الحكم :

حياة أمر العيش فيها منعم وناس بها قلب الخلي متيم  
سقت كل قلب كل يوم مشارباً توهم فيها لذة وهي علقم  
وما الأرض الا قفرة زارت بها أسود المنايا حولنا وهي حوم  
لهذا كل يوم يتنا كل منذر ينادي علينا مسمعا وهو أبكم  
تقينا بعضا ببعض فتنتي وأجفانا في غفلة اللهو نؤم  
خلت دونها شم الحصون فلم تكن لساكتها من غارة البين تعصم  
وأصبح من قد كان يهرب بأسه يناح عليه بعد حين ويروح  
تراب من الأرض استوى تحت صورة تلوح عليها مدة ثم تهيم  
إذا ما دفعنا لليلة مرة ولم تنتفع بالحزن فالصبر أحزم  
جوى قدر المولى بما شاء واستوى لديه جزوع في الأسى وسلم  
وليس لنا من مطمع فات نيله إذا كان ما نغيه ما ليس يقيم  
وما كان ما لا بد منه مؤخراً يهون لديه الرزء وهو مقدم  
وما الفرق في الحالين الا هنية تمر سريعاً والقضا متجهم

ومن قوله في الحكم أيضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى مأتم ناحت به البشر  
في كل يوم أناس فوقها فجوا على أناس طوتهم مجتبا الحفر  
بش الحياة التي ما زال واردها يمازج الورد في كاساته الصند  
حالا ن احدهما مملوءة حذراً مما يليها وأخرى فاتها الحذر



قال في مصير الأرض من مقالة :

واعبر ذلك في الأرض وما يؤلف أديمها من الجواهر ، ويشتمل عليه جوها من العناصر ، وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحراء ، والحيوان السارح على وجه القبراء ، والساج في لجتي الماء والهواء ، تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها بأسفلها ، ويتحول بعضها الى بعض حتى يترد آخرها الى أولها ، بل ترى الأرض نفسها عرضة للطبيعة تغزوها بالسيول الجوارف والرياح النواصف ، والأمواج التي تهاجم نفورها والزلازل التي تصدع مخورها ، متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار ، الى ان يأتي يوم تنحل فيه الجبال ، وترسب في درك البحار ، ثم لاتزال المياه تسحل وجه الأرض حتى لا يبقى فيه أمت ولا انحناء ، وحتى يغمرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها مستوياً تحت الماء كاستواء سطح الماء ، فعادت كما كانت في اول خلقها ماء غامر وكون بائر ، قد خلا من عالمي البر والهواء ، ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء .

« هذا اذا لم تصب الأرض قبل ذلك بالهرم ، وينضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من النورم ، ولم تنتشر هوائها فلا يتنفس بعد ذلك نبات ولا حيوان ، ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه لجناحه في الطيران ، على حد ماتم ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لموتاد ، وحتى تجرد من ثوب هوائه او كاد ، وحتى اصبح قفراً هامداً لا ينبت عليه شجر ، ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواء الأرض وهو خال من بخار الماء لجمد البر وسطحها تجميداً ، واقتبض الأحياء من وجهه حيث يقع شعاع الشمس عموداً . ثم لا يزال باطهم يزداد ضيقاً على توالي الحقب ، الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبُرد والسُحب ، فتدقها الثلوج حيث لا تنكشف رعاها الا يوم التلاقي . وتخط يد القضاء على أديم الأرض سجان الحي الباقي .

« وهذا اذا لم تهرم الشمس فتقلب نارها برداً ، ولكنه يبرد بنير سلام ،  
فتبهيم السيارات والأفئدة من حولها في قضاء من الزهور والظلام ، ويومئذ  
لا يترغ الصباح فيذهب آفاق المشرق ولا يقبل الماء فيجيم على أرجائه يمشيه  
المطبق ، ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف ، ولا تبدو القبة الزرقاء  
بلونها المألوف ، ولكنها تلتحف السواد حداداً على عالمها بالأمس ، وقد التف  
بكفن من الثلج فأوته منها الى مثل ظلمة الرمس . ويومئذ تنجم البحار فلا  
يكون موج ينتفس ، ولا سحب ينبجس ، ولا سيل يتدفق ، ولا جدول  
يتفرق . وتركد حركة الهواء ، فلا تهب شمال ولا صبا ، ولا تجري نسمة  
على الوهاد والري . وأنتى والشمس مصدر الحركة في العوالم ، وقوام الحياة لكل  
قائم ، فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب ، واذا دبّت النسم فالشمس هي  
التي تدب ، واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر ، واذا انهمرت الغيوث فهي التي  
تنهمر ، ألا وهي الشمس التي تجري في الأنهار ، وهي التي تغرد في الأطيوار ،  
وهي التي تزهر في الرياض ، وهي التي يسمع حفيفها في النياض ، وعلى الجملة فالشمس  
هي روح الكائنات وقوادها ، واذا ماتت الأقدمة فحال أن تبش أجسادها . ١٠ هـ .  
وبعد فلم ينبغ لبنا أن كتب من الشيخ فيما اعتقد ولا أجزل حظاً منه في  
علوم البيان وندر أن كملت لغيره ما كل له من عبقرية مقلتها العناية أي مقل  
ومن قام بواجبه في خدمة اللغة وسلك كل طريق نافع في غرضه . فقد قال  
فيه الأستاذ الامام محمد عبده انه أكتب من اديب بكثير بل هو أكتب  
المعاصرين فيما أرى . وناهيك بها من شهادة . وقال فيه الأستاذ شيخوان كلامه  
يظهر لقارئه كأنه المرآة الصقيلة أو الماء الزلال ، فكان لا يزال يردد النظر  
فيما كتب وينقعه مراراً حتى يخرج منه كالبرد القشيب والحميلة الناعمة .

وقال الأستاذ عبود « ان انشاء الشيخ ليس بالانشاء المتمق العالي اذا استثنينا  
صدر مقالتي الزهرة والقمر وفيها ظهر أنه ناثر فني من الطراز الأول فخياله



طريف فيها. ومجده أنيق ظريف ، كأنه الشعر أو فوق الكثير من الشعر ، وقد كتب جل ثره بأسلوب العلماء والمؤرخين والكتاب الاجتماعيين ، وتضلعه من اللغة وادراكه أسرارها أدى به الى العدول عن المجاز ، وله فضل على النهضة بتعاييره الصحيحة ، وكان له أبعاد الأثر في توجيه كتاب النهضة نحو الكلام الصحيح السليم ، ولئن كان في انشائه جفاف أساليب العلماء فلا تنس ان فيه صحة وشدة أصر » .

كان سميت الشيخ سميت العلماء وكان على جانب عظيم من الرقار تقرأ سيفه طلعت جلال العلم وجمال الأدب وتمس في كلامه كأنك في مجلس فتان أنى أيامه في التحقيق والتدقيق : عقل عالم ، وحكمة حكيم ، وعين فنان ، وذوق شاعر .

كان الشيخ مأخوذاً بعلمه مخلصاً له ، لم يتعلق من الحياة بغير المنويات ، دار حياته في دائرة ما حدثته نفسه أن يتخطاها قيد أغلقة فلم يخرج فيها عن نشر العلم والآداب ، وخدم لغة القرآن خدمة لم يوفق الى أكثر منها أكبر علماء الاسلام ، وعاش مقلداً متشققاً لم يطرق أبواب الملوك ولا رجال المال ليعينهم على ما يضطلع به ، ومع أنه سيق للدولة المصرية قبله أن عاونت اللبنانيين العظميين بطرس البستاني واحمد فارس الشدياق من رجال النهضة الأولى فهو لم يجد من حكومة مصر العربية عوناً وغفل أغنياء المصريين والثانين عن الأخذ بيده . وكان يشير في الأحايين الى هذا النقص في أخلاق الأمة ويردد ان الأغنياء وارباب الشأن يمزل عن تشدان المطالب العالية والمشاركة في الأمور النافعة .

عاش الشيخ عزيز النفس وما أسف الى ما أسف أكثر علماء عصره ومات لم يتزوج ولم يعرف سعادة البيوت وعطف الولد . ومن أغرب ما يسجل أن

حكومة لبنان اقترحت عليه أن توليه « قائم مقام » على زحلة وهو عمل يقوم به بعض تلاميذه على أنه لم يخلق للإدارة ولا للياسة . وكافأته الجالية السورية سيف البرازيل بعد وفاته بأن منعت له تمثالاً نصبت في بيروت في إحدى ساحاتها .

قلت فيه يوم نعيته في جريدة « المؤيد » : قضى حياة المتعلم والمعلم والعالم على أكمل وجوهها ، وبرز خاصة في علوم العربية على أقرانه فمد من آحاد زمانه . نشأ في بيت كان ربه يتغنى ليله ونهاره بالشعر والأدب فشب وشاب فيما نشأ عليه وأنشئ له . وتاهيك بمن يرضع اللغة من صغره ويماني الأدب في جميع أدواره ، لا يصل إلى منعه غيره ولا تقع عينه على ماسواه والجميع مستحسن له ومصدق ومؤمن على أقواله ومصدق . . . . ولا بد لمن يتمحض للانتقاد أن يلاقي مالتى الشيخ اليازجي فيصاب ويصيب . والناس لم يألوا الانتقاد وأكثر المتقدمين يعدون الانتقاد ثلماً لشرفهم واسقاطاً لأقدارهم ، والناقد كيفما كانت الحال لا تصفو له القلوب » .

محمد كرد علي





## تعريب الاصطلاحات العلمية

اللغة العربية من أغنى اللغات ، وأوسعها اشتقاقاً ، وأدقها تعبيراً ، صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضعة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية أنها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة المخارج ، فيها ألفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة<sup>(١)</sup> . وربما وجدت فيها أيضاً ألفاظ مختلفة دالة على معانٍ متقاربة ، وإن كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على أحوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الألفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والاشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لأن الأصل في الكلام هو أن تختلف الألفاظ بحسب اختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضناً<sup>(٢)</sup> .

ولكن العلماء الذين أخذوا في عشرات السنين الأخيرة يدونون علوم العصر ، وينقلونها من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الأصل الذي

---

(١) للتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها الفاظ واحدة بمعنىاً ومسانياً مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف الفاظها ومسانيتها واحدة .  
(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٥ .

قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ،  
 أو الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة . فعرض لهم من اختلاف  
 في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء وأصحاب السجع من استعمال الألفاظ  
 المترادفة والمتواطئة ، وإن كانت متباينة بالحقيقة . فأدعى فعلمهم هذا الى الإلباس  
 والاشكال ، وإلى كثير من الغلط والخطأ . مع أنه كان ينبغي لهم إذا وجدوا  
 ألفاظاً مختلفةً متقاربة المعاني أن ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها  
 ليضعوا لكل معنى لفظاً مطابقاً له ، إلا أنهم قلدوا في ذلك البلقاء والشعراء  
 والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض وعلومهم قليلة الوضوح والقبض .  
 والدليل البين على أن الأمر على ما ذكرناه أن الشخص الواحد يستعمل  
 للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Dédution) تارة بالاستدلال  
 وأخرى بالاستنتاج أو الاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني  
 المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence) و (Raison) ، و (Bon sens) كلها  
 بكلمة عقل .

وإذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ،  
 فما بالك بالترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون  
 أنفسهم ؟ وما بالك بالقاري الذي يحيل اللغة الأجنبية ، هل يفهم ما يقوله  
 هؤلاء وما يكتبونه ؟

ان مدار الأمر والغاية التي يجري إليها الكاتب والقاري ، إنما هو الفهم  
 والافهام . فإذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف  
 تتضح ، وكيف تفهم ؟ ان التفاهم بالألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل  
 بنقود متبدلة القيم ، فلا بدّ للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الألفاظ ، ولا بدّ  
 لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا يتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ  
 التي أفرغت فيها . ان الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية



هو الحجر الأساسي في بناء العلم : فإذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها .

على أنه قد يقال ان الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وان الحقيقة اذا كشفت فبأي لغة بلغت الانهام فذلك هو اليان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية أساسية من الاصطلاحات العلمية وهي ان السبب الذي من أجله احتيج الى وضعها لا يقتصر على الانهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمها تكمن اللغة التي تستعملها في تفهيمه اياه ركيكة ومضطربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء الاخصائيين وحدهم بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله اذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

أما الفائدة في التربية فهي ان تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ الا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد الا بلفظ واحد . وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً . لأن المعاني اذا كانت محددة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الألفاظ اذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم . وقد عرفنا بالتجربة أن التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون أن نشرح لهم اصطلاحاتها يضعون زماناً طويلاً في تفهم ما يقرأون دون أن يصلوا الى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الأمر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى ان بعضهم وان نجح في فحوصه يعتاد استعمال الألفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كاليقاء أو يلوكه كما يلوك الطفل طعامه . وهذه العقول البيغائية التي تردد الألفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الانتاج العلمي . وربما كانت تمارن الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الألفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية . خير وسيلة لشفاء هذه العقول من البيغائية الفكرية ، لأنها تمنعها من استعمال ألفاظ لم تتضح معانيها ، وتعودها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون أحدهما زائداً على الآخر .

وأما الفائدة الاجتماعية فهي ان تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . ان معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى أن الناس لم يحددوا معاني الألفاظ التي يجادلون فيها . فالحرية والعدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاشتراكيين والموليين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا أردت أن تحسم اختلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتباينة فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل أسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون أكثر الألفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لأنهم - كما قلنا - لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك ان بعضهم يترجم كلمة ( Intuition ) بكلمة حدس ويترجمها الآخر بالبداهة أو الاكتناء ، أو الاستبصار ، وكذلك كلمة ( Conscience ) بعضهم يترجمها بالشعور وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الأمر على هذه الحال أدى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لأن النقلة ، اذا لم يوحدها اصطلاحاتهم عجزوا هم أنفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي أن تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفويًا حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بالألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا أدى الى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بدّ اذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي احتدى اليها النقلة الإخصائيون اصطلاحاً واحداً يثبت ويحمله حظيرة اللغة ، لأن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً . ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية ان تضع



الاصطلاحات وانما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم ، يتقح ما يكشفه العلماء ، ويحصه ، وينظمه ، ويثبت . واذا خرجت الجامعة العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها ان تقف عنده عرضت نفسها لكثير من اخطاء والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية ، والعلماء الاختصاصيون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فانت لا تفهم معنى كلمة ( تفاعل ) الا اذا كنت كيميائياً ، كما انك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية الا اذا كنت فيزيائياً . ومن كان طبيباً كان قادراً على الكلام عن المرضى بلغة لا يفهمها المريض . . . وكذلك لما كانت الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة لا تختلف عن الألفاظ التي يستعملها الأدباء الصحافيون والمحامون كان هذا الاتفاق فيها ادعى الى الاشكال والاضطراب . ان رجال الأدب لا يستقنون عن اصطلاحات علم النفس ، كما أن رجال السياسة لا يستقنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والأخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وارادة لا يبلغون غايتهم الا اذا كانت هذه المعاني المتصورة في أذهانهم محددة معرفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الألفاظ في أذهانهم معان مخالفة لما يتصوره المحامون والأطباء والمهندسون .

فيتبين لنا اذن اذا شئنا أن نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي أن نعتمد في ذلك على أرباب الاختصاص لأن صاحب البيت أدري بالذي فيه . ومتى عرض علينا الاختصاصيون ألفاظهم تقحناها ومحصناها واختارنا أوقها وأصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على الاختصاصيين اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

### القاعدة الأولى : هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح

مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة ان يكون

اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فإذا وجدناه مطابقاً له أطلقناه عليه دون تبديل أو تغيير . مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة ( Substance ) ، وأطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة ( Catégories ) فإذا أردنا أن نترجم هذه الألفاظ أطلقنا عليها الأسماء التي سماها بها من عرفها من أصحاب اللغة .

**والقاهرة الثانية :** هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الأوربي الحديث ، فيعدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمناه به لفظ ( Intuition ) ، فقد أطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد أن وسعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته « هو سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب وبقائه الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف » ، والحدسيات عنده هي « ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه إلى واسطة بشكرر المشاهدة » ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : « ان من المتعلمين من يكون أقرب إلى الصور لأن استعدادهم ... أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال إلى كبير شيء وإلى تخريج وتعليم » . ثم يقول : « الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط . والدكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادي التعليم الحدس . فان الأشياء تنتهي لا محالة إلى حدوس استبطها أرباب تلك الحدوس . ثم أدوها إلى المتعلمين . فيمكن ان يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادي العقلية إلى ان يشتعل حدساً ، أعني قبولاً للإلهام العقل الفعال ، في كل شيء ، فترسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء »



اما دفعة واما قريباً من دفعة»<sup>(١)</sup> ويقول أيضاً في كتاب الاشارات : « واما الحدس فهو ان يتثل الحد الأوسط في الدهن دفعة ، اما عقيب طلب وشوق من غير حركة ، واما من غير اشتياق وحركة »<sup>(٢)</sup> . فهذه النصوص كلها تبين لنا ان معنى الحدس عند القدماء هو اصابة الحد الأوسط اذا وضع المطلوب ، أو اصابة الحد الأكبر اذا أصيب الأوسط ، وبالجمله سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس عند المحدثين . ولكتنا نلاحظ ان للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداهة ، وهناك حدس حسي وحدس نفسي ، وحدس قلبي كالذي تكلم عنه (برغسون) . فاذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من اطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى لأن البداهة انما تقابل كلمة (Evidence) لا كلمة حدس . فيمكنني اذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً .

### والقاهرة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق

العربي ، كأن تستعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ولفظ الاسيطان للدلالة على (Introspection) ولفظ الاهتمام للدلالة على (Intérêt) ولفظ الانتحاء للدلالة على (Tropisme) ولفظ التكيف أو الموائمة للدلالة على (Adaptation) . فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ولكتنا

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ — ٢٧٤ من طبعة القاهرة .

(٢) ابن سينا ، الاشارات ، ص ١٥٣ — ١٥٦ من الطبعة الحيرية ، القاهرة ١٣٢٥ .

نستعملها مطمئنين لأنها مطابقة للأصول التي وضعها أصحاب اللغة وهذا شيء .  
 بما فعله القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على ( Puissance ) وكلمة فعل  
 للدلالة على ( Acte ) وكلمة صورة للدلالة على ( Forme ) ، وكلمة امكان للدلالة  
 على ( Possibilité ) ، فقالوا ان الامكان في الشيء هو جواز اظهار ما في قوته .  
 الى الفعل ، وطبيعته بين الواجب والمتع ، فاشتقوا من الامكان التمكين بمعنى  
 اخراج الشيء من القوة الى الفعل بالارادة وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر  
 وهو ان يكون تفعيلاً من المكان . فتقول مكنت الحجر في موضعه اذا وفيته  
 حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب وليس في استعمالنا اليوم لفظ  
 الحتمية ( Déterminisme ) والموضوعية ( Objectivité ) ، والوضعية  
 ( Positivisme ) شطط ما دام القدماء من علمائنا لم ينجسوا عن استعمال لفظ  
 الهوية والأنية والصوفية وغيرها . ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون  
 ان يخرجوا من قفص المعاجم ، كأن الألفاظ التي اصطنعها علماءنا القدماء في  
 الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيبات لم توضع الا اعتباراً .

والقاهرة الرابعة : هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة  
 عربية كقولنا ( هرمية ) في ترجمة ( Hormique ) وقولنا ( الراد ) في ترجمة  
 ( Radium ) أو قولنا ( المناد ) في ترجمة ( Monade ) ، أو قولنا الديموقراطية  
 في ترجمة ( Démocratie ) . ومن البديهي أنه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة  
 الا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فاذا كانت  
 كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ تقبسه كما هو او ببدله ، وكانت اللغة  
 نفسها لا تشمل على اسم قريب من المعنى تشتق منه فعلاً أو صفة كان استعمال  
 اللفظ الأجنبي أدنى بالقصد وأقرب الى الوضوح من اطلاق لفظ عربي غير مألوف  
 يفرض على العلم فرضاً . ان علماءنا القدماء لم يحدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة

جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاماً من حقوق اللغة العربية ، فإذا استعملنا اليوم كلمة ( فيزياء ) للدلالة على ( Physique ) وكلمة ديموقراطية للدلالة على ( Démocratie ) فإنا لا نكون أقل منهم أصابة . فهم قد استعملوا كلمة البخت مع انه لا وجود لها في لغة العرب . يقول صاحب كتاب الموامل والشوامل في الجواب عن إحدى المسائل : « على اني رأيتك تستعني أن تفهم حقيقة الا أن تكون في لفظ صري . فان عدت لغة العرب رغبت في العلوم ، لكننا أبديك الله لا تترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت »<sup>(١)</sup> . وهذا القول يدلنا على أن القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند افتقار اللغة العربية الى لفظ أجنبي لا يُبدل على المعنى الجديد الا به ، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعها . فنقول مثلاً ميكروسكوب وتلسكوب كما نقول مينا وتلفزة دون أن نخل بلغة العرب لأن انتشار هذه الألفاظ على ألسنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية أوفى بالقصد من استعمال لفظ المكبرة والمنظار والصورة المتحركة وغيرها . فالمعاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة<sup>(٢)</sup> . وإنا نحيا تلك المعاني في ذكر الناس لها ، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها . ومما يكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المألوف فإنه اذا انتشر على ألسنة الناس كانت أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار . والخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المهجور .

\* \* \*

(١) الموامل والشوامل لآل حيان التوحيدي ومسكويه، ص: ١٠٤، القاهرة: ١٩٥١ .

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الاول، ص: ٦٨ .



هذه اربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الاشارة لاعلى سبيل الاحاطة .  
 ولا نزعم أبداً أننا استقصينا بها جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم .  
 ان العلماء الأوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية  
 واليونانية . وفي وسعهم أن يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثر أو ان  
 يضموا السوابق ( Préfixes ) او اللواحق ( Suffixes ) الى جذر المادة الأصلية  
 بحيث يتألف منها كلمات متشابهة دالة على معان متباينة . مثال ذلك ان  
 ( Synthèse ) و ( Parenthèse ) و ( Antithèse ) و ( Hypothèse ) تدل  
 على معان مختلفة مع أن جذرها الأصلي واحد ، أما الاشتقاق في اللغة العربية  
 فانه يغير الأصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة وليس في اللغة العربية  
 سوابق ولواحق مضافة على الأصل ، كما انه لا يمكنها الآن أن تستمد من غيرها  
 من اللغات القديمة ما تستمد اللغات الأوربية من اللاتينية واليونانية . وهذه صعوبة  
 أخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من سعة النتائج ولطف  
 المخارج وسهولة الاشتقاق . وسنعود ان شاء الله الى بحث هذه الصعوبة الأخيرة  
 في مقال آخر .

الدكتور جميل صليبا



## أوضاع لغوية عسكرية

( *Sentier* ) , ( *Ravin* )

جاءني من حضرة مدير المجلة العسكرية بدمشق ما نصه :

نحار هنا في ترجمة ( *Sentier* ) فنحن نترجمها بكلمة ( زَفِيْلَة ) كما وردت في القاموس المحيط . أو ( شُرَيْك ) كما ترد على لسان الفلاحين والبدو عامة في بلادنا ، وقد جاءت كلمة ( شُرَيْك ) في القاموس المحيط ولكن بمعنى الطريق ذات الجواد . فهل تكون ( شُرَيْك ) تصغيراً ( لَشُرَيْك ) و ( شُرَيْك ) تصغيراً للتصغير فتكون صالحة لهذا المعنى ؟ أما مسلك فنحن نعملها ترجمة لكلمة ( *Cheminement* ) الافرنسية والمقصود هو مطلق مسلك تسلكه طريقاً : كان ذا حدود أو لم يكن : تسلكه مثلاً خلف صف من الأشجار لتختفي به عن أنظار العدو . و ( درب ) هل تصلح لمعنى ( *Sentier* ) أو لما هو أوسع . وقد رأينا أن تترجم كلمة ( *Ravin* ) الافرنسية بكلمة ( تَلْعَة ) العربية وقد جاء في القاموس المحيط ما يؤيد رأينا : وقد سمعت أنا شخصياً من الهجاة البدو النجديين وأنا معهم في الصحراء هذه الكلمة لهذا المعنى . ومعنى ( *Ravin* ) هو مجرى الماء في سفح الجبل .

فهل لكم أن تفضلوا فتفيدونا ما هي الترجمة الصحيحة لكل من تبتك الكليين والشكر لكم ١٠ هـ .

وقد أجيبت السائل المحترم بما يلي :

تضمن سؤالكم أمرين أصليين ، ( الأول ) كيف تترجم كلمة ( *Sentier* ) الافرنسية : قلتم في كتابكم انكم في حيرة بين أن تترجموها بكلمة ( زَفِيْلَة ) العربية التي معناها : سكة ضيقة . طريق ضيق . أو تترجموها بلفظ ( شُرَيْك )

بتشديد الياء تصغير (شُرَيْك) الذي هو مبغى شَرَك. والشَرَك والشَرَكَة بمعنى الطريق فيكون (الشُرَيْك) تصغير التصغير ويصبح معناه الطريق الضيق جداً وهو معنى (Sentier) وقد استأنتم الى صحة (شُرَيْك) بورودها (على لسان الفلاحين والبدو عامة في بلادنا السورية) ولعمري ان تجريحكم أو (إخراجكم) لكلمة (شُرَيْك) على هذه الصورة يدل على بصارتكم . ولكن هنا ملاحظات ينبغي إيرادها وربما أفاد التبسط فيها .

(أ) ما هو المعنى المطابق لكلمة (Sentier) ؟

يظهر من المعاجم الافرنسية أن معناها الطريق الضيق (Chemin étroit) وسكتوا عن تقييده بوصف ما : فكل طريق ضيق سواء أكان في سهل أو جبل . طويل أو قصير . مستقل أو متشب من جادة عظمى يسمى عندهم (Sentier) فيحسن اذن ان تترجم (Sentier) بكلمة عربية تفيد معنى (الطريق الضيق) ويحضرني من هذه الكلمات كلمة (الزُقيلة) التي ذكرتموها فقد فسرت بالكلمة الضيقة والطريق الضيق ولم يقيدها بوصف ما فتكون هي المعنى الحقيقي المطابق لكلمة (Sentier) الافرنسية وهي التي يحسن ترجمتها بها غير ان (الزُقيلة) فيها غرابة وعليها رجمة من استكرام في اللفظ . تقولون ان الاستعمال كفيل بصقلها وتقريبها من الأذواق . حسن ولكن يبقى هناك شك في عروبتها من حيث أن صاحب القاموس اتفرد بذكرها وقد أهملها كل من صاحبي الصحاح واللسان : فهي في الغالب لغة يمانية : لما أن الفيروزآبادي (الذي اتفرد بذكرها في قاموسه) كان قاضياً في اليمن في القرن الثامن الهجري فلعله التقطها من أفواه اليمانيين ودونها في معجمه . تقولون وهذا أيضاً لا يضر فان اليمن عربية ولغتها عربية فالتشك في عروبة (زُقيلة) مشكوك فيه بل مردود . إذن (زُقيلة) أصبحت في الكف ؟ وهل من كلمة غيرها تتدخل على معنى



الطريق الضيق .؟ نعم كلمة زَقَب ( بفتحين ) في الصحاح طريق ( زَقَب ) أي ضيق . وقد يقال إنها غريبة مهجورة أيضاً كالزَقيلة . والجواب ان استعمال كفيل بصقلها وتحليتها في الأذواق .

وهناك كلمة ثالثة ربما اخترتها ورجحتها على أختيها ( الزَقيلة والزَقب ) لسهولة لفظها واستئناس الناس بها ودلالاتها على معنى الطريق الضيق في العصور القديمة والحديثة : وهي كلمة ( زقاق ) قال الشاعر :

( ولم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُه خرجنَ علينا من زقاق ابن واقف )

والسِرْب من النساء كالسِرْب من الظباء ، فلترجم ( Sentier ) بكلمة ( زقاق ) ولا سيما أن لها علاقة قديمة بتاريخنا العربي وجغرافيتنا العربية : فأسلافنا العرب سموها بها الجاز الضيق بين شجيرة وسبينة من ير الأندلس . وهو الذي يسمى أحياناً ( بحر الزقاق ) وأحياناً ( بوغاز جبل طارق ) نسبة الى القناص العربي الشهير . فزية ( زقاق ) على ( زَقَب ) و ( زَقيلة ) واضحة جلية . و ( اليكة ) بمعنى الزقاق أو هي الواسع من الأزقة . تقولون لكن ( زقاق ) أصبحت مبتذلة جداً . فلتنق اذن على ( زقيلة ) لعروبتها وختها بخلاف ( زَقَب ) فان فتح قافها ومجيء الباء المقلقة بعدها يُبعدها عن الأذواق . وفي استعمال كلمة ( زقيلة ) إحياء لها . وطينا ذمة للفتا وهي إحياء مواتها أي الفاظها الميتة ما أمكن . أما الشريك تصغير الشرك التي يستعملها الفلاحون بمعنى الطريق الضيق فاستعمال فيه نظر لأن ( الشَرَك ) ليس مفرداً بل هو جمع شركة وهي الجادة أي الطريق المعظم في الصحاح : ( الشركة معظم الطريق ووسطه والجمع شَرَك ) ومن اللغويين من فسر ( الشَرَك ) بالطُرُق الصغار المنتشرة على متن الطريق الأعظم : فان المشاة وحوافر الدواب تُحدث على ظهر الجادة طرائق قِدَداً وأخاديد صغيرة تتفرق ثم تلتقي ثم تتفرق ويكون بينها قطع من الأرض لا توطأ وتكون

ذات نبات أحياناً : فإذا نظرت الى هذه الجادة من عل حبتها عباةً مخططة .  
وقد جاء في اللغة : ( بُرد مُسَيِّحٌ أي مخطط والمُسَيِّح من الطُرُق  
المُسَيَّن شَرَكه وإنما سَيَّحه ( أي مخططه ) كثرةُ شَرَكه شَبَّه ( أي  
الطريق ) بالعباء المسَيَّح ) انتهى ملخصاً من اللسان . فالشركة إذن طريق ضيق  
لكن لا مطلقاً بل يكون مع طرق مغار أخرى منتشرة جميعها على ظهر  
الطريق الأعظم . وربما كانت هذه الشركات هي التي نسي في اللغة الترهات  
أيضاً ثم نقلت الترهات الى معنى الأباطيل مجازاً .

فإذا أردنا أن نترجم كلمة ( الشَّرَيْتِك ) مثلاً الى اللغة الافرنسية أمكننا  
أن نترجمها بكلمة ( Sentier ) ولكن لا يمكننا أن نترجم ( Sentier ) الى  
العربية بكلمة شَرَكه ولا بكلمة شَرَيْتِك كما لا ينبغي .

وكلمة ( درب ) لا تصلح لأن تترجم بها ( Sentier ) لما أن الدرب اسم  
لمطلق طريق ضيقاً كان او واسعاً وربما كان معرباً عن الفارسية . ومن اللطائف  
ان ( الدرب ) الذي هو مقلوب ( درب ) اسم للطريق الذي لا ينفذ كما في القاموس .  
ومثل درب كلمة ( مسلك ) ( Cheminement ) فإنها في اللغة مطلق منفذ  
يسلك منه الى ما وراءه مما ضاق المنفذ أو اتسع : فخرم الأيوة مسلك للخيط  
كما أن أجواز الفضاء وأجواز البحار مسلك للطائرات والسفن الماخرات ومنه فن  
( مسلك البحار ) فمسلك اذن لا تصلح لترجمة ( Sentier ) .

بقي أنكم معشر رجال الفن العسكري إنما تريدون من ( Sentier ) في  
الغالب الطرُق التي يسلكها الجنود وهي التي تكون في البراري والسهول المنبسطة  
لا في داخل المدن والقرى . فالذي يصلح عرضه عليكم من الألفاظ ما دلّ  
على مسالك الجنود في السهول : إذن يكون الزقاق والزقيلة والزقَب والشارع  
غير ما تطلبون . ويكون مطلوبكم هو الطريق . السيل . المقسم .

النَّهْجُ • المنهَج • المَنْهَج • الجادة • الدَّرَب • السِّكَّة • المدعاس • والثلاثة الأخيرة تدل على الطريق الضيق ولا سيما المدعاس فقد فسروه بالطريق الذي أثر فيه طول دعس أقدام المارة • وهو الذي تسميه عامة زماننا طَرِيق قاذونية أي قديمة • فهذه الثلاثة إذن هي الصالحة لترجمة (Sentier) : والطرق التي سردنا أسماءها تكون في بساتن البرية وبعضها يستعمل في داخل المدن • كلجادة والدرب والسكة • أما طرق أوطار الجبال فالمشهور من أسمائها الشَّعْب يكسر الشين وجمعه شِمَاب والجُدَّة بضم الجيم جمعها جُدَّة وهي الطرق تكون في الجبل بخلاف لونها لونه : يبيض وسود وحمر • ومنه الآية الكريمة : ( جُدَّة يبيض وخضر ) وقولي إن الدرب يراد منه الطريق الضيق ملاحظ فيه غلبة استعمال سكان المدن له في هذا المعنى والا فان أصل معناه كل مدخل بين جبلين والباب الواسع والمسالك إلى بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه) الخ

( الأمر الثاني ) أو السؤال الثاني كيف تترجم كلمة ( Ravin ) ؟

يجب أولاً أن نحدد معنى ( Ravin ) بالفرنسية : فهي لاروس ان معناها ( مَسِيلٌ حُفِرَ بواسطة جَرَيَانِ ماء المطر ) • فقولكم في تفسيرها ( مجرى الماء في سفح الجبل ) تكون كلمة ( سفح الجبل ) زائدة على معناها الفرنسي إلا اذا كنتم جريتم على اصطلاح عسكري يراد به : المجرى في السفح • وبعبقني في ( Ravin ) أن أترجمها بكلمة ( قَبِيْب ) قال في المختص القبيب مَسِيلٌ في متن الأرض أو الجبل • أما الميل على ظهر السهل من الأرض فيسمى ميلٌ ومجرى وأخدود غير ملاحظ فيها اشتراط ان تكون في الجبل • ولا يمنع مانع أن تكون في الجبل أيضاً •

برادة قد فهمنا من عبارتهم في ترجمة ( Ravin ) إرادة المنيل في الجبل •



واخترتم لها كلمة ( تَلْعَة ) فملينا أن نوافي رغبتكم في ذلك فنقول : إن أقوال اللغويين في تفسير ( التَلْعَة ) مختلفة بل متضاربة فهم يفسرونها تارة بما علا من الأرض وتارة بما انخفض منها وقال في المخصص ( التَلْعَة ) ما انبط من الأرض وتردد فيه السيل ) ثم سموا الماء المتردد في الوادي تَلْعَة وجمعه على تلاع . وفسروا التلاع بالسواقي الصغيرة تكون في الوادي . هذه السواقي أو المجاري أو المسابيل لا تكون على حالة واحدة : فهي إذا كانت صغيرة سميت أمراش ( جمع مَرَش ) وإذا كانت كبيرة سميت تِلاع ( جمع تَلْعَة ) وإذا كانت أكبر من التلاع سميت مذائب ( جمع مِذْنَب ) والأكبر من المذائب تسمى شواجن ( جمع شاجنة ) وما كان أكبر من الشواجن يسمى جللاويخ ( جمع جلواخ ) وكل مجرى منها إذا كان واسعا يسمى ( رِجْلَة ) وجمعه ( رِجَل ) وإذا كان ضيقا سمي ( قَرِيًّا ) وجمعه ( أقرية ) والذي يشتمل على كل هذه المجاري المائية هو المسمى ( بالوادي ) . ولكنها أي تلك المجاري تكون طبيعية قديمة لا حديثة أو جدما اندفاع سيل المطر فان الحديثة على ما يظهر هو معنى كلمة ( Ravin ) . ويمكن القول بأن كلمة تَلْعَة لا بأس في أن نصلح عليها ترجمة لكلمة ( Ravin ) والذي يزيد في رواجها ما ذكرتموه من أن المجانة التجديين يستعملونها .

المغربي

•••••

## الأتلنتدا هي اميركا الجنوبية

### موضوع تاريخي جغرافي

ان وجود أرض فيما وراء بحر الظلمات ، كان موضوع بحث العالم القديم في القرون الوسطى ، فقد رويت أساطير وحكايات كثيرة في المناطق العاصرة والجزر الكبيرة الزاهرة ، المنبتة في طول الاقيانوس وعرضه ، تلك الأماكن التي تعيش في أحراجها الكثيفة حيوانات غريبة وتحترقها الأنهر العظيمة والجبال الشاهقة الغنية بالمعادن والأحجار الكريمة النادرة التي لا تقل الأزهار العجيبة عنها روعةً وجمالاً .

ولقد لاحظ المؤرخ هنري مارتين<sup>(١)</sup> في درسه كتاب تيميو - الذي ألفه أفلاطون بعد جمهوريته الشهيرة - الشيء الكثير من خرافة الأتلنتدا التي رواها كريسياس الطاغية الى سقراط . فكانت هذه أولى الروايات النقية عن هذه الجزيرة المجهولة ، أو بالحري حول القارة الواقعة وراء أعمدة هرقل ، وفيها ازدهرت قبل تسعة آلاف سنة مدينة شعب عظيم اشتهر بثقافته النبية ، في زمن سلالة اطلس<sup>(٢)</sup> ابن الآلهة بوسيدون وزوجته الانسانة كليو . ونقل كهنة معبد سايس<sup>(٣)</sup> هذه الحكاية الى الفيلسوف سولون فكانت روايتهم هذه بمثابة تعليم سري ، يتناقله منهم السلف عن الخلف ، الى ان لقنه المرابي سيلينو<sup>(٤)</sup> الى الملك ميداين<sup>(٥)</sup> .

(١) . مارتين Henri Martin ( ١٨١٠ — ١٨٨٥ ) .

(٢) Atlas ملك زمناً طويلاً جزيرة مورتيايا .

(٣) Sais عاصمة سلالة السيت في مصر Saïes .

(٤) Sileno هو الذي تبنى الآلهة باخوس كما جاء في الأسطورة اليونانية .

(٥) Midas للث ذواذني الحمار — حسب رواية الأساطير الرومانية .

وأوضح كريسياس ماورد في محاورات أفلاطون المشهورة ، ان شعب الأثلنتدا قوي ، امتد سلطانه الى مصر وبعد استيلائه على مقاطعات واسعة ، دحره الأثينيون في معركة دامية . واختفى أثره بين ليلة وضحاها ، حتى لم يعد يعرف عن شعب الأثلنتدا وعن بلادهم ومدنيتهم الزاهرة شيء ، وذلك بعد طوفان هائل وزلازل شديدة منجمة قفت على كل معالمهم وأخبارهم .

وتشأ عن هذه الروايات المنقولة ، الاعتقاد بأن أرخيل اسورس وجزر الكنارياس وبقية جزر الأتليا تشكل جزءاً من الأثلنتدا المختفية التي هي سلسلة مرتفعات مغمورة بالمياه يصعب اكتشافها والتثبت من صحة ما يروي عنها . أما بركلوس<sup>(١)</sup> الاسكندري فقد أخذ على عاتقه نقل آراء الكتاب المتناقضة حول الأثلنتدا فقال :

« ان Nomenius كان يعتبر الاثلنتدا رمز صراع بين الخير والشر » .  
 « و Amelius يعتقد ان الصراع بين الكواكب والنجوم قد انتهى بتهديم الجزيرة وخرابها السريع الهائل واختفائها العاجل » .  
 « واريثيس قال انها الحرب بين الأرواح الشريرة والصالحة » .  
 « واعتبرها لونجينيوس Longinus أسطورة كبتية الأساطير التي رواها أفلاطون لتجميل محاوراته المبهمة ، وجاراه بعدئذ كتبة ومؤرخون عديدون أمثال بلوتارخوس وسترابون وماركروبيوس وديونيسيوس دي متيلين وبيينو وبوميونيو ميلا وريودورو الصقلي عن أوردوا في تواريخهم الشهيرة ذكر مناطق مجهولة واقعة خارج عالم البحر المتوسط الوضع » .  
 فديونيسيو المتيليني قال : ان سكان الأثلنتدا كانوا أشداء وأذكيا ، وسامح  
 « اتلانديس ، واتلانييني واثارانيس » .

(١) Proclus : فيلسوف اسكندري ( ٤١٢ — ٤٨٥ ) .



«أما ريودوروا الصقلي فقد ألمع في تاريخه عن جزيرة ذات ثروة عظيمة اكتشفها الفينيقيون بعد إبحار أيام طويلة حول الشواطئ الأفريقية ، ربيعها دائم ومناخها عذب واخضرارها بديع جميل وأثمارها طازجة وزكية الطعم» .

«وأرسطوطاليس الفيلسوف لم يقل ذكر جزيرة عظيمة دعاها «انيليا» ويقتضي للوصول إليها سفر عدة أسابيع من القارة التي يستعمرها الفينيقيون وعرفوا بحر صميم على ما يمتلكون كل الحرص ، والويل لمن يلفظ اسم تلك الجزيرة بضمه أو يوح بسرها» .

«وأما الآثينيون فكانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً بهذه الأساطير ويؤمنون بوجود الأتلتداهي مع كل ما جاء عنها من الروايات المتناقضة والأقوال المتباينة» .

ومن أخص الأساطير التي تناقلها الآثينيون قديماً تلك التي تتعلق بحروبهم ضد الأتلتديين ، حتى أنهم كانوا يقيمون في معابدهم احتفالات سنوية لتقديم ابتهالاتهم وتضرعاتهم فيها إلى الإله باليس<sup>(١)</sup> ليحميهم في حروبهم أعداءهم الأتلتديين .

واعتبر كتبة اسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر ، رواية ريودوروا الصقلي حقيقة بعد اكتشاف القارة الجديدة لمطابقة الأوصاف التي أوردها في تاريخه ، ما في تلك القارة العجيبة من مناخ جيد ومناظر ساحرة .

وتأيداً للأساطير الرتيبة وغيرها من النصوص التي تقدم ذكرها من العالم الجديد نورد ترجمة نبوءة فيلكا الفيلسوف بهذا الصدد :

« تطوي الأجيال السنين الغائرة وفيها ، يجمع البحر حوادث الدنيا فيظهر تل عظيم» .

« ومنه تكشف بلاد جديدة ولن يكون هذا الحادث آخر ما يظهر للعالم» .

وكل هذه الأقاويل والروايات المثوقة كانت من العوامل الدافعة الى القيام  
برحلات طويلة خطيرة في عرض البحار لاكتشاف عوالم خفية ، وأراض غنية ،  
قال عنها السينيون القدماء إنها كالجنان ، وأطلقوا عليها اسم البلاد الخالدة التي  
تقطنها الأرواح العليا .

وهكذا تجددت فكرة التفتيش عن تلك الجزيرة المجهولة ، الى أن أتبع  
للبرتغاليين والاسبان اكتشافها وبها تقضى كمويس في ملحمة الشهيرة ،  
فقال في أنشودته الأولى :

في البحر أعاصير وخائز ،  
وفي الحرب حروب وخداع ،  
فكم من رغبة تثير الملل ،  
أين يمكن أن يلجأ إنسان ضعيف ،  
حيث لا تحتق ولا تغضب السماء الهادئة ،  
على حشرة الأرض الصغيرة ؟

فبعد اكتشاف الأميركات الثلاث صارت الالتئدا وحفارة القبائل الأميركية  
وثقافتها القديمة ، موضوع درس كثير من علماء الأثرية في أميركا . ومن أهم  
نواحي هذه الدروس ناحية المقابلة بين لغات القبائل الهندية المنتشرة في قارة  
أميركا ، من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي ، وبين لغة السومريين في ما بين  
النهرين ، ولغة المصريين القدماء وما يتبعها من التشابه خطأً ولفظاً مما يدل على  
أن مدينة السومريين الشهيرة قد وصلت الى أميركا ، ولكن كيف وصلت ، ومتى ؟  
فلبحث هذه القضية التاريخية ، والإجابة على السؤال المتقدم يقتضي أن  
ندرس العوامل الجغرافية والطبيعية التي تأثرت بها الأرض قديماً ، وما قاله بهذا  
العدد علماء اللغة والآثار .

التقيت منذ ست سنوات على ضفاف نهر سان فرنيسكو الشهير في أواسط البرازيل ، بالرحالة الألماني الدكتور اوتوبيلي اورتخ وكاتب يدرس القبائل البرغوائية والبرازيلية المنتشرة على حدود الجمهوريتين في ولايات البرازيل الوسطى فاستحكت بينه وبينني صداقة متينة ، وكنت وقتئذ أسافر الى هايتيك المناطق النائية للفتيش عن مواد أولية ومعادن ، فأنت في نفسي هوى لاستطلاع بعض دروس هذا المتكشف فأثمت مع بعثته وقتاً اطلعت فيه على لمحة صغيرة من أبحاثه ، وتنقلاته ومقابلاته ، بين لغات القبائل البرغوائية ، التي كان يجيد التكلم بها - وهي لغة القوراني والتوبي - وبين اللغة المصرية القديمة . وكان يردد أبدأ قوله : « ان مدينة قبائل أميركا الوسطى ترجع الى المصريين ، والدليل على ذلك آثاره متعددة واضحة . أما حضارة القبائل في أميركا الجنوبية فمختلفة المصادر » .

وبعد سنتين من هذه المقابلة كنت أجتاز حرجاً في شمالي ولاية منياس على مقربة من قرية فورتليزا ، ووجهتي مناجم البور الطيبي في هضبة سان جوز دي غورتوبا فالتقيت صاحب النجم وقال لي : « ستري على باب النجم كتابة غريبة ، وأعتقد كما يعتقد غيري أنها كتابة هيروغليفية أو فينيقية أو غير ذلك » .

فعدت الى ذاكرتي أحاديث العلامة أورتخ ونظريته في الآثار الكتابية التي خلفتها القبائل الهندية في الأميركتين الوسطى والجنوبية .

وجدت خطأ بشرياً محفوراً في صخر الى جانب مجرى ماء ومطلياً بدهان أحمر وقاء أفاعيل الأمطار والعوامل الطبيعية بقي على روائه ، كما لو كان حديث الحفر والطلاء ، وقد حاولت حك الصباغ بآلة حادة فلم أفلح فصورته الصخر ورسمت الأحرف رسماً دقيقاً واحتفظت بها حتى الآن .

ومرت الأيام وأنا أقوم برحلاتي الشاقة في مجاهل البرازيل مقتحماً أدغالها وأحراجها ، طلباً للمعادن والأحجار شبه الكريمة مردهداً ما قاله الشاعر النائر  
الپاس فرحات :



شرق وغرب قد يقنى أخو سفر عن كل ما تجمع الأسفار من حكم والمرء لا يرتقي معها تلا كتباً الا اذا احك بالأفراد والأسم الى أن بلغت ذات يوم هضبة تدعى سيراى كايابو قائمة الى جانب نهر اراغوايا الشهير عند النجوم التي تفصل بين ولايتي غواياز وماتوغريسو في مترعة غنية بالمعادن ، وهناك وجدت رسماً محفوراً في صخر أيضاً وإلى جانبه مجرى ماء وبعض أنجم متكاثفة ، ومن المدهش ان الرسم المطلي بصباغ أحمر زاه لا يؤثر فيه الحك .

وهكذا كنت ألاحظ كل ما هو غريب في المناطق النائية عن العمران ، من آثار حجرية أو كتابات أو رسوم محفورة ، لم تقو يد الطبيعة على محوها على مر الزمان ، وقد حفظت في مجموعتي عدداً وافراً منها .

لقد ابتدأت أبحاث البرازيلين وفي طبيعتهم يرغبن في قبال ، على أثر ادلاء الأب هليودورو بيرسي بنظريته : « ان اميركا هي الأتلتدا بذاتها » أي أن الجزيرة العظيمة التي ذكرها بلاطون الفيلسوف وهيرودتو من المؤرخين الأقدمين .

وان الاميركات قد احتفظت بكل ما دون في الأساطير الأولية ، وانتقل بالرواية عن الأتلتدا ، وانه اذا أرفف الإنسان سمعه ووعى اللغات الهندية وألفاظها ولهجاتها المتعددة تأكد لدى فهمها أنها لا تختلف البتة عن لغة السومريين القدماء ، وقد حافظت هذه اللغة على تسمية المواقع الخطيرة والجيال والأنهر والمضاب وأسماء الأعلام كما تسميها القبائل المتعددة ، وأخصها قبيلة الاتقا في ولاية يراهيا دو نورثي من أعمال البرازيل ، تلك القبيلة الكبيرة التي خلفت بين ما خلفته من الآثار الكتابات المنقوشة على الصخور الضخمة لكي يراها الرحالة ويشاهدوا كل من أراد التعرق في درس هذه الخلفات التاريخية والأثرية واللغوية .

ويقول قيدال : « أين مدينة هنود أميركا من مدينة وحضارة السومريين أجدادهم القدماء ؟ ويستند في تحليله الى اختبارات ودروس عدد من العلماء

الأثريين واللغويين كالآب يواسيردي بوربورغ والمستشرق الآب هلا ريو دي بارنتون ، والى التاريخ العام الذي وضعه العلامة الألماني قايس كما يستند الى ما جاء في المعلمة العالمية الاسبانية عن التاريخ والآثار الأمريكية والى ما صرح به العلامة البرازيلي ليونسيو دي امارال غورجل سنة ١٩٠٧ في درس قدمه الى المعهد التاريخي الجغرافي في سان باولو جاء فيه :

« لا يعني الا أن أجاهر باعتقادي الراسخ وهو أن أجزاء العالم كانت فيما مضى متحدة ، وان الانتلدا التي يزعم بعضهم أن المياه قد غمرتها على أثر كارثة عظيمة ، لم تكن سوى أميركا التي انفصلت عن العالم القديم وابتعدت عن أوروبا وإفريقيا ، ودخلت في طور الأساطير والخرافات » .

### أميركا قبل التاريخ :

لقد مرّ على العالم ٦٧ قرناً قبل اكتشاف أميركا سنة ١٥٠٠ بعد أن كانت هذه القارة المترامية الأطراف ، في عالم المجهول ، بينما كانت بقية القارات تسير في معارج العمران والحضارة والمدنية .

ومن المتحتم في هذا الباب مراجعة تقارير العلوم الطبيعية ، ودرس التوراة وبعض نصوصها التاريخية والميثولوجية لكشف النقاب عن هذا المجهول .

ومن ينظر في تواريخ الأمم يرى أن شعوباً كثيرة كانت ذات شأن في تلك الأزمنة كالبابليين والمصريين والهنود وغيرهم وتقتشت أسماء أسمرهم الملكية على الأنصاب والأعمدة وفي المياكل الأثرية القديمة . وكل هذه التواريخ والحوادث جرت قبل المسيح ، والعالم يرجع بعضها الى عشرات الألوف من السنين وأكثر . وإذا عدنا الى ألفي سنة أو ثلاثة آلاف سنة ، عندما بدأت الأسر الملكية في مصر وبابل تتعاقب على الحكم أبدت لنا المقابلة أن آثار المكسيك تحتفظ بأمثلة متعددة تشير الى أن سنة ١٧٨٦ بعد خلق العالم ( حسب ميثولوجية

التوراة ( شهدت انهطال أمطار غزيرة فأدت الى الطوفان الذي غمر الأرض .  
وتدل الكتابات التي عثر عليها في المكسيك انه في السنة ٢١٠٠ بعد هذا الطوفان  
تأسست مدينة تاباتان أولى المدن المكسيكية . ويقول البحاثه موتيسينوس  
بهذا الصدد « ان مقاطعة ييرو قد ازدهرت بالسكان والعمران في السنة السابعة  
بعد الطوفان » .

وبموجب تقدير قبائل الأزتلكاس Aztecas يرجع خلق العالم الى عشرين  
قرناً قبل الطوفان العام .

وقد انتقلت هذه النظرية الى المكسيك من المايا وسموها تاناثيوه Tanatcua  
ومنها يستدل على الحقبات الأربع التي انتهت بمجداث الطوفان .  
فالدور الأول قد انتهى بالزلازل والفاقة ، لأن الأرض لم تنتج ما يكفي  
سكانها من الغذاء ، وانتهى الدور الثاني بالنار الآكلة التي أرسلتها الآلهة على  
الأرض فدمرتها . وامتاز الدور الثالث بما اجتاحت الأرض من الأعاصير الموقضة .  
وأما الدور الرابع فكان دور الانتار بالطوفان .

وفي غضون هذه الأدوار الأربعة كانت القارة الأمريكية متصلة بالعالم  
القديم فما هو الحادث الذي فصلها عنه ؟ وفي أي زمن جرى ؟

جاء في التوراة ( الاصحاح ١٠ - ع ٢٥ ) : « ولعابر ولد ابنان : اسم الواحد  
فالج لأن في أيامه قسمت الأرض ، واسم أخيه يقطان » وكلمة فالج العبرانية  
تعني بالعربية فالت من فلق أي قسم الى شطرين ، واليهود يقولون عن قصة  
الأرض بلغتهم « Ki Beyamayò niphelagâh bâ Êres » .

والكلمة الثالثة فعل ترجمته باليونانية « Diemeristhé hê Gêpaleg » ومعناه  
ان الأرض قد شطرت او انقسمت بشدة . فالتسم Pal والارض Eg ، وفي  
لغة السومريين تجدد اللفظ والمعنى عنهما .



وجاء في الاصباح العاشر عدة من (سفر التكوين) ان الأمم قد تفرقت في كل الأرض بعد الطوفان وبعد اتقسام الأرض الى أقسام متعددة ، واليهما تفرق أبناء نوح بعد الطوفان فمتى حدث ذلك ؟

• ولد فالج أو فالق سنة ٤٠٠ للخلقة والطوفان حدث سنة ٢٢٤٧ بعد خلق آدم و ٢٩٥٢ قبل ولادة المسيح • وعلى هذا الأساس يكون حدوث انفصال القارات بعضها عن البعض الآخر قد وقع سنة ٢٦٥٠ بعد آدم او ٢٥٥٢ ق م • أي قبل عصرنا الحاضر بـ ٢٥ قرناً ، وقد تفرقت الأمم من شتعار الى أقاصي الأرض حوالي القرن الواقع بين ٢٨٠٠ و ٢٧٠٠ ق • أي خلال مدة قرن أو قرنين قبل اتقسام الأرض حينما تفرق في أجزائها أبناء نوح ، وعاصروا الحادث التاريخي الذي حصل وكان من نتائجه انفصال القارات المتعددة بعضها عن البعض الآخر ، وبينها القارة الأميركية التي أخذت في الابتعاد عن أوربا وأفريقية تدريجياً فكان أول انزلاقها حتى درجة العرض من جزر الكنارياس ، وبقيت ثابتة على هذا الوضع ما يزيد على اثني عشر الى خمسة عشر قرناً وعرف الأقدمون ، وفي طبيعتهم اليونان ، بجزيرة الأتلتدا ، ويقول المجاعة فيدال أنها عرفت بأرض أبناء آرام وبعدئذ بأمربكاً .

واذا نحن أمعنا النظر في هندسة كل قارة على حدة رأينا أولاً ان حدود افريقية حتى التجويف الذي يلي خط الاستواء تلتئم مع التقوس المشاهد في تكوين أميركا الجنوبية على موازاة الدرجة ذاتها • وإثباتاً لذلك نرى أيضاً ان كل ما في القارة الأميركية من حيوان ونبات ، يؤيد نظرية انفصال هذه القارة عن الشرق ، وقد عثر الأثريون في بيرو على عظام حيوانات متحجرة منها الأسود مثلاً والمعلوم أن الأسد انقرض من القارات الأميركية منذ قرون ولم يبق له أثر ، وهو لا يزال كثيراً في افريقية •

حلت بالأرض كوارث طبيعية ذات أثر بعيد ، فغمرتها الثلوج والجليد ، وعمرتها زلازل عبثت بوحدة تكوينها فانقلبت وانفتحت فيها حفر وأخاديد عميقة وشقوق واسعة ، غمرها ذوب الثلوج والجليد ، وهكذا نرى أن الأماكن المرتفعة عن سطح المياه بقيت متصلة ولكن حيث بعد مدى انقراج الأخاديد كان الاتصال بالغاً .

وإذا نحن حللنا كلمة Okéanos التي أطلقت على البحار الكبيرة التي تفصل بين القارات وجدنا معناها واضحاً في لغة السومريين فمعنى ( O ) ماء البحر و ( Ki ) الأرض ، و ( A ) مجرى أو نحو و ( Nu ) يحيط .

وعلم اللغة يحدد كلمة Oceano كما يعرفها اليونان Okeanos

« Ho Perrircôn tèn Oikumenèn » .

ومعناها : النهر الذي تجري مياهه حول الأراضي المأهولة .  
وانتلاق القارة الأميركية وابتعادها عن القارات الأخرى قد حصل تدريجياً ، وهذا ما تؤيده نظرية العالم الألماني الفريد وجنيس Alfred Wegenes القائل بانفصال القارات بعد أن كانت متصلة بطريقة الحالية ، خركة دوران الأرض وقوة الجاذبية والتيارات الأوقيانوسية المتتالية ، الى ما سوى ذلك من القوى التي تعمل على تفكك الكتلة الأرضية كانت عوامل بل أسباباً طبيعية لاتصال أميركا وابتعادها غرباً وتكون الأوقيانوس الأتلتيكى بحيث شغل المكان الذي كانت قبلاً تشغله أرض أميركا . وما حصل لأمركا حدث أيضاً لأستراليا والقطين الشمالى والجنوبى .

وليس تمدن قبائل المكسيك القديمة وقبائل اوتوميس وناحواس وآزتكا والمايا وكينشز ومويسكا والانكا وإيمرا وشيموس سوى استئناف لمدينة الشعوب الأولية التي قطنت الأتلتدا . وما هذه الأتلتندا العجيبة سوى أميركا التي ابتعدت عن جزر الكنارياس .

والمخطط الذي وضعه سياستيان مونستر سنة ١٥٤٠ يتضمن أميركا ويشير إليها بالاسم الذي كانت معروفة به في ذلك العصر وهو *Nouus Orbis* وفي وسط مخطط أميركا الجنوبية تقرأ هذه العبارة : « جزيرة اتلتيكا »

• *Jusula Atlantica, Quam Vocant Brasili et Americam*

ومعناها : ان Atlantida هي أميركا بما فيها البرازيل •

\* \* \*

### الخلاصة :

يستدل من المعلومات المتقدمة ان هجرة أبناء الشرق من المصريين والمصريين وسواهم من القبائل المتعددة قد انتهت الى أميركا ، وفيها أبدعت مدينة لم تختلف في أول أمرها عن مدينة الأمم القديمة ، غير انه باتقطاع سبيل الهجرة أخذت تلك المدينة تتفقر تدريجياً وخمد نشاط أولئك المغتربين وضؤل ذكؤهم حتى انتهى أمرهم الى التوحش والتناحر ولا يزال هذا حالهم الى يومنا هذا ١٠ هـ •

مورج ليل





## سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام .

- ٣ -

### تفضيل الروايات :

نبدأ أولاً بالروايات التي زعمت أن خالداً دخل الشام عن طريق تدمر وقد اعتمد عليها كاتبنا في ودي خويه كما سبق بيانه .

أولاً — رواية الواقدي وفيها أن خالداً خرج من سوى الى الكوائل وأتى بعد ذلك قرقيسيا وأرك ، ثم دومة الجندل فقسم فالتريتين فحوارين حتى بلغ مرج رهط والكوائل كما أثبتت موسل في خريطة محل ماء واقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي ( الميادين ) أما قرقيسيا فهي مدينة قديمة واقعة على ضفة القرات اليسرى في مصب الخابور وذهب موسل الى ان قسم في ( خان المنقورة ) على طريق ( تدمر - دمشق ) الروماني على بعد ستين كيلومتراً شرقي ، شمالي شرقي ضمير . وهو Casama الرومانية . وذكرها بواديارد في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام ، بقربة النبك <sup>(١)</sup> على طريق ( حمص - دمشق ) الروماني . وقصة النبك واقعة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق . وذكر دوسو أيضاً في كتابه « طوبوغرافية سورية التاريخية القديمة والوسطى » في صفحات ٦٤ : ٦٦ ان Casama هي قصة النبك وأثبتها في الخريطة المربوطة بكتابه <sup>(٢)</sup> .

(١) المجلد الثاني لكتاب (آرروماني في بادية الشام) يتضمن الخرائط والرسوم والمصور.

(٢) Topographie Historique de La Syrie, Par René Dussaud, 1927.

لهذا ينبغي أن تعتبر قصة أو قسم القصة الحالية نيك على ما ذهب اليه الكاتبان الفرنسيان الاخصائيان . أما موقع أرك فقد ذكرها ياقوت في معجمه وقال هي مدينة صغيرة في طرف بيرة حلب قرب تدمر وهي من فتوح خالد ابن الوليد عندما سار من العراق الى الشام . وهي (ورك) الحالية و (Harac) الرومانية في شمالي شرقي تدمر على بعد خمسين كيلومتراً على الطريق الروماني القديم بين تدمر والرصافة . وكان فيها حصن روماني لحراسة الحدود .

ولنبعث الآن في رواية الواقدي ولتتحقق من صحتها . قال الواقدي ان خالداً خرج من سوى الى الكوائل والمسافة بينهما خطأ مائتان وخمسون كيلومتراً . والمسافة بين الكوائل وقرقيسيا ثلاثون كيلومتراً . واذا صدقتا الرواية فيكون خالد قد شرق من سوى الى قرقيسيا وبها بلغ ضفة الفرات ، ثم توجه غرباً الى أرك والمسافة بينهما خطأ مائة وخمسة وثلاثون كيلومتراً . وذهب من أرك الى دومة الجندل والمسافة بينهما خطأ خمسمائة وخمسون كيلومتراً ، هذا اذا فرضنا انه توجه الى دومة الجندل رأساً ، متوجهاً نحو الجنوب قاطعاً البادية . وزعم الواقدي ان خالداً سار من دومة الجندل الى قسم والمسافة بينهما خطأ أكثر من خمسمائة كيلومتر . ولم يذهب من قسم الى مرج راهط رأساً بل توجه شرقاً الى القريتين ثم عرج على حوارين وانتهى أخيراً الى مرج راهط . والمحل هذا واقع قريباً من قرية عذراء أو عدرا الحالية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً شمالي ، شرقي شمالي دمشق . ويبدو من المسافات التي ذكرناها ان خالداً بعد تفويذه الى سوى وقد قرب من دمشق نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً وبلغ حدود الشام شرق وغرب وتزل جنوباً وصعد شمالاً . وبذلك قطع أكثر من ألف وخمسمائة كيلومتر على أقل تقدير يضاف الى ذلك المدة التي قضاها في القتال والحصار والفتح وعقد الصلح وغير ذلك من الأعمال . وقضى هذا الوقت الطويل مشرقاً ومغرباً تاركاً هدفه الأصلي وهو الاجتماع بالمسلمين في

الشام ، قبل أن يهاجمهم الروم بمجموعهم . والذي يدرس الرواية على الخريطة ويثبت الأماكن يتجلى له ان رواية الواقدي حشروا في رواياتهم فتوحاً تمت على يد خالد قبل سفره من العراق وفتوحات أخرى تمت بعد انضمامه الى المسلمين واشتراكه معهم في الحروب التي وقعت سنة ثلاث عشرة هجرية . ومن المعقول أن يتوجه خالد ، بعد وصوله الى سوى ، قاصداً الى الشام وبلاني جمع غسان في مرج راهط . لهذا اذا تقعنا الرواية من أعمال خالد قبل سفره وأعماله بعد حروبه في الشام ، تطابق الرواية الواقع وتدل على أنه خرج من سوى وتوجه الى مرج راهط .

ثانياً رواية المدائني : روى المدائني أن خالداً بعد أخذه أمر أبي بكر بالشخوص الى الشام توجه الى صندوداء فقاتل من فيها ، ثم لقي جمعا في المصيخ والحصيد ثم نوز من قراقر الى سوى ، ثم أتى أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم حتى انتهى الى مرج راهط . وهو في طريقه هذا يقاتل ويحاصر ويصالح . وبدعي أن الذي يقرأ هذه الرواية ولا يعلم محل قراقر وسوى يظن أن خالداً سار الى الشام على ضفة الفرات اليمنى ، من ناحية البادية أي طريق القوافل من الأنبار الى السخنة فأرك ، تدمر ، حوارين ، فقصم وانتهى الى مرج راهط وهذه الطريق طويلة وتكثر فيها المياه .

ولنثبت المواقع التي وردت في رواية المدائني . أما صندوداء ولم يثبتها ياقوت واكتفى بذكر الوقعة ، فقال ان خالداً سار يريد الشام فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتلهم . وثبت موصل صندوداء في محل المشهد الحالي الواقع شرقي الرمادي على بعد خمسة كيلومترات وذكر ابن منقذ في كتابه الاعتبار انها كانت ضاحية من ضواحي الأنبار وذكر كتاب المرصد انها في الضفة الغربية للفرات في أعلى الأنبار .



لم تضبط المعاجم والتقاويم المصنوع والحصيد وذكر ياقوت ان المصنوع بين حوران والقلت ، وحوران هذا هو وادي حوران الذي يجري من بادية الشام ويصب في نهر الفرات بين جبّة وآلوس . وأضاف الى ذلك مصنوع بهراء فقال ان خالداً ورده بعد سوى . وذكر عن الحصيد انه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة . وقال نصره انه واد بين الكوفة والشام . ولكن موصل اسند الى رواية سيف بن عمر الباحث عن فتوح خالد في الفرات الأوسط قبل بلوغه الشام والتي اعتبرها موثوقة لأنها تدل بحملتها على أن رواية سيف كانوا عالمين بجغرافية البلاد حق المعرفة .

ذكر موصل انه لم يجد المصنوع ولكنه ثبت موقع القلت وهو واد صغير يسمى الآن ( ابو قلته ) يلتقي بالفرات جنوبي هيت . والطريق بين عين التمر والسخنة يقطعه . وما دام موقع المصنوع بين القلت ووادي حوران كما أشار ياقوت أي على الطريق التي سار فيها خالد قبل التقائه بجموع تغلب في المصنوع ، فينبغي ان يكون على هذا الطريق . قال موصل انه لم يجد محلاً باسم المصنوع ولكنه وجد محلاً فيه ماء كثير ، يسمى الآن ( عين الأرنب ) وكان المحل هذا ل قبيلة نمر ورد ذكره في الأغاني<sup>(١)</sup> . لم يثبت موصل موقع الحصيد ويظهر من رواية سيف التي عرضت لغزوات خالد بين الأنبار وجبل البشير أنه أقرب الى عين التمر منه الى المصنوع ، لهذا ينبغي ان يكون شمالي عين التمر وجنوبي القلت . واذا ما درست رواية المدائني بعد تثبيت موقعي صندوقاء والمصنوع يتضح ان خالداً لما أخذ أمر أبي بكر لم يتوجه من عين التمر رأساً الى الشام وتوجه أولاً الى صندوقاء فقاتل من تجمع فيها ، ثم توجه الى الحصيد والمصنوع ولقي جمع تغلب وغيرهم فيها وتغلب عليهم ، ثم غير وجهته وذهب الى قراقرق ففوز الى سوى .

(١) البادية العربية ص ( ٣١٠ ) Arabia Dezerta .

لماذا يتوجه خالد من عين التمر الى مندوداء وقد أراد ان يركب على الشخص  
الى الشام فقطع مسافة تسعين كيلومتراً ؟ ثم توجه الى المصيخ والمسافة بين  
وبين مندوداء مائة وخمسون كيلومتراً ، لأنه مرّ ببردان والحني كما ذكره  
سيف بن عمر ، والطريق الى المصيخ يمر بها . والمعقول أن يتوجه خالد من  
عين التمر توجاً الى قراقر ، ما لم تبلغه أمور تستدعي حضوره الى مندوداء ورأى  
انه لا بد من البت فيها قبل السفر . والمسافة بين المصيخ وقراقر خطأ نحو من  
اربعمائة كيلومتر . واذا وقع هذا فعلاً فإن شخصه الى أرك بعد تفويذه من  
قراقر الى سوى لا يمكن قبوله على ما أشرنا الى ذلك حين تقدم رواية الواقدي .  
لهذا ينبغي أن تعتبر أعمال خالد في مندوداء والحصيد والمصيخ أعمالاً قام بها  
قبل استلامه أمر ابي بكر بالسفر الى الشام . أما أعماله في أرك وتدمر والقريتين  
وحوارين وقسم فلا بد أنها وقعت بعد انضمامه الى جيش المسلمين وفتح بصرى  
وأجنادين .

ويفهم من كل ما ذكرناه آنفاً ان زعم القائلين ان خالد بن الوليد شخص من  
العراق الى الشام عن طريق ( أرك - تدمر - القريتين - حوارين ) زعم خاطئ .  
واذا نظر المرء خريطة مواقع الرومان في بادية الشام والمصورات التي وضعها  
مؤلف كتاب طبوغرافية سورية في القرون القديمة والقرون الوسطى يرى أن  
أماكن الحصون والقلاع والخنادق التي أقامها الرومان على ذلك الطريق من  
الفراض الى دمشق منتشرة في شمال الطريق الروماني وإلى جنوبه وتكاد  
لا توجد قرية أو بئر إلا وعليه حصن أو معقل أو محقر . صحيح أن الروم كانوا  
قبل الفتوحات العربية قد تغلبوا على الفرس بقيادة الامبراطور هرقل وانهم لم  
يعودوا يخشون بأس الفرس ولا سيما وكانت فارس وتحتل تموج بثورات داخلية  
وانقلابات غير ان قبائل تغلب المعادية من جهة ، ومعها الأهلين الى الدفاع  
عن أموالهم وماشيتهم واعداد الروم لم من المراكز العسكرية الخطيرة كالفراض

وتدمر والرصافة من جهة أخرى لا تدعو خائداً الى المجازفة بقوته القليلة بالسير في تلك الطريق . يضاف الى ذلك أن قبائل تغلب كانت تستطيع دائماً ، كما أشار مؤرخ ، أن تطعم الآبار في طريق خالد وتفسد ماءها . فكيف يتسنى لخالد أن يحتاز أرضاً معادية له في سفره من الأنبار الى تدمر والمسافة بينهما خمسمائة كيلومتر ؟ واذا لم يسلك الطريق البعيدة عن خفة الثروات ، فينبغي له أن يمر بوادي الثروات ويصطدم بالقرى المحصنة ، ويبدو من رواية الواقدي انه لم يجرؤ على مقابلة من تجمع من أهل قرقيسا بقيادة بطريقها فتركهم وانحاز الى البر . يمكننا بتضج بما ذكرناه آنفاً ان الأعمال التي قام بها خالد والتي حدثت في أماكن بعيدة عن طريق سفره الى الشام سواء أكانت طريق ( الحيرة - قراقر - سوى - مرج راهط ) أم طريق ( عين التمر - قراقر - سوى - مرج راهط ) ما هي الا فتوحات وقعت قبل سفره أو بعد سفره . وقدما القول ان الطرق التي تقطع بادية الشام من الشرق الى الغرب لا يصح الركون اليها في سفر خالد لأن مياهها قليلة لا تستطيع الخيل أن تسير فيها .

### السبب الذي حدا بخالد على التفويض :

أي الطريقين سلكهم - خالد ؟ طريق ( الحيرة أو عين التمر - قراقر - سوى - مرج راهط ) أو طريق ( الحيرة أو عين التمر - دومة الجندل - قراقر - سوى - مرج راهط ) . وما هو السبب الذي حمل خالداً ، بعد بلوغه قراقر ، أن يفوز الى سوى بدلاً من ان يسير في طريق القوافل المارة بوادي السر ، التي تنتهي بصري أو بأذرعات ؟

روى ابن اسحق أن خالداً أخذ كتاب ابي بكر في الحيرة فتوجه الى عين التمر ومنها سار الى قراقر ففوز الى سوى ثم توجه الى مرج راهط . لم يذكر ابن اسحق المنازل التي تزل بها خالد بين عين التمر وقراقر . ترى هل سار



بطريق (عين التمر - الأخدمية - الخفية - الخلط - قراقر) التي ذكرها ابن خرداذبه وثبتها موسل بالأسماء الشائعة الآن ، أي (عين التمر - شعيب الحندمية - غدير الخليط - خفاية لاهة - قراقر) ؛ أم انه سار بطريق (الحيرة - الرهيمية - البنيت - القراي - الخنفس - الحسية - الفرقة - القراقر) ، وقد ثبته موسل بالأسماء الشائعة كما يلي : (الرهمية - البريت - غدير الغرابي - عمارة الخنفس - يريكة أم أحسية) .

أما الطريق الأول وهو الطريق الشمالي فلا يختلف كثيراً عن الطرق الشمالية الأخرى التي تقطع البادية من الشرق الى الغرب لأن الماء فيها قليل لا ينأى لقافلة كبيرة أن تسير عليها ، لاسيما اذا كان فيها خيل . أما الطريق الثانية فمع أنها أحسن من الطريق الأولى فلا يحتمل ان خالداً سلكها . ولو لم يذكر سيف بن عمر والواقدي وموسى بن عقبة ومصعب بن عبد الله في رواياتهم ان خالد بن الوليد مر بدومة الجندل لجاز لنا ان نغفل الى أن خالداً سلكها . وقد أيد موسل ان الماء مفقود فيها في مسافة اربع مائة وخمسين كيلومتراً أي من البريت الى قراقر ، لهذا من المستبعد جداً ان يمر بها خالد والموسم كما سيتضح لنا بعد حين ، ليس موسم امطار . اذن لم يبق الا طريق (الحيرة - دومة الجندل - قراقر - سوى - مرج زاهط) والقسم الأول منه الى قراقر تسير فيه القوافل وفي منازلها مياه كثيرة في الآبار والبركات الكبيرة . انه طريق طويل ولكنه امين .

قلنا ان ابن اسحق لم يذكر في روايته المراحل بين عين التمر وقراقر وبدل هذا السكوت على ان خالداً مر بالطريق العادية اي طريق (الحيرة - دومة الجندل - قراقر) بحيث لم ير الرواة حاجة لذكر المنازل لأنه لم يحدث فيه احداث من قتال او فقدان ماء مما يستدعي ان تبقى محفوظة في محفوظ الرواة

فينقلوها ولا سيما اذا اعتبرنا ان فتح عين التمر الذي ذكره ابن اسحق تم قبل ان اخذ خالد كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام .

وهذه الطريق تبدأ من الحيرة مارة بالرهبة والقرعاء ووقصة وحبكة والصوير وسكاكة والقارة وتنتهي بدومة الجندل ، ثم تمر بوادي السر الى قراقر .  
والقرى والمياه موفرة في الوادي الذي يعد من الواحات المشهورة في بادية الشام لكثرة المياه فيه . وتبلغ المسافة من الحيرة الى قراقر أكثر من مئة وخمسين كيلومتراً .

ما هو السبب الذي حدا بخالد على ان يترك الجادة بين دومة الجندل وبصرى وهو الطريق الممتدة نحو الشمال الغربي وينحرف من قراقر الى الاتجاه الشمالي وينفوز الى سوى في ارض : « اذا مارس فيها الجيش بكى ما سار فيها من قبل إنسي يرى »

ويبدو من رواية ابن اسحق ان الدليل ( رافع ) حذر خالداً من اجياز هذه المفازة وقال له : « انك لم تطلق ذلك بالغيل والأثقال . والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مفوزاً ؛ انها خمس ليال جياذ ، لا يصاب فيها ماء مع مضلتها . » وعلى الرغم من تحذير رافع هذا لخالد فانه أصر على رأيه . ويتضح من رواية سيف بن عمر ان رجال خالد بعد ما سمعوا أقوال رافع ترددوا ، الى أن قام خالد بهم خطياً ، مشحذاً لهمتهم . لم يذكر ابن اسحق سبب انحراف خالد عن الجادة ولكن سيف بن عمر ذكره بقوله ان خالداً كان يريد طريقاً يخرج به وراء الروم ولا يريد ان يستقبلهم فيمنعونه من غياث المسلمين .

لا نعلم على وجه الصحة المواقع التي كان المسلمون مجتمعين فيها في الشام أثناء سفر خالد . والذي أثبتته الروايات ان خالد بن الوليد لما خرج من مرج راهط وانتهى الى قناة بصرى التقى بالمسلمين فيها . واختلفت الروايات فمن كان

حاضراً في بصرى . فابن اسحق روى ان ابا عبيدة بن الجراح وشرحيل بن حنة  
 ويزيد بن ابي سفيان كانوا على بصرى . اما رواية سيف بن عمر فتخص على  
 ان خالد بن الوليد ، وحده فتح بصرى . ولم يذكر الواقدي من كان من  
 المسلمين في بصرى واكتفى بأن قال انه قيل ان خالداً أتى الجاية وبها ابو عبيدة  
 في جماعة ، فالتقيا ومضيا جميعاً الى بصرى . وأما المدائني فتنتهي روايته بوصول  
 خالد الى مرج راهط ، وروى موسى بن عقبة ان خالداً قدم الشام وبه يومئذ  
 ابو عبيدة . واكتفى اليقوي بقوله ان خالداً بعد ان فوز وافي المسلمين فافتتحوا  
 بصرى . وروى اللالطائي ان خالداً خرج من ضمير فوجد المسلمين في الجاية .  
 وذكر ابن عساكر ان ابا بكر أمر خالداً ان يأتي الشام فيلقى بها ابا عبيدة ومن  
 معه من المسلمين . واكتفى ابن خلدون بالقول ووافي خالد المسلمين مكانهم  
 عندما وصل ماهان الروم ايضاً .

لا جرم ان من الصعب اثبات مواقع جند المسلمين في الشام اثناء سفر خالد .  
 اما ان يكون جند المسلمين في الجاية حين وصول خالد الى الشام فلا نجس  
 انه صحيح ، ومن أشاروا الى ذلك كانوا رواة جعلوا معركة اليرموك في سنة  
 ثلاث عشرة من الهجرة وذكروا أنها كانت بعد وصول خالد الى الشام .  
 على حين ثبت ان معركة اليرموك وقعت في سنة خمس عشرة وان معركة اجنادين  
 وقعت في جنوبي فلسطين سنة ثلاث عشرة ، أي بعد نجدة خالد جيش المسلمين<sup>(١)</sup> .  
 ورواية أن ابا عبيدة كان في بصرى قيل وصول خالد اليها ، رواية تحتاج  
 الى تمحيص ، لأن خبر مجيء ابي عبيدة الى الشام في سنة ثلاث عشرة غير  
 متفق عليه . والثابت ان ابا بكر أوفد ابا عبيدة الى الشام بعد تسريح الجنود  
 اليها بمدة غير قصيرة . وهناك ما يشير الى أن ابا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة  
 فاستغناء من ذلك .

(١) أنقضنا في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ( العدد الثاني ) .



ذكر البلاذري ان الثابت ان عمر ولى ابا عبيدة الشام كله حين استخلف .  
ومن المعلوم ان عمرو بن العاص لما لقي مقاومة عنيفة في جنوبي فلسطين انسحب  
الى القصر ، الواقع في وادي العرب في انتظار ورود المدد ؛ ولعل شرحبيل بن  
حسنه الذي وجهه ابو بكر الى كورة الأردن كان معسكراً قريباً من القصر .  
اما يزيد بن ابي سفيان الذي وجهه أبو بكر الى اللقاء فكان يقيم مع جنده  
فيها ، ينتظر ورود خالد . لهذا نحسب ان خالداً عندما وافى قناة بصرى كان  
يزيد بن أبي سفيان قد وصل اليها بعد أن بلغه خبر وصول خالد الى الشام .  
ويجوز ان خالداً بعد وصوله مرج راهط وتغلبه على الفسانيين أرسل رسولا الى  
يزيد بن أبي سفيان وطلب اليه أن يتقدم نحو بصرى .

يتراءى لنا أن جند العرب كانت معسكراً في شرقي الأردن من القصر  
الى اللقاء . وفي رواية سيف بن عمر أن خالداً كان يريد أن ينفذ الى الشام  
من محل ليس للروم فيه معازل وحصون حتى لا تجبه عن نجدة المسلمين .  
وقد يسأل سائل لماذا لم ينفذ خالد الى المسلمين ، اذا كان يعلم انهم مرابطون  
في شرقي الأردن ؟ فيتوجه غرباً من الطريق الأقصر ، والمسافة بين قراقر  
وموآب ( قرب الكرك ) مائتان وستون كيلومتراً أي من أربع مراحل .  
وبدل صدوف خالد عن الذهاب الى موآب انه علم ان المسلمين لم يكونوا فيها ،  
وانما تقدموا الى الشمال .

ولا يستطيع خالد أن ينفذ الى المسلمين من هذا الطريق من دون ان  
يصطدم بالحصون والقلاع والمخافر التي كانت تحمي شرقي الأردن من جهة البادية .  
ولم تكن هذه البلاد وقتئذ تحت سيطرة المسلمين لأنهم كانوا في بداية الفتح .  
ويظهر من الروايات ان قصة موآب لم تفتح الا بعد سقوط بصرى . أضف  
الى ذلك أن الروم بعد اصطدامهم بالمسلمين في جنوبي فلسطين لا بد أنهم احتاطوا  
فسدوا منافذ البادية من جهة الشرق وحشوا أهل البلاد على الدفاع عنها بالاشتراك

معهم . لهذا لا يعقل ان خالداً بعد وصوله الى قراقر متكتماً ، يقتحم بلاد الشام في منطقة لا بد له من الاصطدام بمحصونها ومناجزة أهلها . ويتضح من عزمه على النفوذ الى الشام بطريق ( قراقر - سوى ) انه كان يرى مباغته الروم في النفوذ اليهم من باب لم يتوقعوا ان يتسلل المسلمون منه .

ذكر موسى في كتابه البادية العربية<sup>(١)</sup> : ان البدو يدخلون الشام من بادية الشام من منفذين : المنفذ الأول في جنوبي غربي بصرى وجبل حوران . والثاني في شمالي شرقي دمشق بين سلسلة الرواق وتلول الاعطيات . وفي المنفذ الأول تحدد شعبان الزرقاء من جهة وجبل حوران من جهة أخرى حركة البدو . لقد خطط خالد في اول الأمر ان يدخل سورية من المنفذ الأول ، ولما علم ان العدو يستد منافذه غير اتجاهه الى المنفذ الثاني أي انه يمروره بطريق ( الحيرة - دومة الجندل )<sup>(٢)</sup> أراد أن يسلك وادي السر حتى يبلغ أذرعاء وهي باب الشام من الجنوب الشرقي .

واذا سهل الوصول الى المنفذ الأول بالمرور من وادي السرحان وفيه مياه كثيرة ، فمن المتعذر الوصول الى المنفذ الثاني الا بعد هطول أمطار غزيرة في الشتاء تملأ الأودية والجواري . شبح جبل حوران بقممه بين المنفذين المذكورين ، في شرقه المنطقة البركانية الخفيفة التي قامت حائتها سوراً أسود يتجه في سمت الشمال . ويبلغ عرض المنفذ الأول نحو ثلاثين كيلومتراً يحده من الغرب جبال الزرقاء الوعرة ومن الشرق الحمم البركانية ولقد شيدت قلعتا بصرى وعمان وأقيمت حصون الحراني والأزرق والحلابان للدفاع عنه . وكان الروم يحتلون

(١) البادية العربية Arabia Deserta ص ( ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ ) .

(٢) تشير رواية عبد الوهاب بن مبارك الى ان خالداً سار من الحيرة الى قراقر

بطريق دومة الجندل ، ابن عساكر : الجزء الثاني ( ص ١٢١٩ ) .

هذه القلاع والحصون ، وكان العرب المنتصرة يرابطون في أطرافها . ولا بد من أن بخالداً علم ذلك من عيونه .

يقع ماء قراقر على الطريق الموصل الى المنفذ الأول ، بينما تقع سوى على الطريق الموصل الى المنفذ الثاني . والذي يسير من قراقر الى سوى يتوجه أولاً الى الشمال الشرقي ويسير خمسين كيلومتراً في منطقة بركانية ، ثم يجتاز مفازة طولها خمسة أيام متوجهاً الى الشمال من دون انحراف . وفي الأيام الأربعة الأولى يشاهد المسافر عن يساره كتلاً من اللحم ، قامت فيها قنن منفردة ، وعرة تهدي خطاه . وفي بداية اليوم الخامس يرى ان اللحم توجهت الى الشمال الغربي نحو المنفذ الثاني . وينبغي له هنا ان يترصّد الأطراف بدقة للعثور على الوادي الضحل وفيد آبار ( سبع يار ) .

ويظهر مما ذكره موسى ان للقادم من بادية الشام منفذين للدخول الى أرض الشام ، منفذ جنوبي بين جبل حوران في الشرق وجبل عجلون في الغرب ومنفذ في الشمال بين سلسلة الرواق الممتد نحو الشمال الشرقي من ضمير الى تدمر وبين الحرات التي تبدأ من جنوبي ضمير وتمتد الى الجنوب موازية جبل حوران حتى جنوب قراقر . ويستطيع المسافر المنفرد أو جماعة ان يدخل الى بلاد الشام من محال أخرى ولكن قوة كبيرة فيها فرسان على ظهور الخيل لا تنفذ الى الشام إلا من المنفذين المذكورين لأن طريق دومة الجندل وطريق تدمر هما طريق القوافل لنقل التجارات بين العراق والشام .

ويلوح لنا أن خالد بن الوليد اعتزم حين استلامه أمر أبي بكر أن يسير الى الشام من طريق دومة الجندل وكان قد افتتحها في السنة الماضية ووطد أقدام المسلمين فيها ولا بد أن أهلها ذكروا له أخبار القتال في جنوبي فلسطين وحشد الروم جيوشهم واستنفارهم للغاتيين . والعرب المنتصرة الآخرين وانزالهم للمرتزقة العرب في بعض الأماكن والحصون . لقد ذكر ثوقانوس ان العرب كانوا

نافرين من بيزنطية لأنها قطعت أعطياتهم بسبب ضعف المالية في الامبراطورية بسبب حرب الفرس . وزعم ان هذه النفرة ساعدت المسلمين على فتوحاتهم صحيح ان بيزنطية لم تكن في وضع مالي حسن وانها لم تستخدم المرتزقة كالسابق بعد انتصاراتها العظيمة على الفرس في عهد هرقلوس ولكنها حين علمت بتفرد العرب جنوبي الشام كان ينبغي لها ان تستخدم بعض المرتزقة وتقدم الأعطيات للفسانيين وغيرهم ممن خدموها في حروبها مع الفرس . وهناك روايات تشير الى ان خالد بن سعيد حينما توغل في مشارف الشام من دون أن يحتاط ، باغته العرب من مناصري الروم ودمموه . ولا يستبعد أن خالدًا علم من أهل دومة الجندل أخبار الروم فأدرك أن الدخول الى الشام في النفذ الجنوبي صعب وأنه ليس من الحزم المجازفة بقوته في اختراق الحصون التي توعد في وجهه باب ذلك النفذ ، كقلعة بصرى وغيرها . ولعل أخبار الروم وصلته في طريقه من دومة الجندل الى قراقر ، لأن أهل وادي السركا نوا على اتصال مستمر بالشام . ولما وصل قراقر اختبرت في رأسه فكرة الدخول الى الشام من منفذ آخر يخرج منه وراء جموع الروم ، فطلب الى الدليل رافع بن عميرة الطائي أن يبدله على الطريق ، فعزم أن يقطعه رغم الصعوبات التي سيلاقها في طريقه هذا . ونشأت الصعوبة في قطع المفازة بين قراقر وسوى في تدبير الماء للخيال لأنه ليس في المفازة ماء ولأن الوقت ليس موسم الأمطار كما سيظهر لنا .

### كيف دبر خالد أمر الماء في قطعه المفازة ؟

لقد دبر أمر الماء على الطريقة التي كانت شائعة في غزوات البدو . والبدو كان من عادتهم اذا اضطروا الى اجتياز مفازات في غزواتهم يجعلون أجواف بعض إبلهم مخازن ماء سيارة ، لاسيما اذا أرادوا أن يباغتوا عدوهم ويخرجوا اليه من أماكن لا يتوقع خروجهم منها . وطريقة تدبير الماء تلخص



في ارواء الجبال العظام ، السمان المستة ، بعد أن يظمان أو يجهدن العطش وذلك بستقيين نهلاً وعلاً ، ثم يشد أفواههن حتى لا يجتررن فيفسدن ما في كراشهن من الماء .

وفي هذا الصدد ذكر موسى<sup>(١)</sup> ما يلي : « ان البدوي اذا أراد أن يبيع ظئاً الناقة يأخذها الى محل الماء ويعقلها قريباً منه ويصب الماء في الوعاء الذي تشرب منه ، ثم يضرب الماء يراحتة ، ويخرجها على الشرب بالشدي ( أغنية قصيرة ) وبصفيق خاص . ترى الناقة كل ذلك وتسمعه ولكنها لا تستطيع الوصول الى الماء ، لهذا تمد أذنيها شوقاً الى الماء . يتدرب كثير من الابل بهذا التحريض والتصويت وهي تفهم بسلقتها انها تعدل لسفر طويل في صحراء قاحلة وان عليها أن تشرب وتعب كثيراً . واذا عقلت التوق وسمعت ما اعتادت سماعه من التصفيق والغناء مدت آذانها نحو الماء وأظهرت لفتها الى الماء بأنين خاص . ويقدر ما يكون الماء قريباً منها فان المرحلة أمامها طويلة وانها لن يشرب فيها على ماء . واذا أحل عقالها أسرع الى الوعاء وشربت جرعات طويلة كبيرة . فيصب صاحبها الماء في الوعاء ما دامت تشرب . ثم يعدها عن الماء ويتركها ترعى . ولشدة ما يجهدها العطش ، تخرج ، ثم يفك عقالها فتشرب مرة أخرى . وهذه الطريقة تشرب الناقة السينة العظيمة من ستين الى سبعين لتراً من الماء . وأخيراً يشد أفواهها لكيلا ترعى وتجتري فينخلط الماء بالكلاً في أكراشها » . هكذا تُسقى في المرة الأولى نهلاً وفي المرة الثانية علاً .

ويتضح مما قاله موسى ان كاتباني لم يصدق الروايات القائلة بشق كراش الابل في كل يوم وشرب ما في كراشها رغم اجماع الرواة . وعد خبر الروايات هذه من نسج الخيال ، وقال انه اذا كان الغرض هو حمل الماء ، فلا حاجة لهذا العمل القبيح ، لأن الجمل يحمل على ظهره من الماء أكثر مما يشربه مرات .

(١) البادية المريية ، ص ( ٥٧٠ ) .

ولكن موصل شجب قول كاتباتي قائلاً : ان كاتباتي نسي ان القرب كانت مقودة عند خالد ، لأنه حينما غادر الحيرة لم يأخذ القرب معه ، لأن الطريق التي سار بها من الحيرة الى قراقر كانت عامرة بالمياه للرجال والخيول والجمال . ولكنه حينما اعتزم في قراقر أن يفوز الى سوى كان لا بد له من أن يفكر في سبي الخيل في المفازة لأنها لا تحمل العطش .

والاوبل اذا سقيت نهلاً وعلاً على الطريقة المذكورة فانها تحمل العطش . وفي وسع الرجال أن تحمل ماءها على ظهور دوابها . وليست قراقر بلداً توجد فيه القرب وفيها الماء فقط . لهذا استعمل خالد الطريقة الشائعة في البادية . ويبدو مما ذكره موصل أنها لا تزال شائعة عندم . واذ لم تكن القرب متيسرة في قراقر حملت الاوبل الماء في جوفها بدلاً من أن تحمله على ظهورها . وذكر موصل انه ليس في عمل خالد ذلك شيء يستدعي العجب ، لأن قوته كانت بحاجة الى الطعام ؛ فالاوبل التي تنخر وتشق بطونها بأكل الجند لحومها . أما الماء الذي يستخرج من كراشها فيعد ركوده يصلح لشرب الخيل واذا ما مزج بلبن النوق كما أشار اليه سيف بن عمر في روايته يشربه الرجال .

واذا كان عدد الاوبل التي استخدمت للماء وللنحر خمسين دابة وشرب كل منها ستين ليتراً من الماء فتكون قد حملت ثلاثة آلاف لتر من الماء ، أي ما يكفي لارواء مائة جواد خمسة أيام . وأضاف موصل قائلاً ان أرض المفازة اذا أمطرت في الشتاء يسقط الجواد على الكلاً وهذا ما يجعل ستة لترات من الماء ترويه يوماً .

وبعد أن دبر خالد أمر الماء تقدم نحو سوى . لم يذكر ياقوت اسم سوى . أما البكري فقد رسم سوى بفتح أوله ؛ ويظهر مما كتبه انه ماء ولكنه لم يحدد موقعه . وفي بيت للتأبنة انه في ديار كلب :

فجالة التأبنة أو سوى مضنة كلب من مياه المناظر ؟

وقد جعله موصل كما تقدم في أرجاء سبع يار على طريق السيارات بين الرطبة  
وخان ابي الثامات . وقد شيد الافرنسيون فوق الراية المشرفة على الشعب  
مختراً للدرك . والمختار يرى على يمين الطريق للقادم من الرطبة والبدو يلفظونه  
كما رأى موصل بسكون أوله . وفي رواية لبيف بن عمر ان 'محرز بن جريش  
المحاري ولعله من أهل تلك الديار قال لخالد: « اجعل كوكب الصبح على جانبك  
الأيمن » أمه تفض الى سوى . « وقد أكد عبد العزيز العقيلي ان المسافرين من  
قراقر اذا وضع نجمة الصباح على جانبه الأيمن يصل الى سبع يار .

طه الهاشمي

( يتبع )

## تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٤ -

### ٥ - القمّي المفسر :

ومن بحث هذا الموضوع في هذا العصر القمي حسن بن محمد ( ٣٢٨ )  
المفسر وقد سبق أن ذكرنا أنه يعالج الموضوع على طريقة المتكلمين أكثر مما  
يعالجه على طريقة المفسرين . وكان مثالا لغيره من المفسرين الذين وسعوا ميدان  
علم التفسير باستمداد بعض براهينهم من علم الكلام وعلم الفلسفة ، وأشرنا الى الفرق  
بينه وبين الطبري في بحث هذا الموضوع .

وذكر عبد العلم الهندي ( في مقاله السابقة ) أن القمي يؤكد بأن طبيعة  
هذه المعجزة يمكن فقط أن تعرف ولا يمكن أن توصف شأن القطعة من الذهب  
الصافي أو جمال الوجه . وكل شخص - في رأيه - يقول غير هذا وينكره  
ويحاول أن يبرهن أن الإعجاز كان بالصرفة أو الخروج عن أنواع الكلام  
المعروفة أو الخلو من التناقض أو الإخبار عن الغيب هو مخفي مطلقا .

### ٦ - الواسطي الأديب المتكلم :

يؤلف في هذا العصر أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي ( ٣٠٦ ) كتابا  
في إعجاز القرآن الياني يقول فيه : إن القرآن معجز بالنظم . والكتاب مقتود .  
ولم أجد من تكلم عن فكرة المؤلف بالتفصيل . وذكره الرافعي قلم يزد على أن  
قال إنه قد سبق عبد القاهر الجرجاني الى التأليف في هذا الوجه من الإعجاز  
وإنه أول من جود في هذا المذهب - أي مذهب أن القرآن معجز بالنظم -



ثم تبعه الرماني ( ٣٨٢ ) وأنه - أي الواسطي - بسط القول فيه على طريقتهم في التأليف . وذكر الرافعي كما ذكر عبد العليم الهندي أن الجرجاني شرح كتاب الواسطي شرحاً كبيراً سماه « المعتضد » وشرحاً أصغر منه وذلك قبل أن يضع كتابه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » . ويعقب الرافعي على ذلك بقوله : « ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ كما بنى عبد القاهر في دلائل الإعجاز على الواسطي » . ومن الواضح أن الرافعي بدلي بحكمه هذا وليس بين يديه كتاب الواسطي ( إعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣ ) . ولا ندرى علامَ اعتمد الرافعي في قوله بأن الواسطي هو أول من جوء في هذا المذهب .

### ٧ - الرماني الأديب المتكلم :

ومن ألف في الإعجاز في هذا العصر علي بن عيسى الرماني وقد ذكر كتابه صاحب الفهرست ومنه نسخة في استامبول حصل على نسخة منها عبد العليم الهندي وقال ( في مقالته السابقة ) : إنه سيطيحها قريباً .

وقد ذكر الرافعي أنه المؤلف الثالث الذي ناصر قضية الأسلوب والنظم بعد الجاحظ والواسطي وقال إنه بذلك رفع الرأي درجة ثالثة . ( إعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣ ) .

وذكر ابن سنان الخفاجي ( في كتابه مر الفصاحة ) رأي الرماني في الإعجاز فقال إن الرماني جعل مراتب الكلام في تأليفه ثلاثاً : متافراً ومتلائماً في الطبقة الوسطى ومتلائماً في الطبقة العليا والقرآن كله متلائم في الطبقة العليا وذلك يتن لمن تأمله والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى وبفهم من هذا أن الإعجاز عند الرماني يقوم على تلاؤم الألفاظ .

وذكر يحيى اليمني صاحب الطراز رأي الرماني في الإعجاز ( كتاب الطراز

ليحيى اليميني ج ٣ بحث الإعجاز ، في نقد المذهب السابع ووجوه الإعجاز ) فقال عند تقديمه مذهب القائلين بأن القرآن معجز ببلاغته : « وإن أرادوا أنه يُلغى بالإضافة إلى معانيه دون ألفاظه فهو خطأ لأنه صار معجزاً باعتبار ألفاظه ومعانيه جميعاً ، وغالب ظني أن هذا المذهب يحكى عن أبي عيسى الرماني » .

ونرى من هذا أن صاحب الطراز قد ألبس علينا الأمر فلم يتضح من جملة أي مذهب مذهب الرماني في إعجاز القرآن من حيث البلاغة ، أهو مذهب أن البلاغة في المعاني دون الألفاظ ، أم في الألفاظ والمعاني معاً فضلاً عن أنه بنى قوله على غلبة الظن فلا يمكن الاعتماد عليه .

وذكر السيوطي ( الاتقان ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها ) رأي الرماني فقال إن الإعجاز عنده بالصرفه والإخبار عن الأمور المستقبلية وتقض العادة بقياسه بكل معجزة وإنه فسر تقض العادة باتيان القرآن بطريقة مفردة من النظم خارجة عن العادة لما منزلة في الحسن تفوق بها كل طريقة وتنفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام وفسر قياسه بكل معجزة بما معناه أنه أدى إلى ما أدت إليه المعجزات من عجز الناس عن الإتيان بمثلا .

ونجد أن السيوطي من بين من ذكروا رأي الرماني هو أقربهم من الصواب في معرفة رأيه . فعبد العليم الهندي لخص رأيه ( في مقاله السابقة ) فذكر ما ذكره السيوطي وزاد عليه أيضاً أنه معجز لأنه لم يعارضه شخص يرغم الدواعي الكثيرة والحاجة الملحة والتحمدي العام ثم لاتصافه بالبلاغة التي يمكن إدماجها تحت اسم النظم الحسن الذي ذكره السيوطي .

وقال عبد العليم الهندي بعد أن أورد رأي الرماني : « ونرى هنا كيف أن الرماني جمع بين حجتي الأسلوب والصرفه اللذين ينفي الواحد منهما الآخر وهذه النقطة في التعارض قد ضاعت على مرور الزمن وأصبح يمكن أن يوضع نظريتان متعارضتان جنباً إلى جنب » . ثم قال :

« وبعرض - أي الرماني - في مسألة الأسلوب هذا السؤال وهو : كيف يستطيع المرء أن يكتشف أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر ؟ وأول جواب على هذا أن ذلك يتعلق بذوق الشخص والذين حصلوا على ذوق قويم في الأسلوب الربيعي هم وحدهم قادرون على التأكد من ذلك وأما العامة والأعجم فلا يستطيعون التأكد من هذه الحقيقة وإنما يعتمدون على آراء أولي العلم » .

ونلاحظ في رأي الرماني في الإعجاز اتجاهًا جديدًا وهو جمعه لكثير من النظريات التي قبلت قبله فهو لا يأخذ بناحية وينتقد الأخرى أو يرفضها بل يقبل كل ما قيل في الأمر على علاقته فكأنه في هذا يوفق بين الآراء المختلفة كما نلاحظ أن تركه مسألة الحكم في المفاضلة بين الأساليب إلى الذوق الأدبي وحده دليل على نضج ذوقه في البيان وحسن فهمه للأدب .

### ٨ - الخطابي :

ويأتي بعد الرماني معاصره الخطابي ( ٣٨٨ ) وهو ممن جمع بين الكلام في البلاغة وعلم الكلام وألف كتابًا في الإعجاز . توجد منه نسخة في ليدن وذكر رأي الخطابي في البلاغة وذكر الرأي نفسه السيوطي قبله في الاتقان ؛ قال السيوطي : ( الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ ) وقال الخطابي : « ذهب الأكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصفوا فيه إلى حكم الذوق ثم يذكر ما مؤداه أن كلام القرآن جمع بين المتضادين الجزالة والسهولة ليكون آية للنبي وإنما عجز العرب عن الإتيان بمثله لأنهم لا يستطيعون أن يحيطوا بالألفاظ في العريّة وتأدية المعاني في وجوه الكلام المختلفة وأن القرآن جمع جمال الألفاظ إلى حسن النظم وسموّ المعاني بمجموعة في كلام واحد هو كلام العليم التقدير ولم تجتمع في غيره » ثم يمدد ما تفحصه القرآن من المعاني المختلفة بالتفصيل وبخاصة إخباره عن الغيب والأمور المستقبلية . ومن الجميل في رأيه قوله : « وقد قلت في إعجاز القرآن وجهًا ذهب عنه الناس

وهو حنيئ في القلوب وتأثيره في النفوس فإنتك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا مثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه . قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية الله » وقال : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم » . وتلاحظ على الخطائي أنه جمع بين أقوال مختلفة قيلت في القرآن ولكن بعضها لا يناقض بعضاً وبديل جمعه إياها على معرفة عميقة بمجمل الكلام وبالبلاغة الحقيقية . وفهمه لما قريب مما تفهمه نحن الآن من صفات الأدب الرفيع : معاني سامية وأسلوب محكم جميل وعاطفة قوية تؤثر في القلوب . وقد أنقص من صفات هذا الأدب عنصر الخيال وربما كان ينحلّ عنده فيدخل قسم منه في المعنى وقبسم منه في الأسلوب فيكون مفهومه عن البلاغة قريباً جداً من الكمال .

### ٩ - العسكري :

يرى أبو هلال العسكري أن إعجاز القرآن يلاغته ولذلك ارتأى ضرورة دراستها . قال أبو هلال ( البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، الخولي : ص ٢٨ ) : « البلاغة إنما تدرس لأن إغفالها يؤدي إلى عدم وفهم العلم بإعجاز القرآن على وجه استدلالي تعليلي والقول في ذلك بالتقليد غير مقبول عنده ولا لائق لأنه فيتح بالتقية المؤتم به والقاري المتهدي يهديه والمتكلم المثار إليه في حسن مناظرته وتمام آله في مجادله وشدة شكيبته في حجاجه وبالعربي الصليب والقرشي الصريح ألا يعرف إعجاز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها الزنجبي والنبطي وأن يستدل عليه بما استدل به الجاهل النفي » .

وكتاب أبي هلال في الحقيقة كتاب أدبي لم يخص لفكرة الإعجاز وإنما لبيان بعض فنون البلاغة وبيان ما يجتويه القرآن الكريم منها وما يحتويه الشعر



ولهذا لا نرى له رأياً صريحاً عن الإعجاز في هذا الكتاب وإنما يستتج من المقدمة كما قلت أن الإعجاز عنده قائم على البلاغة .

\* \* \*

### نقد وتلخيص :

نلاحظ على مؤلفي هذا العصر ( الرابع الهجري ) ممن ذكرت آراءهم في الإعجاز آتفاً أنهم لم يأتوا بجديد في الموضوع وإنما دخل ميدان الحركة فيه والكلام عليه طائفة المفسرين فتحدث الطبري عن الفكرة ببساطة وبما يستدعيه فن التفسير من القول وتكلم القمي المفسر كلام المفسر المتأثر بعلم الكلام ثم نرى في هذا العصر ظاهرة جديدة لم تكن واضحة في القرن الثالث وهي أن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتباً مستقلة في البلاغة تعنى بالإعجاز وكان مؤلفوها ممن تأثروا قليلاً أو كثيراً بعلم الكلام كالواسطي والرماني والخطابي أو أدباء خلتصاً كالمسكري على حين كان الجاحظ في القرن الثالث أديباً ومعتزلاً .

ثم نرى المتكلمين كالأشعري والتوحيدي وبندار الفارسي قد تأثروا على طرق البحث كأسلانهم من قبل كما تشهد هذا العصر لم يخجل ممن رموا بما نسب الآن حرية الفكر كالتنبي الذي لم ينسب إليه فقط عدم اعتقاده بإعجاز القرآن بل رمي في حد ذاته بأنه بادعاء النبوة ومحاولة معارضة القرآن .

### القرن الخامس الهجري :

يمتاز هذا العصر بوفرة المتكلمين والمؤلفين في مسألة الإعجاز وبعد بحث عصرها النعي ولا عجب فإن هذه المسألة جزء من الحركة الفكرية العامة ومظهر من مظاهرها ، وقد نشبت في هذا العصر العلوم الفلسفية والعقلية بعد أن انتفض دور الترجمة والنقل وانتقل العرب والمسلمون إلى دور المقصم والانتاج كما نشبت العلوم والفنون اللغوية والأدبية . وأشهر من اتهم بالمعارضة فيه قايوس

ابن وشمكير أحد ملوك الديلم، وابن سينا الفيلسوف، وابن العلاء المعري الأديب المفكر المتفلسف . وأشهر علماء الكلام الذين بحثوا هذه المسألة فيه اثنان من الشيعة هما الشريف المرتضى وداعي الدعاة وثلاثة من رجال السنة هم الباقلاني وكان أديباً أيضاً وابن سراقه وابن حزم الأندلسي . وأشهر الأدباء اثنان من رجال اليان : ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وكان من علماء الكلام في أهل السنة أيضاً . وسنورد كلمة في كل واحد منهم على الترتيب .

### ١ - قابوس بن وشمكير :

قيل بأن قابوس بن وشمكير ( ٤٠٣ ) عارض القرآن وقد ذكره عبد العظيم الهندي في جملة من اتهموا بالمعارضة ودافع عنهم بما سبق أن ذكرته قبل . ومن ذكر اتهام قابوس بالمعارضة ودافع عنه الرافعي حيث يقول : « وزعم هؤلاء الملحدة أيضاً أن حكم قابوس بن وشمكير وقصصه ( وهو شمس المالقي قابوس ابن وشمكير ، من ملوك الديلم على جرجان وطبرستان ، وكان أديباً مترسلاً ) هي من بعض معارضة القرآن وكأنهم يحسون أن كل ما فيه أدب وحكمة وتاريخ وأخبار فتلك سبيله وما ندري لمن كانوا يزعمون مثل هذا . ومثل هذا قولهم : إن القصائد السبع المسماة بالمعلقات هي عندهم معارضة للقرآن بفصاحتها » . وليس بين أيدينا ما يثبت هذه المعارضة .

### ٢ - ابن سينا :

وقد اتهم في هذا العصر ابن سينا ( ٤٢٨ ) بمعارضة القرآن ولم يصلنا ما يستأنس به من نيل ما اتهم به وقد ذكر الرافعي هذا بدون أن يشير إلى مصدره فقال : « ومن أعجب ما رأيناه أن بعضهم اتهم ابن سينا بمعارضة القرآن لأنه زنديق وأن ابن سينا وضع رسالة في دفع هذا الاقتراء . قلنا وأين ابن سينا من طور سيناء هذا رجل وهذا جبل (؟) ولكنها عصور الجدل والمكايمة » .

## ٣ - أبو العلاء المعري :

زعم بعضهم أن أبا العلاء المعري (٤٤٩) قد عارض القرآن بكتاب سماه «الفصول والغايات في مجازاة السور والآيات» وأنه قيل له ما هذا إلا جيد غير أنه لبس عليه طلاوة القرآن فقال حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمئة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون . . . . . وبما جاء في كتابه قوله : « أقسم بخالق الليل والريح الهابة بليل بين الشرط ومطالع سهيل إن الكافر لطويل الويل وإن العمر لمكفوف الذيل تعدّ مدارج السيل وطالع التوبة من قيل تنج وما إخالك بناج » فلفظة ناج هي الغاية وما قبلها فصل مسجوع فيبتدي بالفصل ثم ينتهي إلى الغاية وهذا كما ترى عكس الفواصل في القرآن الكريم لأنها تأتي خواتم لآياته .

وبني الرافعي التهمة عن المعري لأنه أبصر بنفسه وبطبيعة الكلام الذي يعارضه وأعرف بضعفه فهو يستعمل الكلمات الغريبة ويتعثر في الأسلوب ويواغم اللغة الخ فليس مما يعارض به القرآن ولأن المعري أثبت إعجاز القرآن فيما أنكره في رسالته على ابن الراوندي فقال :

« وأجمع ملحد ومهتدٍ وناكب عن الحجة ومقتدر أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ( ﷺ ) كتاب يهر بالأعجاز ولقي عدوه بالإرجاز ما حذى على مثال ولا أشبه غريب الأمثال ما هو من القصيد الموزون ولا في الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا مبيج الكهنة ذوي الأرب وإن الآية منه أو بعض الآية لتعرض في أنصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ويقول الرافعي إنه لم يجبر أبا العلاء المعري أحد على أن يقول هذا القول في إعجاز القرآن فهو لا يقول إلا ما يرى في نفسه وهو وإن كانت له آراء فيما وراء الطيبة لا تستجيب للدين لكن إدراكه البلاغة يجعله يقول الحق .

فالرافعي كما ترى يرفض فكرة معارضة المعري للقرآن من أصلها لأنه ردّ على ابن الراوندي بما سبق ويكذب القائلين بها . وليس من مانع في الحقيقة لأن يكون المعري فكر في معارضة القرآن وإمكانها في زمن ورأى عدم إمكانها في زمن آخر فالرأي يتغير بتغير الظروف والحالات العقلية والنفسية والمعري في كثير من المسائل الدينية والفلسفية لا يثبت على رأي واحد لأنه يقف في أكثر الأوقات منها موقف الحائر المتردد وقد يجعل الشك سيلاً إلى اليقين .

#### ٤ - الشريف المرتضى :

ألّف الشريف المرتضى ( ٤٣٦ ) كتاباً في الإعجاز ضاع ويقول عبد العليم الهندي ( في مقاله السابقة ) فيه ما ترجمته : « وضباع كتاب الشريف المرتضى موجب للأسف لأنه اشتهر شهرة عظيمة وقال بنظرته قبله النظام فقط . ولو نظرنا به لرأينا أسلوبه في البرهان على مضمونها . وذكر بعض براهينه غيره من المؤلفين ومن حسن الحظ أن جزءاً من مؤلفه الخاص تفه في هذا الموضوع لا يزال موجوداً . وكان من عادته أن يجيب على أسئلة تتعلق بالدين والألوهية من يرأسه من الناس ولا تزال مجموعة من رسائله موجودة ( CMS. Berlin Ret. 40 ) وتناقش اثنتان من هذه الرسائل هذه المسألة وتقف عليها على آرائه وبراهينه ( MS. Berlin Ret. 40. fol. 4 a - 56 and 926. 94 a ) ويقول في موضع آخر من مقاله : « أما القول بالصرقة فكان له من السيد الشريف المرتضى بطل آخر وربما كان آخر رجل يرى أن معجزة القرآن هي فقط بالصرقة ونحن لا ندرك ما يتصل بأقواله في الموضوع لأن كتبه ضاعت ولكنه يذكر في إحدى رسائله ( MS. Berlin Pet. 40. fo 46 ) أن الحجة الأولى هي أن الفرق بين الأقسام الصغيرة في القرآن وأحسن كتابات العرب ليس واضحاً لكل أحد بالرغم من أن الفرق بين كلام العرب الجيد وكلامهم



الردىء واضح ومكنا يكون الطريق الوحيد للبرهان على إعجاز القرآن هو أن العرب لم يأتوا بمثله أو بتعبير آخر هو أن الله صرفهم عن ذلك . ثم يعلق عبد العلم الهندي على القول بالصرفة فيقول : « وهذا الدليل أي الصرفة يوجد عند المتكلمين من أهل الشيعة أكثر منه عند المتكلمين من أهل السنة - انظر القطب الراوندي ( النصوص العربية ) مما يثبت ارتباط هؤلاء الشيعة النظريين بالمعتزلة وبخاصة المتقدمين منهم » .

وقال الراجعي من غير إشارة إلى المصدر : « وقال المرتضى من الشيعة : ( بل معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليحيثوا بمثل القرآن ) فكأنه يقول إنهم بلغاء . يقدرون على مثل النظم والأصاوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان العلم في زمنهم وهذا رأي يتن اخلط كما ترى » ( ص ١٤٤ ، إعجاز القرآن للراجعي ) . ونلاحظ أن بسط الراجعي رأي المرتضى خطأ لأن معنى سلبهم العلوم أنها كانت موجودة فيهم فتكون الصرفة بسلبهم العلوم والراجعي فسرهم بأنهم لم يكونوا بطبيعتهم عارفين بهذه العلوم فأذن لم يسلبهم الله شيئاً فأين الصرفة إذن ويظهر أن سبب هذا الخطأ أن الراجعي فهم من معنى العلوم غير ما يقصده منها المرتضى من أنها العلوم المساعدة على نظم الكلام .

ونلاحظ فرقاً دقيقاً بين رأي النظام في الصرفة ورأي المرتضى فالصرفة عند النظام عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم عليها والصرفة عند المرتضى عدم قدرتهم عليها لأنهم سلبوا مقوماتها وما يساعدهم من المعارف عليها بعد أن كانت متأصلة فيهم وقد لاحظ عبد العلم الهندي أن الشريف المرتضى ربما كان آخر من يقول في إعجاز القرآن بالصرفة وحدها دون سبب آخر وليس ذلك صحيحاً فمن الحق أن أكثر من قال بها بعده قد جمعها مع مسألة النظم كالأمصهاني ولكن الحفاجي مثلاً يقول بها فقط .

### هـ — داعي الدعاة :

وفي هذا الزمن نرى معاصراً لأبي العلاء المعري هو داعي الدعاة [أبو النصر حبة الله الشيرازي الملقب بالمؤيد في الدين] يردّ على دعاوى ابن الراوندي في القرآن ويسعى لإبطالها وقد رأينا أن ابن الراوندي لا يرى عجز العرب عن مجازاة القرآن حين تحدّاهم التيّ دليلاً على النبوة وأن الفصاحة إذا ألزمت العرب بالاعجاز فهي لا تلزم الأعاجم .

ذكر الأستاذ كراوس (في مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤م) أن داعي الدعاة قال في رده : « إن الكلام ألفاظ مقدّرة على معانٍ ملائمة لها . والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها أجساداً لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً . فإنها وإن رجع بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن المندام فهو أمر قريب ، وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي المعاني . فإن نفساً واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس إليها والحاجة إلى الامتياز منها . والقرآن كلام هو بمثابة الجسد . ومعناه روحه الذي كنى الله عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب إلا قرنه بالحكمة . وقد قاربت أيها الخصم بالإقرار بكونه معجزاً من حيث لفظه للعرب الذين هم أهل اللسان ثم أردفته بقولك : « فما الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان في شيء » . فنقول إن في معناه المكني عنه بالحكمة ما تقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجة فيه أن ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الإعجاز فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة ؟ تفتقر النفوس إليها كلها فأين موقعها من الإعجاز ؟

وتستتج من هذا النص أن الإعجاز عند داعي الدعاة قائم على المعنى أكثر

منه على الألفاظ والمعنى عنده هو روح الكتاب الكريم وهو الحكمة فإذا كان القرآن مميزاً للعرب بألفاظه فهو مميز للأعاجم بمعانيه التي هي روح تلك الألفاظ وبهذا يردّ علي طعن ابن الراوندي في إعجاز القرآن .

### ٦ - الباقلاني :

ألف القاضي الباقلاني (٤٠٣) كتاباً مشهوراً في الإعجاز ردّاً على الحركة التي قامت في عهده تعاكس فكرة إعجاز القرآن وسدّاً لتوالي علماء عصره في هذا البحث . وهو عالم من علماء التوحيد ومن أتباع الأشعري وتلاميذ العباس بن مجاهد الطائي الذي كان تلميذاً لذلك الإمام الكبير . ولم يعلنا من مؤلفاته إلا هذا الكتاب وهو خير الكتب التي ألفت في موضوع الإعجاز الى عصره . فقد تعرض فيه الكاتب للنظريات التي قيلت قبله في الإعجاز وتقدّمها . ثم صور حال أهل عصره من حيث عقيدتهم في الدين وفي إعجاز القرآن وبلاغته بصورة خاصة وحاذر من ضعف الدين وفكرة الإعجاز في النفوس . ولما كان للكتاب شأن كبير في تاريخ الفكرة فإنني أرى حاجة ماسة الى تلخيص الأفكار والآراء المهمة التي وردت فيه لاسيما وأن المؤلفين بعده قد احتذوا في الغالب مثاله في التأليف . ويتلخص ما أورده فيما يلي :

١ - أن القرآن في نفسه حجة للنبوة ومعجزة وأن الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات ويورد من القرآن ما يؤيده في هذا المعنى . وهي حجة عامة سبقه اليها غيره من المتكلمين .

٢ - يذكر ما حذاه على تأليف كتابه من طعن الملاحدة في القرآن وتسويته بالشعر وتقصير العلماء في الدفاع عن الإعجاز بكتب كافية مما جعل الناس يظنون أنه لا مؤيد لهذه الفكرة .

٣ - يذكر أن الجاحظ سبق الى وضع كتاب في نظم القرآن ولكنه غير كاف لأنه لم يزد فيه على ما قال المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلبس في أكثر هذا المعنى . ولكنه لا يذكر كتب الواخطي والرماني والخطابي الذين سبقوه .

٤ - كان الرأي السائد في عصره أن القرآن معجز لمعاصري النبي من العرب دون سواهم وهو يقول بأنه معجز لكل عصر وبكفي أن تقارنه بغيره من الكلام في كل عصر لتبين فضله في ذلك ( ص ٣ - ٥ من كتابه الإعجاز ) .

٥ - يذكر أثر القرآن في نفوس سامعيه ويستشهد بآيات من القرآن في هذا المعنى ويذكر أنه لا تثبت على عدم إعجازه حجة وأن القرآن تحدى العرب بما هو من لسانهم العربي ولم يأت بأعجمي ( ص ٦ من الكتاب المذكور ) .

٦ - القرآن وحده معجز يبلغته من بين الكتب المنزلة لأن نظمها ليس معجزاً وإعجازها من ناحية إخبارها عن الغيوب فقط وإعجاز القرآن ببيانه ينوب مناب سماع الكلام من القديم سبحانه والنبي يعلم أن ما يوحى اليه كلام الله على طريق الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على وجه الاستدلال .

٧ - إذا ثبت أن القرآن معجز وأن الخلق لا يقدرُونَ عليه ثبت أن الذي أتى به غيرهم وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق وتلتني هذه النقطة مع الأولى ( ص ٩ و ١٠ منه ) .

٨ - الدليل على أن العرب لم يأتوا بمثله النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري ويرد على من يقولون بأن العرب ربما لم يعلموا أن النبي تخدام وأن النبي كتم آيات التهدي عنهم ويسعى ليثبت أن النبي قد بلتهم إياها وأن في القرآن ما يدل على أنهم ردوا على التهدي بتهمة أن القرآن مخلوق .

٩ - يورد آيات يحمل بها أقوال المشركين في القرآن وآيات تدل على أنهم كانوا يجادلون ( ص ١١ ) .



- ١٠ — يحتج بأنه لو كان في استطاعة العرب يومئذ الايتيان بمثله لتقديمه من أشعارهم وشرم وقارتوه بالقرآن ولكنهم لم يفعلوا ذلك .
- ١١ — يدرك إعجاز القرآن من كان متاهياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة وبذكر (ص ١٤) قصة عتبة بن ربيعة حينما سمع النبي يقرأ سورة السجدة وقصة أبي سفيان حين جاء النبي مسلماً .
- ١٢ — يرد على القائلين بالصرفه ويقول لو كان الأمر كذلك لرأينا مثله في نظم أهل الجاهلية أو من بعدهم وإنما إعجازه شيء فيه من حسن النظم والبلاغة ولو كان الإعجاز بالصرفه لم يكن القرآن معجزاً بل المنع هو الذي يكون معجزاً (ص ١٥) .
- ١٣ — يذكر جملة أقوال لمن شككوا في إعجاز القرآن اوردوها صاحب الاتقان وبذكر قول القائلين بأنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وأنه يصح من كل منهما على حد واحد . (ص ١٧ إعجاز القرآن للباقلاني) .
- ١٤ — يذكر أن علة إعجاز القرآن اليباني التفاوت العظيم في النظم (ص ١٧) الموجود في اللغة العربية دون غيرها لأنها محتمة لوجوه من التلون في التعبير وفي دلالة الكلمات والترادف لا توجد في غيرها .
- ١٥ — يذكر أن بعضهم قال بمعارضة ابن المقفع للقرآن ويقول إن كتابه الدرة البهية ليس فيه فضل لابن المقفع والحكم فيه لأسلافه ثم يذكر أنه استخيا لنفسه ومنقها (ص ١٧) .
- ١٦ — يتعرض للإعجاز على طريقة علماء الكلام فينسأل أكان ذلك لأنه حكاية عن الكلام القديم أو لأنه تعبير (عبارة) عنه أو لأنه قديم في نفسه ويقول في الرد على ذلك : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ولا بأنه حكاية عن الكلام القديم . فيكون رأيه إذن أنه تعبير عن الكلام القديم .
- ١٧ — يقول ادعى جماعة أنه شعر ومن الملعدة من زعم أن فيه شعراً ومن أهل الملة من يقول إنه كلام مسجع إلا أنه أنصح مما اعجاده من أمجاعهم .

ومنهم من يدعي أنه كلام موزون فلا يخرج ذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب .

١٨ - يذكر أن ممن ذهب إلى أن القرآن غير مميز النظام وعباد بن سليمان

وحشام القرظي (ص ١٦) . ونحن نعلم أنهم يقولون بالصرف لا بعدم إيجازه مطلقاً .

١٩ - البديع ليس سبياً في الإيجاز لأنه كثير في شعر أبي تمام وفي

استطاعة البشر أن يحذقوه . (الصفحة والكتاب نفسها) .

٢٠ - يدرك غير العربي إيجاز القرآن باطلاعه على عجز العرب عنه .

ونرى الباقلاني يدعو للنظر في نصوص القرآن وغيره من ضروب الكلام في اللغة

العربية لمعرفة الفرق بينها وهذا يقول إنه ليس في وسع من لا يعرف العربية

ولا من تعلمها ولكن لم يصل فيها إلى درجة العلم العميق بالنواحي الدقيقة

أن يحكم في هذه المسألة ولكن يجب أن يعتمد على من يستطيع التفريق بين

الأسلوب العادي والأسلوب المعجز . ثم يقارن الباقلاني بين القرآن ورسائل

النبي ليبين فرق ما بينهما في البلاغة وأن النبي عاجز عن مثل القرآن، وهذا يثبت

أنه من لدن الله ثم يقارن بين أقوال الصحابة وغيرهم من المتقدمين وبين القرآن

فينتج عجزهم عن مثل أسلوبه ثم يبين سخف كلام مسيلمة وسجاح ثم يتناول الأشعار

ليقارن بينها وبين القرآن وليقول أن الشعر دون النثر في جودة الأسلوب لأنه

مقيد بالوزن والقافية وإن ليس هناك داع إلى مقارنة الشعر بالقرآن لأن أسلوب

الشعر دون أسلوب النثر . ونحن نخالفه في هذا الرأي . ثم يذكر أنه إنما لجأ

إلى مقارنة الشعر بالقرآن لأن قوماً من الجهال يقارنونهما .

ثم يقارن معلقة امرئ القيس أحسن شعرائهم بالقرآن ويبين ما في الاثنين

من جمال وما في المعلقة من عيوب ويترك الحكم في هذا الأمر لكل من كان

عنده ذوق من الذوق الفني ثم يقارن شعراء عصره بالقرآن فقد يدعي أحدهم

أنه أشعر من امرئ القيس زوراً وبيتاناً . ونحن نخالفه أيضاً في تقديم شعر

الأوائل . وقد استغرقت هذه المقارنات نحو نصف الكتاب وينظر بعد ذلك

إلى أشياء صغيرة تلخص فيما يلي .

١ - هل إعجاز القرآن واضح بنفسه ؟ ٢ - ما هو سبب إعجاز القرآن  
٣ - على أي سند يقوم ؟ ٤ - مسألة التحدي ٥ - المدلول الصحيح لكلمة  
معجز ٦ - لماذا لا يصح أن يقال إن القرآن من تأليف النبي .

ثم يذكر شؤوناً أخرى تتعلق بالإعجاز ويأتي بقسم منفصل عن البحث يأتي فيه  
بأنواع مختلفة من الكلام وأمثلة لها من القرآن ويقول في جملة ما يقول إن الكتابة  
في هذا الموضوع خطيرة وإنه ليس في مقدور بشر أن يحصر نواحي الجمال الموجود في القرآن .

٢١ - يتعرض لمقدار المعجز من القرآن ( ص ١١٧ من كتابه ) ويذكر قول  
أبي الحسن الأشعري وعامة أصحابه في أن أقل المعجز أصغر سورة وقول من شرط  
الآيات الكثيرة في القدر المعجز ونراه يوافق على رأي الأشعري في أن مقدار  
المعجز هو أصغر سورة ويقول إن تحدي القرآن بقوله « فليأتوا بحديث مثله » لا يخالف  
هذا لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة  
ولأنه يحتمل أن يكون المراد بحديث مثله القليل دون التفصيل .

٢٢ - تلخص وجوه إعجاز القرآن في رأي الباقلاني في ثلاثة براهين  
وهو يخالف رأي الصرفة . وهذه البراهين الثلاثة هي :

أ - احتواء القرآن على تنبؤات عن المستقبل وهذا خارج عن قدرة البشر .  
ب - كون النبي كان أمياً أمراً مسلم به وهو لم يطلع على كتب الأقدمين  
وقصصهم وتراجهم ومع هذا فقد ذكر الحوادث الماضية منذ خلق آدم حتى زمنه  
فليس من منصرف عن القول بأنه تلقى كل هذا رأياً من الله عن طريق الوحي .  
ج - القرآن يتجاوز قدرة البشر في النظم والأسلوب والبلاغة .

وهذا ما ذكره من تقدموه ويرجع إليه فضل التفصيل فيه وهو قد اعتنى  
بالنوسع في البرهان الثالث فذكر الأمور الآتية :

١ - أسلوب القرآن على اختلاف أشكاله خارج عن الأساليب المعروفة وخاص به .  
٢ - لم يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن في بلاغته بحيث يحفظ  
فيه جمال الأسلوب ويكون في طوله بقدر القرآن .

٣ - عرض القرآن لموضوعات شتى في الحكم والأوامر والنواهي والوعيد والوعيد والقصص وكل ما جاء به حتى لا يقارن به أحسن الأشعار والخطب .  
وانما يجيد الشعراء والخطباء في نوع منها وقد أجاد القرآن فيها كلها .

٤ - نرى أن أقسام الكلام تتفاوت في كتابة أحسن الأدباء حتى إذا كتبوا في موضوع واحد وبخاصة عندما ينتقلون من فكرة إلى أخرى ونرى القرآن على خلاف ذلك يجمع النواحي المختلفة فيبرزها بطريقة تظهر فيها أنها وحدة منسجمة .

٥ - أسلوب القرآن ليس أعلى فقط من أسلوب الإانس بل من أسلوب الجن أيضاً ويقول بهذا الصدد : ربما قال بعض الناس كيف نحكم بهذا فليس إلا مجرد ادعاء لأنه ليس بين أيدينا كلامهم فيقال نحن متأكدون على الأقل من أن أسلوب القرآن أرفع من أسلوب الكلام الذي ينسبه العرب إلى الجن .

٦ - أساليب الأداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط وإيجاز وجمع وتفريق واستعارة وتصريح موجودة في القرآن وهي في القرآن أعلى من تلك إذا قورنت بها .  
٧ - تأليف كلام في رأي جديد أصعب من تأليف كلمات في رأي مألوف والقرآن يعبر عن أفكار جديدة بطريقة تفوق قدرة البشر .

٨ - تظهر جودة نظم القرآن وسمو بلاغته إذا أخذت كلمة منه واستعملتها في كلام آخر شعر أوثر وتسترعى انتباه القاري والسامع وقد يدمج البقاء الجملة من القرآن في كلامهم فتأتي فيه كالجواهر والحلي .

٩ - إن حروف الألفباء هي ٢٨ حرفاً والمقاطع التي ابتدئ بها بهذه الحروف في القرآن هي ٢٨ وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات ( ١٤ ) أي نصف عدد هذه المقاطع وقد صنف العلماء الحروف فيما بعد في زمن متأخر إلى حروف حلقية وغير حلقية ومهموسة ومجهورة ومطبقة ومنفتحة وشديدة وغير شديدة وعدد الحروف المستعمل في هذه البدايات من كل نوع من هذه الأنواع هو نصف عدد النوع فهذا التصنيف في كل هذه الأصناف دليل على معرفة أمور المستقبل معرفة لا يتأتى صدورها إلا من الله .



١٠ - لغة القرآن سهلة ومدلولاتها تفهم على أيسر وجه ولا تتخللها كلمات أو تراكييب عويصة ومع ذلك فليس في الإمكان بحجارة أسلوبه .  
 وخص الباقلائي بقية كتابه بالتوسع في هذه الأمور ويردها منظمه حنة التسلسل والتنظيم قوية الارتباط والكتاب بعدد مجتئ الحلقة الوسطى في سلسلة الأبحاث التي تسمى لإثبات إعجاز القرآن . والتصانيف الأخرى التي تحمل أفكاره سابقه تنتهي إليه ثم تتفرع منه في شعب مختلفة .

وتبين من تلخيصنا له قيمته وشمول بحثه والمأمه بما قيل حتى زمنه وتناوله لأكثر الآراء بالنقد ويظهر لك من مقارنة المؤلف بين ما ينسبه العرب الى الجن من أقوال وبين القرآن ثم من قوله بفكرة التثيف في حروف أوائل السور أنه يتناول الأمور أحياناً تناولاً سطحياً لا نواقفه عليه لأنه بعيد عن الروح العلمية التي لا تثبت لها مثل هذه الآراء ، وتذكر أن انتظريات الاسلاميه في الإعجاز قد أخذت في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس نوعاً من الاستقرار سرى على الأعصر التالية فإذن علم الكلام كان قد تكامل في هذا الوقت وجمود المتكلمين المتأخرين انتهت الى هذا البناء الذي تم وضعه .

ينتقد الرافعي كتاب الباقلائي ( ص ١٥٥ إعجاز القرآن للرافعي ) برغم اعترافه بعظم شأنه بما انتقد به الباقلائي الجاحظ فيقول : « على أن كتاب الباقلائي وإن كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هدأ به وصفاء وتمنع له إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتعاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواء وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : « فلم يكشف عما يلبس في أكثر هذا المعنى ومرجع الإعجاز فيه الى الكلام والى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ... وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل ... واستراح الى النقل » وهو يذكر أنه لم يقم بما أخذ على نفسه القيام به ولكنه لا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفائده بما قصد إليه من أمهات المسائل .

نسيم الموهبي

دمشق

( يتبع )

# تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية

( في العهود التالية لأيام العباسيين )

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ١ -

كلمة

كنت جمعت مذكرات في علم الفلك وما يتعلق به من علوم رياضية وتنجيم ، فتكونت منها مجموعة في تاريخ هذا العلم الا اني لم أقطع بها ، فكانت جولتي الأخيرة في ربوع الشام سنة ١٩٥١ م مصروفة الى تحقيق هذا الغرض والتثبت من درجة اتصال هذا العلم بالقطر الشقي . والا فلم تكن جولة سائح بدون كل مارأي ، أو ما كانت فيه غرابة . . . بل زرت دمشق المحبوبة بأمل إكمال البحث بقدر المستطاع لينكشف أكثر اتماماً ( لتاريخ العلمي ) الذي كنت أحاول تدوينه .

وتختلف نظرتي عمن يحاول معرفة المفردات من الكتب وترتيبها على حروف المعجم ، وعمن يجمع كل نوع أو صنف من صنوفها دون تنظيم عصورها ، والتعرف لتاريخ تأليفها ووفيات مؤلفيها . . . ولا تعرف هذه العلاقة بما في خزائن الكتب وإن كانت المستقى المهم . لذا كان للاتصال المباشر بالأقطار الأثر المحمود .

ودمشق عاصمة ثقافية . وتلورها حلب والقدس الشريف . . . وعلماؤنا متصلون بهذه الثقافة في رحلاتهم ، واجازاتهم العلمية ، وفي تلقيح المعرفة ، فيتبسر من هذه الجولة الاطلاع على نواحي الاتصال المهمة جداً . يضاف الى ما كان عندي ، أو ما هو مقتبس من خزائن العراق ومن فهارس الكتب أو من الجولات الأخرى .

حاولت انتزاع ما أمكن مما يتعلق بالشام خاصة اجابة لرغبة الأستاذ رئيس  
المجمع العلمي العربي ، وعددت من الواجب تلبية رغبته في ( وصف المخطوطات )  
وهي كل التاريخ نظراً للاتصال الوثيق في الأقطار العربية والاسلامية . وفي  
هذه تحقيق الصلات الثقافية بين الشعوب العربية والاسلامية فعزمت أن أعين  
علم الفلك في العراق وعلاقاته المهمة بالشام وغيره مما يسر لي بحثه . لا سيما  
أن هذه الجولة مرتبطة بأصل البحث . وفيها علاقات جمة بل ان ذلك مما يؤكد  
الثقافة المشتركة .

وفي بحثي حاولت أن أنصل الاتصال العلمي من وجوهه بقدر الامكان .  
ومن ذلك الاجازات . وكتب الفلك ظاهرة من ظواهر الثقافة . ومن الضروري  
التثبت منها . وكانت المخلقات الماضية خير غذاء . وعلى آثارها تجدد النشاط  
في الفلك . والمهم أن علماءنا قاموا بالمهمة ولم يظهر جديد . ولا ريب أن  
الاستيعاب صعب . ونواحي الايضاح مما يكشف نوعاً عن تاريخ المعرفة .  
والامل أن يتزايد الاشتغال .

يعجب المرء أن يرى تقدم هذا العلم في أوائل هذه العهود كما كان في أيام  
العباسيين ، ويشاهد تجواله في الأقطار الاسلامية ثم يرى ركوداً وتدهوراً ،  
فلم يأخذ بما وصل اليه من تقدم في الغرب ولولا أن ( المهندسان ) في استنبول ،  
وأخذ الترك العثمانيين بالجديد من هذه العلوم لمات هذا العلم عندنا ولم يبق له  
أثر إلا أنه في تجدد لم يزل تلك العناية المشهودة اليوم في الاستفادة منه للملاحة  
البحرية والطيران وتكون أنواع الرصد لتحقيق سير الكواكب وضبط حركاتها .  
وفي تاريخ هذا العلم أستعرض المادة العلمية وما فيها من مؤلفات ، والكتب  
التعليمية وما خدمت به لتسهيل الأخذ بهذه الثقافة ، والسبب الوحيد للقضاء  
على هذه الثقافة الفتن والاضطرابات المتوالية المستمرة ، فانها ألقت عن الالتفات

الى تقوية الثقافة • وزال النشاط من الدول ... فلم تيسر العودة الى الهدوء والطائفة ، ولم تنشأ الأرصاد ( المرصد ) ، فينزل لما البذل اللائق • واقتصر المرء على المعرفة ( التعليمية ) دون جدوى ، ولم يهتم بتكامل العلم •

حصل في هذه الأيام بعض الانتباه ، فظهرت مؤلفات مهمة مثل ( علم الفلك وتاريخه عند العرب ) ولكنه لم يف بما رسم ، فلم يصل الى نهاية القرن التاسع الهجري • و ( التراث العلمي عند العرب ) لا يخلو من غمز وان كان من أجل الآثار • و ( قاموس الرياضيات ) لم يكمل • وقصه ظاهر وان كان أبدى مؤلفه معرفة واثرة ... و ( آداب اللغة العربية ) لم يتصل بثقافات العصور الموضوعة البحث ... وخزائن الكتب لم تنظم فهارسها ، أو لم يقيم بها علماء استكملوا العدة ... فكل هذه لم تخل من نقص الا أنها بذرت المعرفة • ولما فضل كبير في اعداد الغرض •

كشفت هذه التجربة عن ثقافة عظيمة • فكان اشتغال علمائنا كبيراً • وقد عدت من الشام بصقعة رابحة فيما راجعت ، وفيما اتفنت بما عين الحالة العلمية وما كانت عليه البلاد العربية والاسلامية •

والمهم ألا يهدأ البحث ويستمر في التعليق والاستدراك على ما فات وبذلك تتكامل الثقافة التاريخية • ولا ريب أن مؤلفات علم الفلك نماذج ناطقة بما عرضت • وكما زادت أعلنت عن زيادة في الثقافة • والكتب خوامر • والعلوم لم تتصل بنا من كل وجه ، وانما حصل انقطاع أناسنا التعرف الى كثير منها • ورأيت مؤلفات مختلف الأقطار فكان لمخطوطات الشام علاقة بجميع الأقطار الاسلامية والعربية • ومثلها مخطوطات بغداد ، والمخطوطات الأخرى لمختلف خزائن الكتب • والأمل أن يتناول هذا البحث أساتذة أفاضل ليوفوه حقه من التوسع والايضاح والتعليق والاستدراك لما فات •



## ٢- تاريخ علم الفلك في العراق في عهد المغول والتركمان

من سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م الى سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٢م

يصعب كثيراً أن نحيط بالمعرفة الفلكية في هذا العهد . فهي واسعة المدى . متأثرة بالثقافة العباسية . ويهنا الانتاج العلمي والأثر والتأثير أو العلاقة بالأقطار . فقد كان هذا العلم شائناً في المملكة الاسلامية شيوعاً عظيماً . وقد روعي في ( بناء بغداد ) الطالع . والخلفاء العباسيون تأثروا بالفلك كثيراً . وكان معروفاً في العراق قبل الاسلام . وعتابة الخلفاء العباسيين به كبيرة . والسيدون اتخذوه عقيدة ومثلهم الاسماعيليه في ايران . وهو من فروع الفلسفة ومن أصول الابطان . ولا هاجم المغول العراق ، وعزموا على فتح بغداد استطلعوا أمر الطالع وما ألم ، فتضاربت التناوي العلمية في السعد والنحس وما يليه علم الاختيارات . وكان في صحبة هولاء في هذا الفتح ( حاتم الدين المتجيم ) . أوصاه القاآن الأعظم ألا يخرج عن رأيه في الفلك ، فجمع هولاء بينه وبين الخواجة الطوسي لما رأى من اختلاف بينهما ، فكان البختية في جانب الطوسي ، فرجع هولاء قوله ومضى في طريق الفتح ، فتم له في ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م . استعان المغول بطائفتي التجيم أو علم الاختيارات المسمى بـ ( علم الأحكام ) وكان استولى هولاء على بلاد الاسماعيليه في قهستان وألموت من ايران سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٢م وغنم منها آلات في الاسطرلاب والحلق وذات الكرسي . . . . . وعند فتح بغداد جيء بشهاب الدين سليمان شاء بن برجم من رجال الدولة العباسية . قال له هولاء : لك علم بالتجيم وسير الكواكب والسعد والنحس ، فكيف غاب عنك هذا اليوم الأسود ؟ فأمر بقتله . وهذا يدل على الاتصال بهذا العلم ، ولم ينقطع من الدولة العباسية .

وفي جمادى الأولى سنة ٦٥٢هـ - ١٢٥٩م أمر هولاء ( ببناء رصد )

في مراغة تولاها الخواجة الطوسي ، وجلب له العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية للاستعانة بهم . ومن العلماء الذين قاموا بهذه المهمة :

- ١ - الخواجة الطوسي نفسه .
  - ٢ - الكاتب القزويني . من إيران .
  - ٣ - ركن الدين الاسترابادي . من الموصل .
  - ٤ - الفخر الخلاطي . من بليس ( بدليس ) .
  - ٥ - المؤيد العرضي . من دمشق .
  - ٦ - الفخر المراغي . من الموصل .
  - ٧ - محي الدين المغربي .
  - ٨ - قطب الدين الشيرازي .
  - ٩ - شمس الدين الشرواني .
  - ١٠ - الشيخ كمال الدين الايجي .
  - ١١ - حسام الدين الشامي .
  - ١٢ - نجم الدين الاسطرلابي .
  - ١٣ - صدر الدين علي ابن الخواجة الطوسي .
  - ١٤ - نجم الدين الكاتب البغدادي .
  - ١٥ - قومنجي ( تومنجي ) الصيني الملقب ( مينك مينك ) أي العارف .
  - ١٦ - ابن الفوطي .
  - ١٧ - أصيل الدين حسن ابن الخواجة الطوسي .
- وعلماء كثيرون من تلامذة هؤلاء عملوا في الرصد . ولا شك أن هؤلاء  
 جمهرة من العلماء قل أن تملك أمة هذا العدد . وليسوا كل ما نملك . ولكل  
 نصيب في هذا العمل . والاحتكاك العلمي بهذه المجموعة قيمته العظيمة ، فظهرت  
 مواهب هؤلاء ومن تبعهم فكانت ثروة لا تقدر . جمع الخواجة الطوسي بين ممارف

أهل الأقطار ، فحصل التلقيح العلمي بنتيجة هذا الاحتكاك . ومع هذا نرى  
 التي محمد بن زين الدين معروف الراصد المتوفى سنة ١٩٩٣ هـ بقول في كتابه  
 (صدره المتعقبات) : ان الخواجة الطوسي لم يكن رصده بمراغة جيداً لاشتغاله  
 بالوزارة وتسليمه الرصد الى من لا يساويه أو يقاربه في الفضيلة . واعتقد أن  
 هذا مبالغ فيه بل ليس بصواب لأن للزمن دخلاً في ظهور النقص في الزيج  
 الأبلخاني . لانتعربه في حينه وإنما يظهر بعد مدة طويلة كما ظهر أيام أولوغ بك .  
 وهذا ظهر الخلل فيه أيضاً بعد مدة . وهكذا كان شأن الأزياج الأخرى .  
 فهي في تعديل وتصحيح على الدوام حتى ظهرت الأزياج الجديدة بسبب اتقان  
 آلاتها مثل زيج كاسيني ثم زيج لالاند . . . .

لم نستفد من العالم الصيني الذي اشترك في الرصد ولا من البجائية أي السحرة  
 والروحانيين من المغول . وإنما تكامل بعلمائنا وبما خلفناه من كتب . وكان  
 ابن الفوطي من كتاب الزيج ولا يزال الزيج بخطه في خزانة باريس الوطنية .  
 ولعله أصل الزيج الأبلخاني . وكان خازن كتب مراغة . فترى العلاقة بالعراق  
 واضحة . وان المدارس العلمية ترعى الثقافة . والشام لا تقل عن بغداد .  
 والمؤيد العرضي كان من أكابر علماء الفلك . ولا يزال أثره في الرصد وآلاته  
 وأسباب عمله مشهوداً . ومنه نسخة في خزانة مدرسة السهسالار . ورد ذكرها  
 في ( فهرس داتسكده معقول ومنقول ) وكتب الجزيرة والشام جلبت الى مراغة  
 وأضيفت الى خزانة كتبها . ويقدر المجموع بأربعمئة ألف كتاب . وللأقطار  
 العربية والاسلامية نصيب في الاشتغال في الرصد المذكور .

وتشأ علم الفلك في العراق أوائل الدولة العباسية ، وبنيت أرصاد . وعني بها  
 عناية كبيرة . ومن بغداد انتشر في الأقطار ، فتكونت معاهد علمية خارعت  
 ما في الدولة العباسية . وزاد نشاطها في ايران وفي مصر والشام في عهد العبيديين .

وفي أيام المغول ازدهر علم الفلك بعد أن أصابته جفوة ، وبني الرصد .  
 وخصص له من ربيع الوقوف ( العشر ) . وظهر في العراق جماعة من علماء الفلك  
 كانوا أقرب الى الاتصال بما جرى في ايران بل ان العراق وايران والمملكة  
 التركية في ما وراء النهر وفي الأناضول متصلات بعضها ببعض ، وحكومتها  
 واحدة . والمطالب العلمية مشتركة لاسيما بغداد وكانت عاصمة الدولة المغولية  
 في الشتاء كما كانت تبريز عاصمة المغول صيفاً . ويعمل غذاء العراق على مخلفات  
 أسلافه ، ولم يقل عن التطور الجديد بفضل المدارس وما فيها من أساتذة .

### ١ - مشاهير علماء الفلك في العراق أيام المغول والتركمان :

١ - الخواجه نصير الدين الطوسي :

هو الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي . كان رأساً في علم الفلك  
 والرياضيات والتنجيم في بلاد الاسماعيلية النزارية ، وفي ايران والعراق . ولد  
 سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠١ م . وقد جمع العلماء من مختلف الأقطار للعمل في الرصد .  
 وقام بنشاط علمي ، فتكاملت الثقافة وأثرت في الأقطار الاسلامية بعد أن  
 كانت في خمود وخمول ، فبعثت مجدداً لها . وهو صدر الوقوف ببغداد ولم ينقطع  
 عن الاتصال بها .

ومن مؤلفاته في الفلك :

١ - مجموعة رسائل . وعدتها ١٦ رسالة . في مجلدين طبعت في مطبعة  
 المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن سنة ١٢٥٩ هـ ومنها ما كان كتبه  
 الخواجه ومنها ما كتبه رأساً . ومن هذه الرسائل جملة في خزنة المجلس المالي  
 الايراني . وبينها ما لم يحترق . وعندي بعض المخطوط منها .

٢ - تحرير المجسطي في الهيئة . قدمه الخواجه الى حسام الدين بن حسن السيواسي  
 في بلاد الأناضول عندي نسخة منه . ومنه نسخ في خزنة أباصوفيا . والأصل  
 لبطلميوس . نقله كثيرون الى اللغة العربية . ومن شروحه :



- ١) شرح شمس الدين السمرقندي . منه نسخة في خزانة المجلس .
- ٢) شرح لبعض المتأخرين لم يتعين مؤلفه . أوله : الحمد لله الأول بلا ابتداء . . .
- ٣) تلخص ابن أبي الشكر المغربي . ألفه لأبي الفرج ابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول .
- ٤) تفسير التحرير . للنظام الأعرج النيسابوري فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ .
- ٣- تحرير أوقليدس . في الهندسة والحساب . منه نسخة في أياصوفيا وأخرى في خزانة المجلس . وعندني نسخ عديدة منه . نقله الى العربية كثيرون فجاء هذا التحرير مهماً .
- ٤- التذكرة في الهيئة . جامعة لمسائل الفن . ولم يقل الاشتغال بها إلا بعد ظهور (الملخص) للجفغيني . ومن شروح التذكرة :
  - ١) شرح الشربني . من العلماء المعاصرين للخواجة .
  - ٢) شرح قطب الدين الشيرازي .
  - ٣) شرح النظام الأعرج . ويسمى (توضيح التذكرة) . ومنه نسخ في الأزهر وفي المجلس الإيراني . وعندني نسخة أيضاً كتبت سنة ١١٣٨ هـ .
  - ٤) شرح الشريف الجرجاني . ومنه نسخ في خزانة الآثار ببينداد وفي برلين وأياصوفيا .
  - ٥) شرح البرجندي . منه نسخة في المجلس الإيراني .
  - ٦) شرح اخفري . اعتمد شرح الشربني ونقل منه ومن غيره . وسماه (الكلمة في شرح التذكرة) . منه نسخة في خزانة الآثار ببينداد .
- ٥- الزيج الأبلخاني . اشترك فيه جماعة . كتبه بالفارسية . ونوّه باسم جنكزخان وأولاده وصرح باسم السلطان هولاكو . قال الخواجة : انه من طوس . وصار الى همذان . فأخرجته هولاكو من هناك ، واختاره لعمل الرصد ، فطلب العارفين به . وكانت الأزياج قبله كثيرة . والمعروف أو الموجود منها :
  - ١) زيج البتاني . ويقال له (زيج الصابي) أو (الزيج الجامع) . طبع

في روما سنة ١٨٩٩ م . وجاء كوشيار فأوضح ما فيه وسماه ( اللامع في أمثلة الزيج الجامع ) .

( ٢ ) الزيج الشامل . للبوزجاني .

( ٣ ) الزيج الحاكي . لابن يونس . منه نسخة في الخزانة الأهلية بباريس .

( ٤ ) زيج حبش . منه نسخة في خزانة برلين . وله ثلاثة أزياج . الممتحن

ومنه نسخة في ( بكى جامع ) وفي كبرج ، والمأموني على مذهب ( مندهند ) ،

وزيج الشاه . وهو الزيج الصغير .

( ٥ ) زيج الخوارزمي .

( ٦ ) الزيج السنجري . منه نسخة في الفاتيكان . وهو لعبد الرحمن الخازني .

( ٧ ) زيج عمر الخيام . ويقال له ( الزيج المالكشاهي ) .

( ٨ ) زيج المجريطي .

( ٩ ) زيج أبي القاسم بن محفوظ النجم البغدادي . منه نسخة في خزانة باريس

الأهلية . وقد وهم صاحب ( گاه شماری ) في أنه كان تأليفه سنة ٦٨٣ هـ —

٦٨٤ هـ . فان هذا التاريخ يشير الى زمن نسخه .

وهناك أزياج أخرى ذكرها صاحب ( علم الفلك وتاريخه عند العرب ) ،

وصاحب ( التراث العلمي ) ، وصاحب ( گاه شماری ) وصاحب ( كشف الظنون ) .

كان من آخرها ( الزيج الشاهي ) والظاهر أنه كتبه لإمام الاسماعيلية في الموت

ركن الدين ( خورشاه ) . اختصره نجم الدين ابن اللبودي . وسماه ( الزيج

الزاهي ) . وله أيضاً ( الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب ) .

هذا والزيج الايلخاني منه نسخ عديدة . منها نسخة رأيتها عند الأستاذ

أحمد عبيد صاحب المكتبة المعروفة بدمشق . ومنه نسخة في الظاهرية ، وفي

كبرج ، وفي الخزانة الوطنية بباريس وهي بخط أصيل الدين حسن ابن الخواجة

الطوسي . وعلى هذا الزيج نظرات عليّة عديدة لما أحرز من مكانة .

(١) شرحه حسين بن محمد النيسابوري القمي المعروف بـ (نظام) وسماء (كشف الحقائق) .

(٢) شرحه حسن بن حسين شاه السمناني سنة ٧٩٦ هـ ومنه نسخة في خزانة لندن .

(٣) تلخه علي شاه بن محمد بن القاسم المعروف بـ (علاء المنجم) الخوارزمي . وسماء (عمدة الابلخانية) .

(٤) زيج الوابكني . كتب زيجه على أساس الزيج الابلخاني . وسماء (الزيج المحقق السلطاني على أصول الرصد الابلخاني) منه نسخة في اياصوفيا . وينسب الى القطب الشيرازي .

ومن الأزياج :

١- الزيج الاشرقي . فارسي منه نسخة في الخزانة الوطنية بباريس . ألفه سنة ٧٠٢ هـ .

٢- الزيج الخاقاني في تكميل الزيج الابلخاني . فارسي . لفيث الدين جشيد الكاشي . عندي نسختان منه احدهما تنقص الورقة الأولى . والأخرى كاملة . وهذه الأزياج والشروح جاءت مكاملة وموضحة أو مختصرة للزيج الابلخاني ولم ينسخ الزيج الابلخاني الا بالزيج الأولوغ يكي على ما يأتي في عمله .

٦- الزبدة في الهيئة . من مؤلفات الخواجه . فارسية . طبعت . ومنها نسخة خطية في المجلس الايراني .

٧- يست باب . فارسي في الاسطرلاب . عندي مخطوطة منه . ومنه في اياصوفيا وخزائن كتب عديدة . ومن شروحه :

(١) شرح البرجندي . ومنه نسخة في خزانة المجلس .

(٢) تلخه البهاء العاملي ولم يشر الى ذلك . وتقل الداغستاني الى العريسة . رسالة البهاء ولم يصرح باسمه .

وفي المجمع العلمي في بطرسبورج آلة اسطرلاب تعزى الى الخواجه الطوسي

- وأنه كان يعمل بها . وإذا صح فهي من غنائم الموت من الاسماعيلية هناك كانت  
 مما غنمهم عطا ملك الجويني حين فتح هولاء كو بلادهم سنة ٦٥٤ هـ .
- ٨- الرسالة المعينة في الهيئة . ونسب ( المقيّد ) . ونسخه في المجلس  
 الايراني وغيره . وطبعت في ايران .
- ٩- رسالة حلّ ما لا ينحل . في توضيح الرسالة المعينة . طبعت أيضاً .
- ١٠- كتاب الثروة . ترجمه الى الفارسية بإشارة من صاحب بهاء الدين  
 محمد الجويني . وان احمد بن يوسف الطولوني المهندس شرحه باللغة العربية .
- ١١- مي فصل . فارسي في الهيئة والتقويم . وشرحه :  
 (١) بدر الدين الطبري سنة ٨٢٤ هـ .
- (٢) ميرزا محمد رضا المستوفي المعاصر للشاه عباس الأول . الفه سنة ١٠٦٩ هـ  
 منه نسخة في خزانة المجلس .
- (٣) كتاب ربيع التجميع . فارسي منه نسخة في المجلس الايراني .
- ١٢- المختصر في علم التنجيم ومعرفة التقويم . منه نسخة خطية باللغة العربية  
 لم يعرف شارحها في خزانة برلين .
- ١٣- رسالة مختصرة في الاسطرلاب . فارسية تحتوي على ١٥ فصلاً .  
 عندي مخطوطة منها ضمن مجموعة .
- هذه أشهر مؤلفات الخواجة الطوسي . وبعد من أكابر المشتغلين بالفلك  
 والرياضيات من فروع الفلسفة الأفلاطونية . قطع الاسماعيلية بصحة هذه العلوم  
 واعتبروها عقيدة فلم ينفك منها الطوسي . والغرض المعرفة العلمية . وهي حاصلة .  
 وكان هولاء كو يعتقد بصحة التجميع مثلهم . ولذا قرّب هولاء كو خان . وتظهر  
 قيمة مؤلفاته من عناية كثير من العلماء بها . وإذا كانت فقدت هذه العلوم  
 مكانتها العلمية بعض الشيء فانها لم تفقد مكانتها التاريخية . ولا صلتها بالعقائد  
 الغالية . وعلاقة الخواجة الطوسي بالعراق تبدأ من أيام اكتساح هولاء كو



العراق ودامت متصلة ، فتال منصب صدر الوقوف بعد الأستاذ صفى الدين الأرموي . ورد العراق مراراً وأخذ كتبها لخزانة رصد مراغة .

٢ - رضي الدين بن طاووس :

لم تكن الرغبة في التنجيم بسبب المغول . وكذلك الأمر في علم الفلك . وإنما تمكنت من أوائل الدولة العباسية أيام الخليفة أبي جعفر المنصور . ولم تكن عقيدة بل ساق الى قبولها الدافع العلمي ، وضارت تعتبر عقيدة عند الباطنية أمثال الاسماعيلية في الموت وفي رجالهم الآخرين . وهكذا كان شأنها في أيام المغول ، فلم يخرجوا عن أحكام النجوم وما يوحىه التنجيم .

ومما كان الاتجاه علياً أو مذهبياً فلم ينقطع هذا الاتجاه بالتنجيم حتى أواخر الدولة العباسية وجاء المغول فزادوا العناية به . والعراق لم يخل من أمثال هؤلاء ممن اشتركوا في بناء الرصد . ومن ذكرت له المعرفة بالتنجيم الموفق ابن الفوطي . ومال الى ذلك كثير من العلماء . ولعله مقرون بالفلك ملازم له . ومن هؤلاء ( رضي الدين علي بن طاووس ) .

كان من العلماء المعروفين . وله اشتغال بالتنجيم وتاريخه . ذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين . ومن مؤلفاته :

١ - فرج المهموم في أحكام النجوم . فيه فوائد تاريخية . وطبع في النجف إلا ان طبعته مغلوطة .

٢ - الملاحم والفتن .

وفي الترجمة جاء ذكر مؤلفاته في مختلف مجلداتها . توفي سنة ٦٦٤ هـ عن نحو ٧٣ عاماً<sup>(١)</sup> .

٣ - أبو الحسن البشكري :

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن حسن بن نيهان بن سند البشكري

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٦١ .

الربيعي البغدادي الأصل البصري المولد . كان منجماً وشاعراً . ولد سنة ٥٢٥ هـ .  
وكانت له اليد الطولى في الفلك وحل التقاويم مع النظم وحن الخط .  
توفي سنة ٦٨٠ هـ بدمشق <sup>(١)</sup> .

٤ - ابراهيم بن عمود الجلاب الموصلية :

أستاذ في الفلك . عثرنا على تقرير له لكتاب ( منبج الطلاب في العمل  
بالاسطرلاب ) . وهذا الكتاب لملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف  
من سلاطين الدولة الرسولية . قرظه المترجم سنة ٦٩٢ هـ وقبلها ، فقال :  
« شهدت له بالجودة في الصناعة ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك .  
وأجزت له أن يعمل ما شاء من الاسطرلابات . فهو عندي صحيح العمل لما  
وثقت من جودة معرفته وذكائه وفطنته واختباري له من ذلك » . <sup>(٢)</sup>  
ومنه نسخة في خزانة المجلس الإيراني ، وأخرى في خزانة الأستاذ أحمد تيمور باشا  
رحمه الله . وعن قرظه حسن بن علي الفهري المظفري نية إلى الملك المظفر  
والد المؤلف <sup>(٣)</sup> .

٥ - نور الدين الساعاتي :

هو علي بن تغلب الساعاتي . والد صاحب مجمع البحرين في الفقه الحنفي ( أحمد  
ابن الساعاتي ) . كان يتولى تدبير الساعات في المستنصرية . ولد سنة ٦٠١ هـ .  
وعمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد . وكان مشتهراً في الهيئة  
والتجويد وعمل الساعات .

وجاء وصف هذه الساعات في الكتاب المنسوب إلى ابن الفوطي بما نصه :  
« وصور فيها - في المستنصرية - صورة الفلك ، وجعل فيها طاقات لطافاً ،

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠٧ والبلوك للمقريزي ج ١ ص ٧٠٥ وتاريخ

المراق ج ١ ص ٣٠٣ .

(٢) خزانة المجلس الإيراني ج ٢ ص ٨١ .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢٧ ص ٥٢ وهناك تفصيل .

لها أبواب لطيفة . وفي الدائرة بازان من ذهب في طامستين من ذهب ، ووراءهما  
بندقتان ، وكل ماسقطت بندقة افتتح باب من أبواب تلك الطاقات . والباب  
من ذهب ، فيصير حينئذ مفضضاً . واذ وقعت البندقتان في الطامستين تذهبان  
الى مواضعهما ، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء ازوردية في ذلك الفلك مع  
طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها ، وتغيب مع غيوبتها . فاذا جاء الليل  
فهنالك أقمار طالمة من ضوء خلفها . كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في  
دائرة القمر . ثم يتبدى في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ،  
فيعلم بذلك أوقات الصلاة . ونظم الشعراء بذلك أشعاراً . . . » ١٠٠٠ هـ (١) .

٦ - ظهير الدين الكازروني :

عالم بغدادي مؤرخ كاتب له عناية كبيرة بالعلوم الرياضية لا سيما الحساب .  
وهو الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني . كان حبسوبا . وعرفت له منأيا  
علمية وأدبية وتاريخية ومن مؤلفاته في الرياضيات :

١ - كثر الحساب . في مجلد واحد . جاء ذكره في كشف الظنون باسم  
( وكر الحساب في الحساب ) . والأصل هو المعروف . وأعتقد أن الثاني تصحيفه .  
توفي سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٦٧ م (٢) .

٧ - أصيل الدين ابن الخواجة الطوسي :

من الأفاضل . كان له اطلاع كبير في ( الاختبارات ) أو ( الأحكام ) .  
فهو من أهل التجيم البارزين . تلقى من والده ، وسكن العراق أمداً طويلاً .  
وتوفي سنة ٧١٥ هـ (٣) .

(١) التاريخ للنسور لفوطي ص ٨٣ وفي رحلة ابن جبير وصف مثل هذه الساعة.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٨٠ وطبقات السبكي ج ٦ ص ٢٤٢

والدور الكامنة ج ٢ ص ١١٩ .

(٣) عتد الجمان والنذر ج ٦ ص ٢٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٢٧ .

## ٨ - ركن الدين الاسترآبادي :

تلميذ الطوسي • أبو الفضائل • كان يعيد دروس النصير في الحكمة •  
 واشترك في الرصد • وبعد من أكابر رجال الفلك المحدثين • وفي الشذرات  
 ان الطوسي جعله رئيس أصحابه بمراغة • ويعيد دروس الحكمة • ثم انتقل الى  
 الموصل ، ودرس بالتورية • وذكر وفاته في سنة ٧١٥ هـ وفي حوادث سنة ٧١٨ هـ •  
 وفي ( الفلاحة والفلوكون ) يتن هذا التاريخ <sup>(١)</sup> •

## ٩ - الخطائي البغدادي :

العلامة الحكيم علاء الدين علي بن تبار بن مختار البغدادي • ويعرف بالخطائي •  
 كان فاضلاً في العلوم الرياضية والطب • سكن حماة وقرأ عليه ملكها المؤيد  
 اسماعيل بن علي كتاب ( التذكرة ) في الهيئة للخواجه الطوسي <sup>(٢)</sup> • وله :

١ - تقويم الكواكب السيارة • ورد في خزنة جامع الأزهر ( الخطائي ) •  
 وصوابه الخطائي • أوله : الحمد لله تعالى • اعلم ان طريق التقويم من هذه  
 الجداول ... والمعتقد ان مما يتمه ( جداول اتصالات الكواكب السيارة ) •  
 ومنه نسخة في الجامع الأزهر أيضاً •

## ١٠ - ابن الخوام البغدادي :

طبيب ورياضي فلكي • وهو من أكابر العلماء في الرياضيات • ولم يذكر  
 في التراث العلمي • وإنما نعتة بالبغدادي ولم يكن من عصر الخواجه الطوسي •  
 ومن مؤلفاته :

## ١ - كتاب الفوائد البهائية في القواعد الحسابية • وشرحه :

( ١ ) كمال الدين حسين الفارسي وسماء ( أساس القواعد في أصول القوائد ) •

(١) الشذرات ج ٦ وتاريخ المراق بين احتلاين ج ١ ص ٤٣٦ والفلاحة والفلوكون  
 ص ١١١ وتاريخ المبر للذهبي •

(١) تاريخ المراق بين احتلاين ج ١ ص ٤٥٩ عن عقد الجمان ج ٢٢ •



- (٢) عبد العلي البرجندي . فرغ منه سنة ٨٩١ هـ .  
 (٣) يحيى بن احمد الكاشي وسماء ( ايضاح المقاصد في الفرائد الفوائد )<sup>(١)</sup> .  
 ١١ - ابن القوطي :

من اكابر المؤرخين . اشتغل مع الطوسي ، وتولى ادارة خزانة مراغة .  
 وبخطه كتب زيجاً عربياً . ونسخته في الخزانة الوطنية بباريس الا أنه لم يعرف  
 واضعه أو مؤلفه . ولم تقف على اشتغاله في الفلك . وجاء في الشذرات أنه  
 أصر في واقعة بغداد . وخلصه اخو ابي الطوسي وأخذ عنه علوم الأوتار . برع  
 في الفلسفة وغيرها وأمدّه بكتابة الزيج وغيره من علوم النجوم<sup>(٢)</sup> .

وهكذا لم ينقطع الاتصال بالفلك أيام المغول حتى انقرضهم . ومن ظواهر هذا العهد :

١ - رغبت الدولة في الميل الى التنجيم مع أنه مما ينكره غالب العلماء ،  
 فتوسع الاتصال به .

٢ - بني الرصد في مراغة ، فصار يندل في سبيل اكمله مبالغ طائلة وخصص  
 له من غلة الأوقاف العشر .

٣ - وضع الزيج الايلخاني . وكان من نتائج عمل الرصد . ونال عناية  
 من بعض العلماء .

٤ - ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك وتجلت مواهب لا تحصى من جراء  
 الجهود المتعاضدة الممثلة .

• وضع ( التاريخ الايلخاني ) أيام السلطاني محمود غازان . وهذا التاريخ  
 ابتداء السنة الأولى من ١٣ رجب سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠٠ م ، وصار يعتبر السنة  
 الأولى . وجرى العمل به في الأمور المالية . وكانت حاولت الدولة العباسية  
 جعل ماسته بـ ( السنة الخراجية ) متصلة بالمجرية بطريق الازدلاق أو الازدلاف  
 في كل ٣٣ سنة واخرى مثلها . ثم في ٣٤ سنة أي كل مائة سنة ثلاث سنوات .

(١) تراث العرب العلمي وكشف الظنون .

(٢) التعريف بالمؤرخين . لكتاب للقال لا يزال مخطوطاً وشذرات الذهب ج ٦ ص ٦٠

وهكذا الأمر في ( الأيام المسترقة ) بسبب بعض الأيام الكييسة وغيرها .  
وهو من نوع ( الزحف ) للموظفين باصطلاح هذه اليهود الا أن هذا لم ينجح  
في معاملات الناس . وكانت التواريخ قبله بالسنة اليزجودية ، وبالسنة الجلالية  
أو الملك شاهية نسبة الى جلال الدين ملكشاه السلجوقي . وجرى العمل على  
التوفيق بين السنين الهجرية والشمسية في العهد العثماني . ولم يعترف بالسنة  
الابلخانية وكانت تسمى بالسنة المالية . ويقال للازدلاق عتدم ( سيويش )  
فلم تنجح في الاتصال بهذه السنين فحصل التفاوت بينها وبين السنين الهجرية  
بسبب اهمال هذا الازدلاق حتى قررت قبول ( السنة الافرنجية ) او ( السنة  
الميلادية ) مع السنة الهجرية للأعياد والمواسم الديفية .

ومثلها ايران قبلت السنة ( الهجرية الشمسية ) . وفي الأقطار العربية جرى  
الأمر على التاريخ الميلادي والمجري معاً . ويطول البحث في تاريخ السنين  
الشمسية والتوفيق بينها وبين السنين الهجرية . وللإيرانيين كما لليهود والقبط والغريين  
أيضاً طرق خاصة في هذا الباب والفصل بين التاريخين أسهل وأبسط الا ان استعمال  
السنة الميلادية فيه نظر . وكان الأولى أن يستعمل التاريخ الهجري القمري  
على حدة والشمسي الهجري على حدة .

٦ - ضربت النقود في أيام السلطان أبي سعيد من سلاطين المغول على السنين  
الابلخانية في السنة الثالثة والثلاثين منها . وفي السنة الرابعة والثلاثين . وهذه  
الأخيرة قبلت بالهجرية . ولم نجد من ضرب بعدها مراعيًا التاريخ الابلخاني .  
وهو على السنين الشمسية . فلم ينجح .

٧ - ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك باللغة الفارسية . وكان الغالب اللغة  
العربية وهي لسان العلم الا أنه لم ينقطع الاشتغال باللغة العربية والاتصال  
بمؤلفاتها . ثم تلتها المدونات باللغة التركية بعد هذا العهد . وفي هذا لم يتبدل  
المصطلح باللغة العربية . ( يتبع )

عباس المزاري

## أقدم تأليف في الحديث النبوي صحيفة هشام بن مَنبِه ومكانتها في تاريخ علم الحديث تمهيد

لا يعرف قدر الشيء إلا مالكة . وغير المسلمين لا يقدرّون الحديث النبوي وما يتعلق به من أصول الرواية والدراية حتى قدره . لأنهم لم يعتنوا بأحاديث أنبيائهم كما عني المسلمون بحديث نبيهم لذلك كانت أكبر مهمهم عدم العناية بالحديث الاسلامي والظعن في صحته جهلاً وحسداً .

وليس عجباً أن العرب لم يعتنوا في جاهليتهم بالتدوين والكتابة بخلاف عنايتهم بها بعد أن أسلموا وآمنوا بالله وحده ؛ ولكن الذي يدعو الى العجب أن الأمد الذي اقضى بين جاهليتهم وبين اعتنائهم بأصناف العلوم كان من أقصر ما عرفه التاريخ الإنساني لمثل هذا التطور السريع حتى إن ذلك ليدعش المؤرخ . فلم يكن في مكة ، لما بعث النبي ﷺ ، إلا بضعة عشر رجلاً يقرأون ويكتبون . وعدد في المدينة المنورة أقل من ذلك . وصارت العربية من أغزر لغات العالم علماً وأدباً منذ القرن الثاني للهجرة . فكيف كان هذا ؟ .

بدأت الحكومة الإسلامية في السنة الأولى للهجرة ولم تشمل حينئذ إلا جزءاً من المدينة المنورة ؛ أما سائرها فكان في أيدي اليهود أو العرب المشركين . وكان في جزيرة العرب مئات من القبائل ، أي مئات من « الدول المستقلة » لا تخضع واحدة لأخرى . ولم تشمل الحكومة الإسلامية قبل هدنة الحديبية في أواخر السنة السادسة للهجرة إلا على بضعة مئات من الأميال المربعة من الأرض .

ولكن هذه الدولة الاسلامية كانت قد امتدت عند وفاة النبي ﷺ ، بعد خمس سنوات ، الى مساحة تنيف على مليون من الأميال . وما انقضت بعد ذلك خمس عشرة سنة حتى دخل الجند الاسلامي في خلافة سيدنا عثمان ( سنة ٢٦ هـ ) الأندلس من جهة على ماروى الطبري <sup>(١)</sup> ، بعد أن اخضعوا جميع شمالي إفريقيا وتجاوز جيحون الى ما وراء النهر من جهة ثانية <sup>(٢)</sup> ؛ أما في الجنوب فقد بلغت هذه الجنود ، منذ خلافة سيدنا عمر الفاروق على ماروى البلاذري <sup>(٣)</sup> ، موانئ تانه ( بياي ) ودليل ( كراتشي ) ، وفي الشمال أرمينية وما وراءها <sup>(٤)</sup> .

ولم يكن عند العرب حيثئذ عدد ولا عدة كما كان عند من نادشوم من الروم والفرس وسائر العجم . وكذلك لم يعرفوا فنون الحرب والقتال المعروفة عند أعدائهم . وفوق هذا كله ، لم يخرجوا من بيوتهم وأخيتهم لجرد النهب والغارات الجاهلية ، بل لتكون كلمة الله هي العليا . فعاداتهم الطبيعية وتربيتهم الإسلامية هي التي ساعدتهم على الوصول إلى غايتهم . ففتوحات السيف وفتوحات القلم ليست لديهم إلا مظهر أمر واحد وداع واحد .

ولسنا بصدد الكلام على سياسة السيف وكيفية نشأتها وارتقاها ؛ فلنقتصر الكلام على سياسة القلم والعلم في فجر الاسلام .

### اهتمام النبي بنشر التعليم :

من المعروف أن نبي الاسلام كان أمياً ، وقد شهد بذلك القرآن فقال : « ما كنت تخطه يمينك إذنا لارتاب المبطلون » . وأول وحي أوحى إليه اشتمل على أمر الله أن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ »

(١) تاريخ الطبري ، ص ٢٨١٧ وما بعد ( طبع اوربا ) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ( طبع اوربا ) ص ٨-٤ ، وزايفه تواريخ أهل الصين .

(٣) فتوح البلدان ص ٣٤٨ .

(٤) تاريخ الطبري ، ص ٢٨٢٧ ( في السنة ١٩ ) .



وربك الأكرم الذي علّم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » . فالأمر بالقراءة وتمجيد أوصاف القلم والكتابة ، هذا ما شرع به الاسلام لمتبعيه . فكان سيدنا محمد « في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكّهم » ، فينور أذهانهم كما يصني أخلاقهم في الوقت نفسه . وكذلك كان يأمر بكتابة آيات القرآن وسوره المنزلة الى ذلك الزمان .

فلم يسمعه إلا قليل من أهل بلده ، وبدأوا يؤذونه ومن تبعه في الله . فلما بلغ سيل الحزن الزّبي ، هاجر مع من استطاع الى المدينة ووضع هناك أساس دولة . فنزلت سورة البقرة في أول ما نزل بعد الهجرة ، ونزل فيها آية المدابنة المعروفة :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه . . . واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان . . . ذلكم باقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » الآية .

فلم يزد إلا اعتناء بالكتابة والعلم .

وأول ما بدأ به الرسول من العمل كان بناء المسجد النبوي وجعل في هذا المسجد صفة ليقم فيها طلاب العلم . وعين أساندة يعلمون فيها الكتابة والقراءة ومائل الدين الى غير ذلك فكان عبد الله بن سعيد بن العاص يعلمهم الخط<sup>(١)</sup> . وكذلك روي عن سيدنا عبادة بن الصامت أنه أمره النبي ﷺ أن يعلم الناس الكتابة وبقريتهم القرآن في الصفة<sup>(٢)</sup> .

ولم يمض على ذلك سنة حتى كانت وقعة بدر : زاد عدد المسلمين فيها ثلاثة أضعاف عدد العدو ، وأسروا عدداً كثيراً منهم . ومن غريب ما عومل به

(١) استيعاب ابن عبد البر ٣٩٣٢ ، التراتيب الادارية للكتاني ٤٨/١ . وقال : « وكان كاتباً محناً » . واجم أيضاً الاصابة ترجمة الحكم بن سعيد بن العاص .

(٢) الكتاني ٤٨/١ عن سنن أبي داود .

الأمرى أنه اذن لمن كان منهم كاتباً ان يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة ، فداء لنفسه <sup>(١)</sup> وقد يرب بعض قدماء المحدثين هذه الواقعة فتمنوها «جواز المعلم المشرى» . وحق له . ولم يكن هذا حادثاً حدث ، بل كان مطابقاً لسياسة مستمرة في نشر التعليم . وكثيراً ما كان يقول النبي «بشت معلماً» <sup>(٢)</sup> . وكان يأمر الصبيان أن يتعلموا من جيرانهم <sup>(٣)</sup> وأن يتدارسوا في مسجد حارتهم <sup>(٤)</sup> . وذكر البلاذري <sup>(٥)</sup> «أنه كان بالمدينة تسعة مساجد فكانوا يصلون فيها ويجمعون مع رسول الله» . ويرى أن أهل جوانا ( في منطقة عمان والبحرين ) بنوا مسجداً فكان أول مسجد بعد ما كان في المدينة . وكان قد كتب إليهم أن «خطوا المساجد كذا وكذا وإلا غزوتكم» <sup>(٦)</sup> . وكذلك لما بعث عمرو بن حزم رضي الله عنه علماً إلى اليمن ، كتب له أوامره وفيها أوامر لنشر التعليم <sup>(٧)</sup> . وذكر الطبري <sup>(٨)</sup> في أحوال سنة ١١ أن النبي ﷺ كان قد بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ناظراً للتعليم فكان ينتقل من عمالة إلى عمالة ويراقب المدارس . ولم يكتف بتعليم الرجال ، بل اعتنى بالنساء كما اعتنى بالرجال . فأم المؤمنين حفصة بنت عمر كانت كاتبة في حياة النبي على مارواه أبو داود . ولا نحتاج إلى تفصيل طويل لهذه الناحية سوى أنه كان من نتائج هذه السياسة في شأن تعليم

(١) طبقات ابن سعد ١/٢ ، ص ٤ ، روض الاثف للسييلي ١٢/٢ ، مسند ابن حنبل ٢٤٧/١ .

(٢) ابن ماجه ، باب فضل العلماء : مختصر بيان العلم لابن عبد البر ، ص ٢٥ .

(٣) الكتاني ٤١/١ عن الاصابة وجمع الزوائد .

(٤) ابن عبد البر ، ص ١٤ .

(٥) أنساب الاشراف ( مخطوطة القاهرة ) ٤٢٠/١ .

(٦) راجع كتابي الوثائق السياسية رقم ٧٧ .

(٧) الوثائق السياسية ، رقم ١٠٥ ، عن ابن مشام والطبري .

(٨) تاريخ الطبري ( طبع أوروبا ) ص ١٨٥٢ — ١٨٥٣ ، ١٩٨٣ .

النساء أن المسلمات أصبحن فيما بعد يبارين الرجال في ميادين شتى من العلم . ويرى القارىء أن بين السماعات التي توجد على المخطوطة الدمشقية من صحيفة همام ابن منبه ، التي نحن بصددھا ، سماعاً على معلمة وهي ام الفضل كريمة بنت ابي الفراس نجم الدين القرشية الزبيرية . بمنزلاً وكذلك كتاب الأموال لأبي عبيد ، الذي هو في الأمور المالية الدقيقة من موارد الدولة ومصارفها ، يتددى بعد البسالة ، بهذه الكلمات : « قرئ على الشيخة الصالحة الكاتبة نحر النساء شهدة بنت أبي نصر احمد بن الفرج بن عمر الإيبري الدبنوري بمنزلاً ببغداد » . ولا نحتاج للقرون الابتدائية إلا أن نرجع الى أسانيد الرواة من كتب الحديث للصحاحيات والتابعيات ومن تبعهن .

### تدوين الحديث :

فهذه نماذج من أثر السياسة النبوية في أمر العلم عامة . أما الحديث فهو ما يهبطنا خاصة . ومرادي بالحديث حديث الرسول ، وهو يحتوي على أقواله كما يحتوي على ذكر ما فعله بنفسه او قرر ما فعله غيره من أصحابه فلم ينسره ، فهذا التقرير والتصديق ، له مكانة قانونية ، كأنه فعله الذي قرره . والأمر الوحيد الذي يشغلنا هنا هو مسألة الثقة بكتب الحديث ، لا غير . فان الكتاب الذي تنشره اليوم ، أعنى صحيفة همام بن منبه ، هو أيضاً تأليف جمع فيه أحاديث النبي ﷺ .

من المستحيل البديهي أن يكتب ويدون جميع ما قال النبي أو فعله أو قرره ، فهذا من وظائف الملائكة « كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » . وكذلك لن يصح القول أنهم لم يكتبوا شيئاً ، فان الحقائق على خلافه . وعلى كل مادونته هذه الأمة الأمية وما كتبه من أحاديث نبيها يفوق بكثير ما كتبت أمم أخرى عن أنبيائهم ، كما فاقت عليها ، في إبان أمرها ، في أمر فتوح البلدان ونشر الدين في القارات .

• ولا بأس أن تشكك تشكيك سائل ونرتاب في هذا الأمر فلا تقرر إلا  
ملا مجال لنا لإنكاره • فإذا كتبوا من الأحاديث في أول أمرهم ؟

### الحديث المكتوب في العهد النبوي :

(أ) لما هاجر المسلمون من أهل مكة إلى المدينة ، أقاموا هناك أساساً  
مملكة ودولة مدينة ( Cité - Etat ) وكان يشار إلي النبي ﷺ أهلها  
وسكانها من المهاجرين والأنصار واليهود وسائر من لم يسلم حينئذ من عرب  
المدينة ، فسجل دستور دولة — وهو أول دستور مملكة كتب ودون في العالم  
بأجمعه<sup>(١)</sup> — وذكر فيه حقوق الحاكم والمحكوم عليه وواجباتهما • فبدأ :

« هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش  
وأهل بئر من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم • إني أمة واحدة من دون  
الناس . . . » الخ<sup>(٢)</sup> .

فيقول « هذا الكتاب » ، ولا بد أن يكون مكتوباً محرراً • وكرر  
خمس مرات في نفس الدستور كلمة « أهل هذه الصحيفة » • وقال كذلك  
« لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم » • وقال « إن يثرب حرام جوفها  
لأهل هذه الصحيفة » ؛ ولكن يفصل حدود الحرم اليثربي • قال ابن حنبل  
في مسنده<sup>(٣)</sup> : « عن رافع بن خديج • أن المدينة حرم حرمة رسول الله  
ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم جولاني » • وكان من واجب السياسة أن  
يحدد حدود المملكة وأرض دولتها فأرسل من يعني أعلام الحدود كما روى  
المطرزي في « ما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة »<sup>(٤)</sup> فقال : « عن كعب

(١) الوثائق السياسية ، رقم ١ ، عن ابن هشام وأبي عبيد وغيرهما . راجع مقالتي  
« أول دستور مسجل في العالم » في قرارات مؤتمر دائرة المعارف بجيدر آباد .

(٢) الوثائق السياسية رقم ١ .

(٣) ج ٤ ، ص ١٤١ ، رقم الحديث ١٠ .

(٤) مخطوطة مكتبة تبيخ الاسلام عارف حكمت .



ابن مالك قال : بعثني رسول الله ﷺ أعلم على أشرف مخيض وعلى الحفيا وعلى ذي العشرة وعلى نيم « الخ .

( ب ) وكذلك أمر النبي ﷺ في أوائل الهجرة بإحصاء المسلمين . فقد روى البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> أن النبي عليه السلام قال : « اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمس مائة رجل » ذكرانهم وإناثهم وصغارهم وكبارهم . فكان إحصاء النفوس هذا أيضا مكتوبا . والعدد الذي بلغ يدل أنه كان من السنة الاولى للهجرة .

( ج ) بدأت الوثائق السياسية والمعاهدات الرسمية من قبل الهجرة ولا يهنا ههنا اعطاء خبرون لتميم الداري قبل الهجرة ولا كتاب أمان لسراقة بن مالك المولجي أثناء سفر الهجرة . ويظهر<sup>(٢)</sup> أنه كان قد عاهد قبيلة جهينة في السنة الأولى للهجرة ولكن لم يصل إلينا نصه . أما معاهدة بني ضمرة ، فقد عقدت في صفر سنة ٢ فيما رواه السهيلي<sup>(٣)</sup> ، وانصها : « هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة » الخ . ومثلها تسلسلت ودامت باقي حياته ﷺ . ومن المعروف كتاب المراءضة<sup>(٤)</sup> زمن الخندق ( سنة ٥ ) مع بني فزارة وغطفان ، والتهاجيج والخلاف على كتابة بعض الكلمات والشرائط في هدنة الحديبية<sup>(٥)</sup> وكيف أمر النبي عليه السلام الكاتب ، وهو علي بن أبي طالب ، أن يمحو بعض ما كتب . وذكر المؤرخون<sup>(٦)</sup> في غزوة تبوك أن أكيدر الحيري ،

(١) باب كتابة الامام الناس .

(٢) سرية حمزة إلى سيف البحر عند ابن هشام وغيره : « فحجز بينهم مجدي بن عمر الجبني وكان موادعا للفريقين » .

(٣) الوثائق السياسية ، رقم ١٥٩ .

(٤) الوثائق السياسية رقم ٨ .

(٥) انظر للمراجع ، الوثائق السياسية رقم ١١ .

(٦) الوثائق السياسية ، رقم ١٩٠ .

صاحب دومة الجندل ، تعاقد مع المسلمين وكان النبي عليه السلام ، لما كتب عهده « ختمه بظفره »<sup>(١)</sup> . وكان من تقاليد أهل الحيرة ، واكيدر منهم ، أن يعضوا معاهداتهم بظفرهم - لا بأظفارهم - فكانوا يختمون بظفرهم فيظهر خط مثل شكل هلال صغير . ونجد هذه العادة هناك من قديم الزمان بقي أثرها وذكرها في معاهداتهم التي كتبت زمن الجاهلية ، على لبنات الطين وعثرت عليها في الأزمنة الحديثة<sup>(٢)</sup> .

( د ) وكذلك كتبه التبليغية الى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم لا يعقل الا أن تكون محررة مكتوبة . وقد بقي بعضها الى هذا الزمان مثل كتابه الى المقوقس والنجاشي والمذخر بن ساوي<sup>(٣)</sup> (مبحث فيها في مقالات خاصة<sup>(٤)</sup>) . وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق<sup>(٥)</sup> أن أبا العباس عبد الله بن محمد كان قد اشترى معاهدة أيلة من أهلها بثلاث مائة دينار كأثر مبارك من الآثار النبوية . ( هـ ) وكثيراً ما احتاج النبي عليه السلام أن يكتب عماله في أنحاء جزيرة العرب ، يبلغهم أوامره . وكذلك كتبوا اليه وسألوه أشياء في معضلات الحوادث فأجابهم بالكتابة . وقد تواتر الذكر في كتب الحديث أن النبي عليه السلام كتب<sup>(٦)</sup> مسائل الزكاة الى عماله ، وتوفي قيل أن تنفذ اليهم ، فعمل بها الخلفاء بعده .

(١) طبقات ابن سعد ١/٢ ، ص ١٢٠ . وقلة الكنائس ( ١٧٩/١ ) . أيضاً عن الاسابة في ترجمتي وهب بن اكيدر ، واكيدر بن عبد الملك .

(٢) Meissner, Babylonien u. Assyrien, I, 179; O. Krückmann, Neue Babylonische Recht - u. Verwaltungstexte, 37/28; Ch. Edwards, The Hammurabi Code, p. II .

(٣) بالهندية في تأليني « رسول أكرم كي سياسي زندكي » . الباب « مكتوبات نبوي كي دو اصول » والباب « مكتوب نبوي بنام نجاشي » .

(٤) الطبعة الجديدة ٤٢٢/١٢ ( تحقيق المنجد ) .

(٥) سنن الدارقطني وابي داود والطبراني والدارمي وكثر المهمل وغير ذلك .

والغرض من هذه الأمثلة أنه لا بد أن يكون قد كتب مثل هذه الأحاديث  
' (الوثائق الرسمية) في حياته عليه السلام فإن المطلوب منه لا يحصل إلا بالكتابة .  
وقد جمعت ما وجدته في الكتب ، في تأليفي ( الوثائق السياسية في العهد النبوي  
والخلافة الراشدة ) وفيه أكثر من مائتين وخمسين للعهد النبوي خاصة . وقد  
أضفت إليها أربعين أخرى تقريباً للنشرة الثانية التي تحت الطبع . وهناك أمثلة  
أخرى من كتابة الحديث .

### الكتابة الاتفاقية :

روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام خطب خطبة في مكة عام الفتح في  
حقوق الانسان : « نجاء رجل من أهل اليمن - وهو أبو شاة - فقال : اكتب  
لي يا رسول الله . فقال : اكتبوا لأبي فلان ... قال : كتب له هذه الخطبة » .  
( باب كتابة العلم ) .

وروي عن عنبان بن مالك الأنصاري أنه سمع يوماً كلاماً للنبي عليه السلام  
فأعجبه . فكتبه يحفظه <sup>(١)</sup> .

نعم هذه حوادث اتفاقية وليس بجميع ما روي مثلها في التاريخ للعهد النبوي .

### الكتابة بالجد والاهتمام :

(١) روى الترمذي <sup>(٢)</sup> أن صحابياً من الأنصار حضر إلى النبي عليه السلام  
وشكا سوء حفظه ، وتأسف وتحير كيف يعمل في المواعظ والحكم التي يسمعها  
كل يوم منه . فقال له : « استعن يمينك » ، أي اكتب . فلا بد أن يكون  
قد كتب بعد ذلك . ولكن لا نعرف تفاصيل أخرى لهذا .

(١) نقله الاستاذ محمد زبير الصديقي ، كآفته عن الاصابة .

(٢) في كتاب العلم كما ذكره زبير الصديقي .

(ب) روي <sup>(١)</sup> مثله عن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي . فلما أمره النبي ﷺ أن يكتب ما يشاء ، تعجب وقال : « أكتب كل ما أسمع منك ؟ » قال : نعم . قلت : في الرضا والغضب ؟ قال : نعم فأني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً . وفي البخاري <sup>(٢)</sup> عن وهب بن منبه عن أخيه - وهو همام ، صاحبنا - قال : « سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه ممر عن همام عن أبي هريرة » . وكان عبد الله بن عمرو مني بمجموعته هذه « الصحيفة الصادقة » . ويقال إن فيها ألفاً من الأحاديث <sup>(٣)</sup> . وبقيت في عائلته فكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث على أساسها ويروي أحاديثها <sup>(٤)</sup> . ورسم الله ابن حنبل فانا نجد هذه الصحيفة محفوظة في ضمن مسنده الجليل ، فصانها من إتلاف الحدثات .

(ج) وكان أبو رافع ، مولى رسول الله وخادمه ، استأذنه أن يكتب أحاديثه فأذنت له <sup>(٥)</sup> .

(د) وأهم من هذا كله أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه . وكان أبواه قد أمراه حين الهجرة ، أن يتخدم النبي ﷺ في بيته فبقي لم يفارقه ليلاً ولا نهاراً إلى أن توفاه الله بعد عشر سنوات ؛ وعاش أنس بعده طويلاً . وكان رأى وسمع ما لا يتيسر لغيره . وروي الدارمي أن أنساً كان دائماً يعظ بنيه : « يا بني قيدوا هذا العلم » . وروي الدارمي أيضاً : « رأيت أبان يكتب عند أنس » .

(١) ابن سعد ، ابن حنبل ، ترمذي وآخرون .

(٢) باب كتابة العلم .

(٣) زبير الصديقي عن اسد الغابة .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٨/٨ - ٥٥ ، رقم ٨٠ .

(٥) زبير الصديقي عن تهذيب التهذيب ٤٤٠/٣ أبو رافع أو رافع .



كيف لا وقد عني هو بنفسه ان يكتب الحديث أكثر من غيره . فقد روى جماعة مثل الحاكم في المستدرک وغيره ، عن سعيد بن هلال :  
 « قال : اذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فأخرج إلينا محالاً عنده ، فقال : هذه سمعتها من النبي ﷺ فكتبتها وعرضتها عليه » .  
 فكان لا يكتفي أن يكتب ما سمع أو رأى ، بل كان أينما بعرضه على صاحبه ويصحح اذا مست الحاجة .

فهذه من الحوادث التي تقلت عن الصحابة وهي تدل على أنهم كانوا يكتبون لأنفسهم الحديث النبوي في حياة نبيهم .

### تأليف كتاب على يد صحابي :

من المعلوم أن عمرو بن حزم رضي الله عنه أرسله النبي عليه السلام عاملاً إلى اليمن وكتب له وثيقة عهد فيها عهده وأمره فيها أمره . لحفظ عمرو بن حزم هذه الوثيقة فلم يلقها ثم جمع واحداً وعشرين كتاباً آخر كتبها النبي ﷺ ليهود بني عاديا وبني عريض ، لتيم الدارمي ، لجينة وجذام وطى ، وثقيف وغيرهم .  
 فضمها في تأليف فكان أول مجموعة للوثائق السياسية الإسلامية للعهد النبوي .  
 وقد رواها عنه أبو جعفر الديلمي ( الباكستاني ) من محدثي القرن الثالث للهجرة .  
 ونقله ابن طولون ذيلاً لتأليفه « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين »  
 ( مخطوطة من يد المؤلف في خزانة المجمع العلمي بدمشق ، وقد طبع بعد ) .

### تدوين الحديث في عهد الصحابة :

وفي المصادر روايات كثيرة عن الصحابة تدل على أنهم كتبوا الأحاديث بأيديهم أو أَمَلوها على تلامذتهم . ولو أن هذا حدث بعد وفاة النبي ﷺ فإن شاعدي الوقائع أنفسهم لا يحول جيل بينهم وبين تدوين ما رآوا وما حفظوا .

(أ) فروى الامام مسلم<sup>(١)</sup> في صحيحه أن جابراً رضي الله عنه ألف كتاباً في الحج - لعله اشتمل على ذكر حجة الوداع وأحاديث أخرى وردت في مسائل الحج - وكانت له حلقة درس في المسجد النبوي ، فكتب وهب بن منبه ، صاحب التصانيف التاريخية ، أحاديثه من لملأته<sup>(٢)</sup> . وروى البخاري<sup>(٣)</sup> عن قتادة ، التابعي الشهير أنه قال : «لأنا بصحيفة جابر أحفظ مني من سورة البقرة» . وكذلك يروى عن تلميذ آخر له ، وهو سلمان بن قيس البشكري ، أنه كتب ما روى جابر من الأحاديث<sup>(٤)</sup> . وقد درس على جابر آخرون وكتبوا عنه صحيحته ورووا عنه<sup>(٥)</sup> .

(ب) كانت أم المؤمنين عائشة تقرأ ولا تكتب . وروى أن ابن اختها (عمرو بن الزبير) صنف ما قد حوى روايات عائشة وغيرها وقد ضاع كتابه زمن فتنة الحرة فكان يقول فيما بعد : «لوددت أن كنت فديتها بأهلي ومالي»<sup>(٦)</sup> . وعائشة الصديقة تلامذة آخرون . منهم عمرة بنت عبد الرحمن ، كانت قد ربّتها من طفولتها فمن لا نعرف هل كتبت عمرة شيئاً بيدها أم لا ، ولكن كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله في المدينة أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم - وكان ابن اخت عمرة - «أن يكتب له من العلم ما عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد»<sup>(٧)</sup> . وكان القاسم هذا ، ابن أخي عائشة الصديقة ، وكان يتيماً فحضنته وربته وكان من كبار العلماء . «وعن أبي عينة : كان أعلم الناس بحديث عائشة : عمرو وعمرة والقاسم»<sup>(٨)</sup> .

(١) نقله الاستاذ مناظر أحسن كيلاني «تدوين حديث» ١٠١/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ، ترجمة وهب .

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ١٨٢/٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢١٥/٤ ، رقم ٣٦٩ .

(٥) المصدر السابق ، وايضا مناظر أحسن ١٠١/١ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٨٣/٧ ، رقم ٣٠١ .

(٧) نقله مناظر أحسن عن ابن حجر والبخاري .

(٨) تهذيب التهذيب ١٨٢/٧ .

(ج) ويروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جمع أحاديث النبي عليه السلام في كتاب وقد بلغ عددها خمسمائة حديث . ثم أثقله خشية أن يكون كتب شيئاً لم يكن حفظه تماماً<sup>(١)</sup> .

(د) سأل أبو جحينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله أو فقيهم أعطيه رجل مسلم وما في هذه الصحيفة . قال ، قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر »<sup>(٢)</sup> . يريد بالعقل ، المعامل والديار . ولعله أراد دستور المدينة الذي كتبه النبي عليه السلام في السنة الأولى للهجرة<sup>(٣)</sup> ، وأكثره يتعلق بالمعقل . والله أعلم .

(هـ) أما عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه فكان أيضاً يكتب الأحاديث . ويظهر أنه كان بدرس بالمكتبة كما نرى في عدة أبواب من صحيح البخاري : فقد روي عن موسى بن عقبة ، صاحب المغازي الشهيرة ، « عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، وكان كاتباً له ، أن عبد الله بن أبي أوفى كتب فقراته - وفي رواية : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية فقراته فاذا فيه - أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس . ثم قام في الناس فقال : أيها الناس لا تتنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية . فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال : اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اخزهم وانصرنا عليهم »<sup>(٤)</sup> .

(و) وكان سمرة بن جندب رضي الله عنه جمع أحاديث فورثه ابنه

(١) نقله زبير الصديق عن طبقات الحفاظ ، ٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري باب كتابة العلم ، وباب فكك الأسير .

(٣) الوثائق السياسية رقم ١ .

(٤) صحيح البخاري باب لا تتنوا لقاء العدو ، وباب إذا لم يقاتل أول النهار ، وباب

الصبر عند القتال .

سليمان بن سمرة . وفي لفظ ابن حجر : « روى عن أبيه نسخة كبيرة » <sup>(١)</sup> .  
« وقال ابن سيرين : في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير » <sup>(٢)</sup> .  
( ز ) أما سعد بن عباد الأنصاري ، فكان « كاملاً » من كتاب أهل  
الجاهلية <sup>(٣)</sup> . وكان عنده صحيفة جمع فيها الأحاديث النبوية . وكان ابنه  
يروى منها <sup>(٤)</sup> .

( ح ) لا ندري إذا كان ابن عمر رضي الله عنهما كتب الأحاديث بنفسه  
ولكن نجد رواية سلمان بن موسى في طبقات ابن سعد « أنه رأى نافعاً مولى  
ابن عمر يمل عليه ويكتب بين يديه » . إن نافعاً كان من كبار العلماء وأرشد  
تلاميذه ابن عمر ، الذي صحبه ثلاثين سنة . ولا بد أن يكون قد حوى جميع  
علم استاذة الجليل فقد كان ابن عمر يقول : « لقد من الله علينا بنافع » <sup>(٥)</sup> .  
( ط ) أما ابن عباس رضي الله عنه ، فهو أشهر من أن نحتاج إلى تفصيل  
حياته العلمية . فقد تواتر عنه أنه لما توفي ، ترك حمل بعير من تصانيفه .  
وروى الترمذي <sup>(٦)</sup> عنه عن مولاة وتلميذه عكرمة « أن قرأ قدموا على ابن عباس  
من أهل الطائف يكتب من كتبه فجعل يقرأ عليهم » . وروى الدارمي وابن سعد  
وغيرهما عن تلميذ آخر له - وهو سعيد بن جبير - أنه كان يكتب ما يمل عليه  
ابن عباس رضي الله عنهما من الأحاديث . فإذا قد القرطاس أثناء كتابته ،  
كتب على لباسه ونعله حتى على كفه ، ثم نقله في الصحف إذا رجع إلى بيته .  
فلما توفي سيدنا ابن عباس ، ورث كتبه ابنه علي ، فبقي علمه بعده وتسلسل .

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٦ ، رقم ٤٠١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٥ ، رقم ٨٨٣ .

(٤) الترمذي في كتاب الأحكام ، ذكره مناظر أحسن .

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٣ ، رقم ٧٤٢ .

(٦) في كتاب الملل ، ذكره مناظر أحسن .



## صحابه آخرون :

(ي) كتب الاستاذ عبد الصمد صارم في تأليفه بالهندية « عرض الأنوار المعروف بتاريخ القرآن » ( طبع دهلي ١٣٥٩ هـ ) بعض ما يتعلق ببحثنا <sup>(١)</sup> .  
 فنقل عن الجامع الصغير أن الأحاديث التي كان جمعها عبد الله بن مسعود كانت عند ابنه ؛ ورأى ذكر كتاب سعد بن عباد في مسند ابن حنبل ؛ ونقل عن أسد الغابة أن سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري جمع بعض الأحاديث ؛ وعن تهذيب التهذيب لعبد الله بن ربيعة بن مرثد ؛ وعن البيهقي أن النبي ﷺ كتب لبيدنا أبي بكر الصديق احكام الحج ( كأنه في السنة التاسعة للهجرة ) ؛  
 الى غير ذلك .

## أبو هريرة :

(ك) أما أبو هريرة الدؤمي البجلي رضي الله عنه ، « فقال البخاري : روى عنه نحو ثمانمائة رجل او اكثر من اهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم » <sup>(٢)</sup> .  
 ويقال إنه سمي أبا هريرة لجودة حفظه كما أن المرة لا تنسى ما عرفت من الأمكنة .  
 وروى البخاري في صحيحه <sup>(٣)</sup> : « عن أبي هريرة ، قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ، ما حدثت حديثا . ثم يتلو : ( إن الذين يكتسبون ما أتزلنا من اليناث ) إلى قوله ( الرحيم ) . وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصبق بالأسواق ؛ وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ؛ وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه يحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون » .

(١) راجع ص ١٧٣ وما بعده . مع الاسف لم اجد فرصة كي أرجع إلى الأصول التي ذكرها واحتق رقم الجلد والصفحات .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢/٢٦٥ ، رقم ١٢١٦ .

(٣) باب حفظ العلم .

فما روي من جودة حفظه أن مروان بن الحكم امتحنه مرة فطلبه فجاء .  
 وكان مروان امر كاتباً له أن يجلس وراء الستر . فطلق مروان يسأل أبا هريرة ،  
 فيحدث عما علم . ويقول الكاتب : « فجعل يسأل وأنا اكتب حديثاً كثيراً .  
 ولم يشعر أبو هريرة رضي الله عنه ما وقع وراء الستر ، فراح . ثم طلبه مروان  
 مرة أخرى . ويقول الكاتب : « فتركه سنة ثم ارسل في طلبه وأجلسني وراء  
 الستر فجعل يسأل وأنا انظر في الكتاب . فما زاد ولا نقص » <sup>(١)</sup> . فبدل هذا  
 لأعلى جودة حفظ أبي هريرة ، بل على أن عدداً من رواياته كانت قد كتبت  
 وقوبلت عليها بأمر مروان .

وروي أن أبا هريرة أرى ابن وهب مرة كتبه <sup>(٢)</sup> . وروي الدارمي تدويناً  
 آخر لروايات أبي هريرة فقال : « عن بشير بن نبيك ، قال : كنت اكتب ما اسمع  
 من أبي هريرة . فلما اردت ان أفارقه ، اتيت بكتابه ، فقرأته عليه وقلت له :  
 هذا ما سمعت منك . قال : نعم » .

وروي ابن عبد البر ما يكاد يتعلق بأواخر عمر أبي هريرة ، فروى عن ابن  
 عمرو بن أمية الضمري ، قال :

« تحدثت عند أبي هريرة بحديث . فأنكر . فقلت : إني قد سمعته منك .  
 فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ يدي الى بيته فأرانا  
 كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فوجد ذلك الحديث . فقال : قد أخبرتك :  
 إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي » . (جامع بيان العلم / ١ / ٧٤) .  
 ولأبي هريرة رضي الله عنه تلامذة آخرون . منهم همام بن منبه صاحب الصحيفة  
 التي نحن بصدددها . وهي من أقدم ما دون في الحديث ، وحفظته لنا خزائن الكتب .

(١) كتاب الكنى لبخاري ص ٣٣ ، ذكره مناظر احسن .

(٢) فتح الباري ١ / ١٨٤ ، ذكره زبير الصديقي .

همام بن منبه :

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب <sup>(١)</sup> ما نصه : همام بن منبه بن كامل بن شيخ البجلي أبو عقبة الصنعاني الأبنائي - والأبناء هم أهل فارس قوطنوا قبل الاسلام في بلاد اليمن بعدما فتحها كسرى - روى عن أبي هريرة ، ومعاوية ، وابن عباس ، وابن عمر ، والزبير ، وعنه اخوه وهب بن منبه ، وابن اخيه عقيل ابن معقل بن منبه ، وعلي بن الحسن بن آتش ، ومعمربن راشد . قال اسحاق ابن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الميوني عن احمد : كان يغزو ، وكان يشتري الكتب لأخيه وهب . فجالس ابا هريرة فسمع منه احاديث وهي نحو من اربعين ومائة حديث بإسناد واحد . وأدركه معمر ، وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فقرأ عليه همام ، حتى اذا مل ، أخذ معمر فقرأ الباقي . وكان عبد الرزاق لا يعرف ما قرئ عليه مما قرأ هو . قال ابن سعد : مات احدى وثلاثين ( أي بعد المائة ) - وقال البخاري : قال علي : سألت رجلاً قد لقي همام بن منبه : متى مات همام ؟ فقال : مات سنة اثنتين . قال ، وقال ابن عينة : كنت أتوقع قدوم همام عشر سنين . قلت : وقال ابن سعد <sup>(٢)</sup> ، والخليفة وابن حبان : مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين . وقال العجلي : يماني ، تابعي ، ثقة . انتهى ما قال ابن حجر العسقلاني .

وقال صاحب كشف الظنون : « الصحيفة الصحيحة للشيخ همام بن منبه الصنعاني المتوفى سنة ١٣١ . وهي التي كتبها عن أبي هريرة » .

فكان همام قد جالس ابا هريرة مدة ، وسمع منه احاديث وكتبها في مجموعة سماها « الصحيفة الصحيحة » ، على ما روى في كشف الظنون ، كأن هذا على

(١) ٦٧/١١ ، رقم ١٠٦ ( راجع أيضا ٥٧٤/١ ) .

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٣٩٦/٥ .

مثال « الصحيفة الصادقة » لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . فصحيفة همام ، رواها تلميذه ممر عند . ثم عبد الرزاق عن ممر . ثم هلم جرا . وعلى هذا تكون هذه الصحيفة قد دوت في اواسط القرن الأول للهجرة ، لأن اباهيرة توفي سنة ٨٥٨ .

وقد نقلها ابن حنبل في مسنده ( ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٩ ) بتمامها . ونقل البخاري عدداً كثيراً من احاديثها في صحيحه ، في أبواب شتى <sup>(١)</sup> . سوى ما تواتر روايته هذه الصحيفة على حدة نسلاً بعد نسل . وقد عثرنا على مخطوطتين منها ، تحتويان على إسنادين مختلفين . منفصل ذكرهما فيما سيأتي :

لا يمكن مقابلة الصحيفة بما نقل منها البخاري في صحيحه فانه فرّق احاديثها في أبواب متفرقة . أما ابن حنبل فنقلها برمتها كما هي . فاذا قابلنا الباب المتعلق من مسند ابن حنبل مع المخطوطتين لدينا ، وجدنا الفروق الآتية :

( ١ ) يتفق المبد مع المخطوطتين ولا يختلف في ترتيب الاحاديث إلا مرتين أو ثلاث . وهذا بلا زيادة كلمات ولا نقصانها . ( راجع الصحيفة في الاحاديث رقم ١٣٤١٣ ، ٩٣٤١٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ) .

( ٢ ) نجد في مسند ابن حنبل حديثاً واحداً لا نجده في المخطوطتين لدينا ( راجع رقم ١٤/ب ) . ومن المعروف أن في النسخة المطبوعة من المسند أغلاط طبع كثيرة . ولا يذكر ابن حنبل حديثاً ( رقم ٥ ) نجده في كلتا المخطوطتين . ( ٣ ) تكرر كلمة « وسمي الحرب خدعة » في حديثين في مخطوطتي الصحيفة ( رقم ٢٩ ، ٤٠ ) أما ابن حنبل فلا يذكره إلا مرة واحدة ( ٤٠ ) .

( ٤ ) تغير بين المصدرين بعض عوارض الرواية مثل « عن رجل » بدل « تعالى » بعد ذكر اسم الله ؛ أو « النبي » و « أبو القاسم » بدل « رسول الله » ؛ أو اشياء

(١) جلد اول ، ص ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٩١ ، حله رابع ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٦

٢ ( ٨ )

إلى غير ذلك ( من طبع مصر ١٣١٣ هـ ) .



ما يوجد مثلها عادة بين مخطوطتين من كتاب واحد • وقد أثبتناها في الحواشي •  
وليس فيها ما يبدل المفهوم أو يغير المراد •

فاذا لم يتغير تأليف همام بن منبه المتوفى سنة ١٣١ الى زماننا هذا (سنة ١٣٧١)  
بعد كثرة ما تناولته الأيدي ونقله الناقلون والرواة والمؤلفون ، فلا مجال لانكار  
صحة ما مضى قبل همام من لدن النبي ﷺ الى أن رواه ابو هريرة • وليذكر  
أن الأحاديث المذكورة في صحيفة همام ، قد رواها غيره ايضاً كما وجدناها في  
مسند ابن حنبل والبخاري وسائر كتب الحديث المتداولة ، بعضها عن ابي هريرة  
وبعضها عن غيره من الصحابة •

### وصف المخطوطتين :

إن مخطوطة برلين ، رقمها ( 1797 We 1384 ) وكانت في مكتبة الدولة  
Staatsbibliothek في عاصمة المانيا • ( وهذه المخطوطات محفوظة في هذا الزمان  
في مدينة تيوبنغن Tübingen ) • فهذه المخطوطة في مجموعة رسائل ، تبتدى  
صحيفة همام بن منبه فيها من الورقة ( ٥٤ ) وتنتهي بالورقة ( ٦١ ) وتنقص في  
أثنائها ورتخان • حجمها ١٧٥ × ١٢٥ سنتيمراً • وفي كل صفحة ( ١٩ ) سطراً •  
ويبدأ كل حديث فيها بكلمة « وقال » بالمداد الأحمر • أنا كنت نقلتها بخطي ،  
وهذا ما أثبت في آخر نقلي : « نقله لفظاً لفظاً من الأصل المحفوظ في خزانة  
الحكومة البروساوية في برلين يوم عرفة ويوماً قبله سنة ١٣٧١ من الهجرة وقابله  
من الأصل المنقول عنه بحسب الاستطاعة ، محمد حميد الله » ، وهذه النسخة من  
أوائل القرن الثاني عشر للهجرة •

فلما رجعنا الى بروكلمان ، أسقنا لما وجدنا فيها من الأغلاط الفاحشة • فلا  
يذكر بروكلمان هذه الصحيفة تحت اسم همام بن منبه • فلما أطلقنا البحث ، عثرنا  
عليها بالمصادفة ، فانه ينسبها الى « عبد الوهاب بن محمد بن اسحاق بن منده المتوفى

٤٧٣/١٠٨٢» . ثم يقول : « من تأليفه صحيفة مهمام بن منده ( كذا ) المتوفى ٧٤٨/١٥١ ( كذا ) عن ابي هريرة المتوفى ٦٧٨/٥٨ » . وليس هذا في الطبعة الأولى ، بل في ضبيعة الكتاب وفي ضبيعة الضبيعة للجلد الأول . فقال « مهمام بن منده » ، ولم يرد إلا « مهمام بن منبه » . وكذا سها في تاريخ وفاته ( الصحيح أنه ١٣١ ، لا ١٥١ ) ، كما سها سهراً فاحشاً في عزوه الى عبد الوهاب ابن منده ، وليس هناك إلا راو في عصر من العصور .

### مخطوطة دمشق :

أما مخطوطة دمشق فهي تفوق اختها قنوق نور الشمس على ضوء القمر المتعار . وهي محفوظة في خزانة الكتب الظاهرية . ودلتني عليها الأستاذ محمد زبير الصديقي ( من جامعة كلكتة ) . وأما صورتها الشمسية فقد حصلت عليها من الأستاذ صلاح الدين المنجد . وكلاهما يستحقان شكري وشكر من يستفيد من قراءة هذه الصحيفة .

وهي أيضاً ضمن مجموعة رسائل : تمتاز بأنها كاملة وأقدم المخطوطتين كتابة . فهي من القرن السادس من الهجرة . وكذلك هي أصل النسخة التي استعملت للدرس والسماع وثبت الاجازات مراراً عديدة . وقد درس فيها ابن عساكر ، صاحب تاريخ دمشق فبين درس . وخطها جميل ، غير أن الناسخ اعمل تقط الحروف في اكثر الأحيان . وسطورها في كل صفحة إما ٢١ او ٢٢ او ٢٣ . وحجم صورتها الشمسية كحجم النسخة الألمانية . وهذه النسخة المكتوبة بدمشق ، من زمن حروب الصليبيين . ونرى في سماعاتها ما كانت من عادات الدرس الاسلامي وآدابه عند المحدثين في تلك الأزمنة من الحروب والفتن : ولنا بصدها الآن . وفي كلتا المخطوطتين كتب الناسخ بعض اختلافات الرواية على الهامش فقال إما « أؤخر » أو « أدخر » ، وكذلك « تركتكم : تركتم » ، « يجتوئك :

يحييونك ، ، « فزادوا : فزادوه » ، « بطعامكم : بطعامه » ، « حين : حينئذ » .  
ونرى بعض هذه الاختلافات ، التي لا تغير مفهوم الحديث البتة ، في مسند  
ابن حنبل أيضاً . ولعلها من زمن معمر ، وهو لم يسمها تملأ من همام ، كما نقلنا  
فيما مضى عن ابن حجر ، بل قرأها هو عليه حين كانت همام قد ملّ وتعب .  
والدرس الشافعي كان أعظم وسيلة لصحة ما كتب .

فالحديث النبوي مبني على عمودين : الكتابة والنسخ ، كل واحد منهما  
بعضد الآخر . فلو قابل أحد هذا الحزم والاحتياط في حفظ الحديث الحمدي  
وصحته مع ما وقع لحديث أنبياء آخرين قبل الاسلام ، وكذلك مع ما هو حال  
« التاريخ » في عصرنا الحاضر من أكاذيب الصحف وتدليسات الوثائق الرسمية ،  
وفكر تفكيراً سليماً ، لوضع له فضل الحديث ، وما فاق به المحدثون من لدن  
عصر الصحابة الى العصور المتأخرة التي أبقي الدهر من آثارها الأصلية . والفرق  
بين حديث المسلمين وحديث غيرهم مثل ما بين السماء والأرض ، وشئان ما بينهما ،  
لا يشوبه أكاذيب الأعداء ولا جهل الأصدقاء .

وهاكم فيما يلي « الصحيفة الصحيحة » لهما بن منبه رحمه الله تعالى . وقد أضفنا  
اليها الأرقام على الأحاديث لتسهيل المراجعة :

محمد حميد الله

( يتبع )

## شيخ الإسلام ابن تيمية

— ٤ —

### علاوة ثالثة

ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد

تمهيد

يظن بعض الناس أن دعاة الإصلاح والتجديد ، لأمر الدين والتوحيد ، على أساس الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، إنما يحاولون إحياء الدين وإمالة مآعده من علوم السلف وحضارتهم ، أو عدم الانفعال بما تدعو اليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيّتهم ، إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل ! إن سلفنا الصالح الذين نهتدي بهديهم ، وتقفو آثارهم ، قد جعلهم الله حداة للناس في الدين والدنيا ، وأورثهم أرض كثير من الأمم القديمة وما عليها من علوم وآداب وصناعة وعمران ، ونحن نلوا أخبارهم ، وتقفو آثارهم ، وإن لم نبلغ شأوهم ، ونستفيد من مستحدثات الأمم المعاصرة ، كما استفاد سلفنا من مزايا الشعوب والأمم الغابرة .

أنا فحاول أن نكون أمة ذات مدنية عربية اسلامية ، لا شرقية ولا غربية ، أساسها الأخلاق والفضائل ، وميزانها إقامة العدل بين الخلائق ، وهذا الطراز الممتاز من المدنية يقتبسه من نور العصور الذهبية للإسلام . ولقد ذاق الناس من ظلم المدنية الحديثة ما جعل أشد الناس إيماناً بها من قبل ، أشدّهم يقيناً لها ، وكراهية للمستبدّين الظالمين من أهلها .



ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ينصر مذهب السلف الصالح بأدلة عقلية وتقليدية ، ويجادل إرجاع الناس إليه بكل الوسائل ، ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديماً وحديثاً ، وقد ألف كتباً كثيرة كان معتمداً يحوم حول هذه القضية ، وعقدت له عدة مناظرات في مصر والشام من أجلها ، وقد أثرت بعضها من قبل . وله رحمه الله في باب التوحيد الخالص ، المجمود عن شوائب الوثنية والبدع والزوائد ، كتب ورسائل ، بعضها طبع وبعضها لمّا يطبع ، وتقتصر الآن على ذكر ثلاثة منها مطبوعة : (١) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، وهو علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري (٦٧٣ - ٧٢٤) وترجمته في الشذرات (ج ٦ ص ٦٤) وهو ردّ على مسألة الاستغاثة بالمخلوقين ، وقد خصه ابن كثير في تاريخه . (٢) كتاب الرد على الاخنائي المسمى بقاضي القضاة علم الدين بن شمس الدين (٦٦٤ - ٧٣٢) وترجمته في الشذرات أيضاً (ج ٦ ص ١٠٣) واسمه الرد على الاخنائي واستحباب زيارة خير البرية ، الزيارة الشرعية ، وهما مطبوعان معاً بمصر سنة ١٣٤٦ . (٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ، وهو مطبوع بمصر أيضاً سنة ١٣٢٧ هـ . وفي طلائع الكتاب الأول مباحث جلية في مدوني التفسير والحديث والسير والتاريخ ، والجرح والتعديل ، وذكر طائفة من الكتب المعتمدة ؛ وبيان ما اتسع فيه الكذب من فضائل الأعمال والأشخاص والأماكن والزمان ، وما سمعه شيخ الإسلام من جهالات بعض القضاة والمفتين والمدرسين وما رآه منهم . وقد حقق فيه أن لفظ (الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب ، إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ، ومرييهم ومخلصهم ، فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . (قال) : ولو كانت الاستغاثة

بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة لطلب من النبي (ﷺ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمامة في الغزو ، وإرسال البعث ، وعقد الألوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق ، وقسم الموارث والنائب ، والنبي ، والصدقات ، وتعليمهم ما يؤمرون به بما في القلوب من المعارف والأحوال ، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال ، وإفنائهم فيما ينوبهم من المسائل ، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا . . . فهذه الأمور التي كان مأموراً بها أمر إيجاب أو استحباب ، وكانت حقاً عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء ، كما انتهى حق الله الذي أمره به <sup>(١)</sup> .

وأقول تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : ان الصحابة الكرام ، قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان ؛ وتناظر الشيعان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستفيثوا به في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبدهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من منبئ الصدر الأول للإسلام . ولو كان ترك وسائل النصر والظفر ، والامتناع بغيره تعالى مفيداً لنا في شيء ، لكننا اليوم أسعد الأمم حالاً ، وأنعمها بالآ ، وأوفرها عزة وثروة وقوة ، ولكن تلك الخطة المعارضة للشرع والطبع والحس التي سلكها أولئك الناس لم تزد الأمة إلا نكلاً ووبالاً ، « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخشون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذوراً » <sup>(٢)</sup> .

(١) ملغته من ص ٨٣ و ٩١ و ١١٠ منه .

(٢) الاسراء : ( ٥٦ و ٥٧ ) .

ثم إن هذا المؤلف (البكري) قد جرى على عرف بعض العلماء المتأخرين الذين جعلوا الاستغاثه به (ﷺ) وبغيره في معنى التوسل الى الله تعالى بجاهه وبحقه ، كالسبي في شفاء السقام ، والقسطلاتي في المواهب ، والسمهودي في خلاصة الوفا ، وابن حجر المكي في الجوهر المنظم وغيرهم . والمراد أنهم يألون الله تعالى بحقه وجاهه أن تقضى حوائجهم ، وسيأتي بحث ذلك . أما الاستغاثه بأهل القبور أنفهم بمعنى طلب الغوث منهم - أي زوال الشدة ، وتقريب المم والكرب ، وقضاء سائر الحوائج ، فهذه استغاثه شركية ، لا تدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال ، بل هي توسل الغلاة والجهال في الحضر والفر ، والبر والبحر ، والعسر واليسر ، والفرج والشدة ، ونحن نجل أهل العلم والعقل والإيمان ، عن الوقوع في مثل هذا الطغيان والهديات .

وفي الكتاب الثاني لشيخ الإسلام (قاعدة جلية في التوسل والوسيلة) ماملخصه: لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان (أحدها) التوسل بطاعته (ﷺ) فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به . (والثاني) التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ، ويكون يوم القيامة . (والثالث) التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يأل بمخلوق<sup>(١)</sup> . . .

أقول إن التوسل في لغة الصحابة هو عبارة عن أقوال وأفعال وأحوال لم تجر سنة الله في صدورهم عن غير الأحياء بين أظهر الناس ، كتوسل عمر بالعباس في الاستسقاء ، فهو طلب للقاء والدعاء والصلاة على طريقة معهودة في الشرع ، معروفة في كتب الحديث والفقه ، ومنها أن يخرج التوسل به الى المصلي

(١) ص ١٢ و ١٣ و ٥٥ و ٥٧ و ١٧٦ م .

ويخرج الناس معه ، فيستقي ويدعو مستقبلاً القبلة ، ويمحول رداءه ويصلي ركعتين ،  
ويخطب خطبتين ، أو نحوها من الهيئات الثابتة ، كما يعلم ذلك من سبّر الأحاديث  
الصحيحة الواردة في الاستسقاء ، والتوصل به للسقيا على تلك الهيئة أو نحوها  
لا يمكن أن يكون من غير الأحياء .

ثم هنا مسألة مهمة وهي أن حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وصالح  
الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها  
وبين إجابة سؤاله ، فإذا قال الداعي : أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي  
فمعنى ذلك : اقض حاجتي لكون فلان صالحاً ، فأني مناسبة بين قضاء حاجتك  
وصلاحه ؟ وإذا قلت بجاء فلان اغفر لي ، كان المعنى : طلب المغفرة لكون فلان  
ذا جاء ، وأي مناسبة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس منفياً  
عنه لا في حياته ولا عند ربه ، ولا هو مثل نزاع ، ولكن ليس من عملك  
الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وإنما العامل هو الذي يجني ثمرة  
عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو  
مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ولو كان التوصل بعمل الصالحين يفيد المتفاعلين عن العمل لكان الأمر علينا  
معشر المسلمين ، إذ كان يمكننا أن نقول مثلاً : اللهم أزل ضعفنا ، وأمن  
خوفنا ، وانصرنا على عدونا بجاء سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لإعلاء  
كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً ميبساً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا من الملك  
والسلطان ، والعلم والعرفان ، والخفارة والعمران مثل ما وهبت لهم ، أفترى أنه  
تفيدنا هذه التوسلات بجاء أسلافنا وقوتهم ، وسعة سلطانهم ، واستبجار عمرانهم ،  
ونحن قد تداعت علينا الأمم فجعلتنا مغنماً ، ونهباً مقسماً ؟ لا لا ، وإنما ننهض  
ونجدد إذا تهدبنا بهديهم وكان لنا مثل عملهم .

قال الامام ابن القيم رحمه الله : « وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في



الدنيا والآخرة ، وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ترتيب  
الجزاء على الشرط ، والمعامل على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن  
يزيد على ألف موضع . وقال أيضاً : وهكذا شأن التوسل الديني الأخروي .  
وهكذا من وفقه الله وألمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة  
والإيمان والأعمال الصالحة ، قرب الدارين واحد ، وحكته واحدة ، لا يناقض  
بعضها بعضاً ، ولا يبطل بعضها بعضاً .

قلت : ويشهد له قوله تعالى : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا  
مع الشاهدين » فهو توسل الى الله تعالى بالإيمان والاتباع . ومن أفضل أنواع  
التوسل ما جعله الله تعالى دعاء المؤمنين ، ورتب عليه غفران الذنوب ، وتكفير  
السيئات ، والوفاء مع الأبرار ، فقال عز من قائل : « ربنا اننا سمعنا منادياً  
يتنادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ،  
وتوفنا مع الأبرار » وقال جل حكته : « الذين يقولون ربنا إنا آما فاغفر  
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » فهذه الآيات الكريمة قد أرشدتنا الى التوسل اليه  
تعالى بما شرعه من الإخلاص في الدعاء له وحده ، والإيمان بما أنزل من عنده ،  
واتباع الرسول على الوجه الذي جاء به من عند ربه ، فتأمل كيف جعل ذلك  
سبباً لمغفرة الذنوب ، والوقاية من النار ، والنظم في سلك الأبرار ، وأين هذا  
التعليم الإلهي ، والتوسل الشرعي ، من المعامل التوسلية التي أنشأها المبتدعة  
لأنفسهم ولغيرهم ، وهم يصددون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعاً متنوعة  
ما أنزل الله بها من سلطان « قل أنتم أعلم أم الله » ؟

وأما الكتاب الثالث — وهو الرد على الإخنائي — المسمى بقاضي القضاة ،  
ففيه أن الإمام ابن تيمية قد أرسل اليه بعض أصحابه جزءاً أخبر أنه صنعه بعض  
القضاة ، قد تكلم في المسألة التي انتشر الكلام فيها وهي السفر الى غير المساجد  
الثلاثة كالسفر الى (مجرّد) زيارة القبور هل هو حرام أو مباح أو مستحب ،

« وهي المسألة التي أجبت فيها من مدة بضع عشرة سنة بالقاهرة ، فأظهرها بعض الناس في هذا الوقت ظناً أن الذي فيها خلاف الإجماع ، وأن السفر لمجرد قبور الأنبياء والصالحين هو مثل السفر المستحب بلا نزاع ، وهو السفر إلى مسجد نبينا محمد ( ﷺ ) المتضمن لما شرعه الله من السفر إلى مسجده والصلاة فيه ، والسلام عليه ومحبة وتعظيمه ، وغير ذلك من حقوقه ( ﷺ ) في مسجده المؤسس على التقوى » ١٠٥ .

أرسل إليه بعض أصحابه هذا الجزء وأقسم عليه ليكتب شيئاً يظهر فيه جهن مثل هؤلاء الذين يتكلمون في الدين بغير علم ، وليس في الفتوى القديمة التي اطلع عليها القاضي ( وهي منشورة في هذا الرد ) تحريم زيارة قبور الأنبياء ولا غيرهم ، ولا كان السؤال عن هذا ، وإنما فيه الجواب عن السفر إلى القبور ، وكتب الشيخ وفتاويه مشحونة باستحباب الزيارة ، وفي جميع مناسكه بذكر استحباب الزيارة . قال ابن تيمية : وأما من كان قصده السفر إلى مسجده وقبره معاً فهذا قد قصد مستحباً مشروعاً بالإجماع » . . . والجواب في السؤال كان عمن سافر لا يقصد إلا زيارة القبور ، لا يقصد سفرًا شرعيًا كالسفر إلى مكة ( أي المسجد الحرام ) وإلى مسجد النبي ( ﷺ ) والمسجد الأقصى .

أقول : إن هذا الموضوع بأقسامه الثلاثة : الزيارة ، وشهد الرجال ، والتوسل ، قد شغل الناس قرونًا طويلة ، وملا مئات المصنفات وألوف الصفحات ، وكنت قدمت اقتراحاً إلى مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بمكة ( ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م ) قرّبت فيه بين المذاهب المختلفة في المسائل الثلاث ، ووافق عليه الأعضاء المؤتمرون جميعاً ، وخلاصته :

١ - أن الزيارة الشرعية للأموات من دون شد الرجال ، ليس فيها مطعن ولا مقال ، وقد كان النبي يزور سكان البقيع ، وشهداء أحد ، ثم قلت : إن هذا المضمر عصر تأمر مل ، واتفاق دول ، يخالف مصلحتنا معشر العرب

والمسلمين ، وإن كثيراً من العوام والغلاة ، كلما أعوزهم كشف البلاء ، أو تحقيق الرجاء ، تركوا ما أمر الله به من إعداد القوة ، والأخذ بوسائل الدفاع ، ولجؤوا الى قبور بعض الصالحين ، يستجدون بهم للدفاع عنهم ، وبذلك قضي على كثير من بلاد المسلمين ، قدره آلهذه المفاصد الدينية والدنيوية ، نوضح للناس أن دعاء غير الله بكشف الضر ، يعدُّ عبادةً لذلك الغير « فلا تدعوا مع الله أحداً » وفي الحديث ( إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ) فيستفاد من ذلك أن ليس في الإسلام إلا الأخذ بالأسباب المشروعة في جميع المهمات ، والاستعداد لجميع الطوارئ والحادثات بقدر الاستطاعة .

٢ - إن مسألة شد الرحال إلى المساجد الثلاثة مفروغ منها ، وإن السفر إلى ما عداها من المساجد ، أو لمجرد زيارة القبور ، لم يعمد في الصدر الأول ، ولم يقع من الأئمة الهداة ، وهل زيارة قبر النبي مشروعة وحدها فتشد الرحال إليها كأداء العباداة في مسجده ؟ أم هي مشروعة تبعاً لأداء العباداة في المسجد ؟ في المسألة قولان ، ويوفق بينهما بأن الصلاة في مسجد النبي وزيارته متلازمان ، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر ، كمسألة الفقير والمسكين والإيمان والإسلام عند الفقهاء فلا يذكر أحدهما إلا ويراد معه الآخر ، وأن تكون النية موجهة عند شد الرحال إلى أداء العباداة في المسجد ، ومعها زيارته ﷺ .

٣ - إن من استقرأ النصوص ، وسبر غورها ، ظهر له منها أن التوسل إليه تعالى بالكلم الطيب ، والعمل الصالح هو المشروع ، وأنه هو الذي تنال به خيرات الدنيا والآخرة ، قرب الدارين واحد ، وحكته فيهما واحدة كما قال ابن القيم ، وفي طليعة كتابه : ( الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ) تحقيق بديع لهذا البحث ، وقد أورد له القواعد والشواهد الشرعية من القرآن العظيم الذي أيد العتل والحس والفطرة وطبيعة البشر في ذلك ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يوم شمول التوسل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية ،

وكان فيها قولان لكل الامام أحمد بن حنبل ، وقد ورد : « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا » رواه احمد وابن ماجه ، وفي مسنده عطية العوفي ، وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح ، فحق السائلين عليه الإجابة ، وحق الماشين الى المساجد الإجابة ، « وقال ربكم : ادعوني استجب لكم » فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعده به ، وقد تفضل فجعله حقاً لهم عليه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء . ومن المؤسف جداً عدم الاهتمام بهدي الأنبياء والصالحين ، والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كالتقصير والقلاع ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، ويرحم الله حافظاً القائل :

أحيائنا لا يرزقون بدم وبألف ألف ترزق الأموات  
من لي يحظ النائمين بحجرة قامت على أحجارها الصلوات

والواجب يتقاضى علماء الدين الخالص ، والعاملين للمدنية الصحيحة ، أن يتعاونوا على إنشاء معاهد عليّة ، في الأقطار الشرقية والغربية ، تدعو الى الله على بصيرة ، ونصح العقائد والموائد ، وتزيل المهالك والفساد ، وتميد عهد الأئمة ، وتجدد معالم الأمة .

ومنصل البحث بما حققه شيخ الإسلام : من وحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، إن شاء الله .

محمد بهجة البيطار

( يتبع )



## التعريف والنقد

### حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول

شكري فيصل : دكتور في الآداب

مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧١ — ١٩٥٢

يرى الدكتور شكري فيصل ان كل دراسة للمجتمع الإسلامي في نشأته ونموه يجب أن تقوم قبل كل شيء على دراسة الفتوحات ورصد معالمها الظاهرة والباطنة . من هذه الزاوية نظر في حركة الفتح الإسلامي وعلى هدى منها عمل كتابه الذي عني فيه بالفتوح من الوجه الآتي : من حيث أنها سبب في نشأة المجتمعات الجديدة وطريق للتعرف الى معالم هذه المجتمعات وسبيل بعد ذلك الى دراسة اللغة والأدب دراسة لاثقيا جذورها على السطح الأعلى من الأرض ولكنها تنفذ ما استطاعت البعيد العميق .

أجتزئ في هذه السطور بالدلالة على روح الكتاب أما خصائصه فلا يتيسر الوقوف عليها إلا بعد مطالعته .

لقد مشى بنا الدكتور شكري فيصل في النتج الإسلامي مشياً وثيداً فجعل فتوح الشام والعراق ومصر قسماً وجعل ما وراء مصر قسماً وما وراء العراق قسماً فكان لنا بعد الانتهاء من كل فصل من هذه الفصول صورة واضحة لحركة الجيوش وتقاتلها وأمدادها ولما تمكنت منه وما ارتدأت عنه ولعلبتا واستقرارها في خاتمة الأمر .

ليس من الضروري بعد هذا كله أن نقف على فتح كل قطر على حدة لأن غايتنا التعريف بالكتاب لا التحليل ولا التركيب ، ولكن لا نجد لنا مندوحة

عن الإشادة بالنهج العلمي الذي نهجه المؤلف فيه ، انا نرى الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا وأعتي بهذا الفكر الرياضي تسلسل المباحث وربط بعضها ببعض ربطاً منطقياً حتى لا يركب بعضها بعضاً وإذا كان الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا فان كتاب الدكتور شكري فيصل بنعم به نعمة كبيرة وحسب صاحبه هذا الفضل .

لقد حاول أكثر المؤرخين في مؤلفاتهم أن يأخذوا بأيدينا في مسالك الجيوش فوقفنا على حركات الجيوش وسكناتها واطلعنا على عددها وعددها ورأينا بأعيننا هزيمها وانهزامها وشهدنا أكثر من ذلك الروح الخفية التي تدفعها الى الفتح والتوسع في الآفاق والخلاصة رأينا المثل الأعلى الذي يمشي بها وقد دلنا على هذا المثل الأعلى عبد الله بن الزبير في خطبة من خطبه في فتح إفريقية اذ قال : فيتنا وباتوا ، وللمسلمين دوي بالقرآن كدوي النحل ، وبات المشركون في خمورهم وملاعبيهم ، فهذا الدوي بالقرآن هو الذي دفع المسلمين الى فتوحاتهم فكان لم أملان : أمل في الدنيا وأمل في الآخرة .

هذا كله اهتدى اليه المؤرخون ولكن الشيء الذي لا تزال تجهل أكثره أو أقله انما هو حالة بلاد العدو النفسية في تلك الفتوح ، فنحن نعلم في هذا العصر ان للحالات النفسية أثراً كبيراً في الحروب ، في الهزم والانهمزام فالعدو وحدها لا تفسر لنا هذا الهزم وهذا الانهمزام فلا بد من الوصول الى أعماق النفوس حتى نعلم حالاتها في مثل هذه الحروب فكيف كانت حالات بلاد العدو النفسية في فتوح المسلمين ، لا شك في أن جيوش المسلمين انتفعت بضعف هذه الحالات بقدر انتفاعها بقوة رجالها وشدة إيمانهم بالتاريخ لا يزال غامضاً في هذا المعنى فهو لم يفسر لنا الحالات النفسية في الجيوش المهزومة وفي بلادها وهذا عنصر ذو شأن في عصرنا هذا في تحليلات الحروب .

وإذا كان يجدر بنا الإشادة بكتاب الدكتور شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي فانا نشيد به لأنه لم يهمل في بعضه هذا المنصر العظيم .

## .. المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ..

شكري فيصل

مطابع دار الكتاب العربي - مصر ١٣٧١ - ١٩٥٢

خرج التاريخ على مختلف أشكاله عن أن يكون مجرد حكايات وروايات وإنما هو إحياء لصور ماضية ، صور حروب ، صور جماعات ، صور مجتمعات وما شابه ذلك ، وإذا لم يشمل التاريخ على مثل هذا الإحياء كان جامداً ، فإذا روى لنا الفتوحات فانا لا نكتفي برؤية جيش يزحف الى جيش أو جند يغلبون جنداً وإنما نريد أن نرى العوامل النفسية في الغلبة والانكسار حتى نرى بأعيننا صوراً ناطقة بلحمها ودمها وروحها ، قالشيء الذي تشد الحاجة الى معرفته في عصرنا هذا ، عصر التحليل والتركيب ، انما هو صورة المجتمعات الإسلامية بعد فتوحات الإسلام ، كيف كانت الطبقات في البلاد التي استولى عليها المسلمون ، كيف كانت لغاتهم ، كيف امتزج المسلمون بهذه الطبقات أو كيف امتزجت الطبقات بالمسلمين ، وما هو أثر التفاعل في هذا الامتزاج ، كيف خالطت لغة العرب اللغات الجديدة في البلاد التي غلب عليها العرب ، ما الذي استفادت من هذه اللغات أو ما الذي استفادت اللغات منها ، هذا ونظيره هو الذي يعيننا أمره في عصرنا هذا ، انا نريد أن نرى جماعات ناطقة تشهد حياتها ونسمع كلامها ، نريد أن ينفض المؤلف التاريخ من مذاقه حتى نعيش مع أهله في مجتمعاتهم ونسمع كلامهم .

هذا ما بذل مجهوده فيه الدكتور شكري فيصل في كتابه : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول .

في كتابه : حركة الفتح الإسلامي درس هذه الحركة حتى يدل الى معرفة نتائجها في المجتمعات الإسلامية وفي اللغة والأدب .

وفي كتاب : المجتمعات الاسلامية أحيا لنا هذه النتائج فيبين كيف أدت فتوحات المسلمين الى انشاء مجتمعات جديدة وما هي الأطوار الجديدة التي دخلت فيها لغة العرب وأديبهم بعد الفتح .

واذا شئنا أن نعرف شيئاً من مظاهر هذا الكتاب فانا نكتفي بأن نقول ان المتعارف ان مجتمعات الجاهلية كانت عبارة عن عصيات متناحرة تقوم على خلاف القبائل واتقسامها وان هذه القبائل كانت وكأنما كل واحدة منها أمة مستقلة الا أن الدكتور شكري فيصل لم يذهب هذا المذهب فقد قرأ ان مجتمعات الجاهلية لم تكن على هذه الصورة من الجمود والتشتت ولم تكن القبائل تعيش في هذا التباعد وانما كانت هناك حركة تسوق القبائل وتقرّب بينها . من الصعب أن نحيط في هذه الكلمة المختصرة بروح كتاب الدكتور فيصل من مجامع نواحيه ، من الصعب أن نحيط بآثار الفتوح الإسلامية في المجتمعات واللغة والآدب ، انا نعرف ، أن اللغة العربية بعد أن خرجت من بيتها لم تكن ملك العرب وحدهم كما يقول « دوزي » في معجمه وانما أصبحت ملك الولايات التي استولى عليها العرب فامتزج العرب بأهل تلك الولايات فكان لهذا الامتزاج أثر في العرب أنفسهم وفي لغتهم فاقبس العرب عن المغلوبين من أهل الشام وفارس والقبط والبربر والاسبانيين والترك طائفة عظيمة من المحدثات ، انتقل العرب من البدو الى عالم كانت آفاقه جديدة فاتصلوا ببدن ورثت أشياء كثيرة من الحضارات القديمة كحضارة الرومانيين ، وحضارة الفرس فأثر هذا الانتقال في ثقافتهم فدرسوا فنون المغلوبين وعلومهم وأدّت هذه الدراسة الى انقلاب في أفكارهم وأخلاقهم ولغتهم ذاتها .

وضح الدكتور فيصل في كتابه آثار هذا الانقلاب في مجتمعات المسلمين ولغتهم وأديبهم في كل عصر كان ناس يحرمون على مجتمعاتهم القديمة ولغتهم القديمة وناس يذهبون مذاهب جديدة ، في القرن الأول من الاسلام حاول



بعض الشعراء أن يحرصوا على الروح الجامعية في شعرهم كما حاول بعد ذلك علماء اللغة أن يحرصوا على وحدة لغتهم إلا أن الفتوحات أثرت في الأدب وفي اللغة وليس بقليل أن تشهد عواقب هذه الآثار قترى كيف استفاض اللحن في كلام الناس .

لقد استطاع الدكتور أن يصور لنا في مؤلفه العظيم هذا العالم الجديد الذي تصارعت فيه بعد الفتوحات الإسلامية لغة العرب ولغات ثانية ومجتمعات العرب ومجتمعات ثانية حتى كدنا نرى آثار هذا التنازع بأعيننا فكأننا عشنا بين ظهرائي الإماء والعبيد والزنوج والأنباط الذين خالطوا العرب فتعلموا لغتهم وجمعوا بينها وبين عجمتهم ، ولكن لغة العرب بعد الفتوح غلبت على كل اللغات التي مرّت بها فلم تستطع لغة واحدة منها أن تتأصل العربية .

أفلا يحق لنا بعد هذه الصور الناطقة التي ازدحمت في كتاب : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول أن نشفي على صاحبه أجل الثناء وأن نشيد بفضلته وبجهوده .

شفيق هيري

مخطوطات

## مخطوطات يمانية

في خزانة كتب الإمام يحيى

أهدى الى خزانة المجمع العلمي العربي حضرة الأمير سيف الإسلام عبد الله (مجلداً من فهرس كتب المكتبة العامة بجامع صنعاء) وقد رأينا أن ننشر هنا طائفة من أسماء مخطوطات نراها قيمة بالذكر . جديرة بالنشر . ونعتمد في أكثر ما نذكره من المخطوطات على ما عثرنا عليه في مجاميع الفهرس .

مجموع (رقم ٩) فيه رسائل مخطوطة للعلامة الأمير محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) كتبت في حياته منها :

رسالة في تحقيق مدة الحمل وأقوال العلماء في ذلك .

بحث في جواز الضرب على التهمة .

مجموع ( رقم ١١ ) فيه رسائل مخطوطة للسيوطي منها :

- طي اللسان عن ذم الطيلسان .
- إعلام الأريب بمحدث بدعة المحارب .
- رسالة التبزي من معرة المعري .
- رسالة الطرطوث في البرغوث <sup>(١)</sup> .
- اتحاف النبلاء بأخبار القلاء .

الباحة في السباحة

نزهة العمر في التفضيل بين البيض واليسر .

الأوج في خبر عوج .

مجموع ( رقم ١٢ ) فيه رسائل مخطوطة لمحمد بن عبد القادر الأهدل منها ثلاث

رسائل في موضوع الصندوق الناطق . اثنتان منها للأهدل والأخيرة للهذلي الشافعي :

(١) غاية الانتصار لكون الصندوق الناطق ليس من الأسفار .

(٢) أنوار الهدى في حكم صندوق الصدا .

(٣) فتاوى الفلاح على ما في فتوى حيل الصندوق والاستدراج .

(٤) رسالة للأهدل تتضمن جواب سؤال في مسألة الحوايل <sup>(٢)</sup> التجارية .

مجموع مخطوط ( رقم ١٧ ) فيه مقصورة ابن دريد الصغرى ؟

مجموع مخطوط ( رقم ٢٨ ) فيه غاية النفع في نشر فضائل الزرع لشهاب الدين الرميلي .

مجموع مخطوط ( رقم ٣٢ ) فيه كتاب التعاليق في علم النجوم .

(١) الطرطوث أعملته للهام فلمل صوابه الطرثوث بالثناء وهو نبت يؤكل كذالي اللسان .

( للمغربي )

(٢) المراد بالحوايل التحاويل وهي الحوالات التجارية للمروقة بين التجار أما

الصندوق الذي ألفت فيه الرسائل الثلاث فالمراد به ما يسميه العامة ( صندوق العجايب )

وهو معروف وكاد ينسخ استماله أو المراد به صندوق الاذاعة ( الراديو ) للمروف

في عصرنا هذا . والمخطوط الذي فيه هذه الرسائل قديم فيكون ( الأهدل والهذلي )

قديمين . واسرة الأهدل مشهورة بالشرف في بلاد اليمن وقد ترجم صاحب خلاصة الآثار

لمدة رجال منها منهم ( محمد بن عمر بن عبد القادر الأهدل ) توفي سنة ١٠٣٢ هـ فلمل

( للمغربي )

مؤلف الرسالتين .

مجموع مخطوط (رقم ٣٥) فيه نبذة في علم الصياغة رواها أحمد بن يوسف الأموي عن بني أعماس .

مجموع مخطوط فيه (فلك القاموس في اللغة) وهو شبه مقدمة للقاموس المحيط تأليف السيد عبد القادر بن أحمد .

مجموع مخطوط (رقم ٤٠) فيه : بحث في الرد والسحاب للسيد محمد الأمير .  
وجواب سؤال في بيع النساء له وسؤال في ملك الكبار على المسلمين له .

مجموع مخطوط (رقم ٦١) فيه : قصيدة خالد بن صفوان التي سمتها العرب العروس مع شرحها الرسالة الحاتمية في ما أخذ المتني من كلام الحكماء وأدخله في شعره .

مجموع مخطوط (رقم ٨٤) فيه : كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي .

مجموع مخطوط (رقم ٨٨) فيه : رسالة صفة حل الزيتق ونحوه .

قراءة الذهب في الأدب المنتخب .

المستقصى من الأمثال للزمخشري تاريخ نقله سنة ١٦٧ .

أنوار المباني المنتظمة بيدائع المعاني . الملتقطة من شرح ابن جني لديوان المتني .

مجموع مخطوط (رقم ٩١) وفيه : عجالة الجواب في الرد على شيعة معاوية الكلاب

السيد صلاح الأخص .

شرح قصيدة صاحب ابن عباد التي مستهلها :

« قالت أبا القاسم استخفت بالفرل » الخ . للقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام .

مناظرة المأمون في أمير المؤمنين علي عليه السلام منقولة ( من الصوارم المنتضاة

في المناقب المرتضاة ) .

هذا ما استجئنا ذكره من رسائل المجاميع المخطوطة وباقي الرسائل بل سائر ما في

مجلدة الفهرس كلها كتب دينية في الحديث والتفه والعقائد والمناظرات التي يظهر

من اسمها أنها مهاترات لا فائدة ترجى من وراء نشرها سوى تكرار القول

وترديد الجدل . هذا في مخطوطات الفهرس أما مطبوعاته ففيها النقائس ولكن

لا حاجة لنا في ذكرها كما لا يخفى .

المصري

## التعريف بابن خلدون

### ورحلته غرباً وشرقاً

تأليف عبد الرحمن بن خلدون عارضه بأصوله وعلق حواشيه السيد محمد بن تاديت الطنجي وهو بنحو ( ٤٥٩ ) صفحة من قطع الوسط ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥١ .

أجمع العلماء على إجلال ابن خلدون وأنه أحد أفراد قلائل من بين علماء الأمة ولذا عني العلماء بسيرته كما عتروا بأبحاثه وآرائه ليصوروا للناس شخصيته . وهذا ما زين للسيد الطنجي العناية بهذا الفصل من تاريخ ابن خلدون ونشره في كتاب مستقل بعد أن عارضه بأصوله وعلق حواشيه . وهذا الفصل من كتاب العبر هو أبعد من أن يعرفنا بابن خلدون لأن التعريف يشمل سيرته الفذة وتحليل شخصيته بصفته عالماً ولا نجد هنا إلا نبذاً من حياته ورحلاته .

كان لابن خلدون خدرة فائقة بالحكم على الأشياء فلم يكتف كغيره بالنقل عن المتقدمين بل جمع ما أخذ منهم وكون من ذلك كله رأيه ، وأراد ابن خلدون أن يقدم للناس سيرته مجردة من كل تعليق ليترك لغيره حسب مذهبه رأيه عن أخلاقه وشخصيته ، والناس قلما يركنون للتراجيم التي يعصنها أصحابها لأنفسهم ، وهم أحد رجلين إما معجب بنفسه فيبالغ بقدره أو متواضع فينقص من شأنه . وأما ابن خلدون فقد اعتمد الصدق والبساطة فيما كتبه من سيرته وسجل بها على نفسه بعض هنات خلقية قد يعاب بها ويؤخذ عليها ولولا اعترافه لما اكتشفت للناس وسلم من لسانهم .

ونشكر ناشر هذا التعريف على عنايته بتحقيقه ووضعه حواشيه ونشره على الصورة التي يريد مؤلفه أن يكون .



## دولة بني قلاوون في مصر

الحالة السياسية والاقتصادية في عهدهما بوجه خاص ، تأليف الدكتور محمد جمال الدين سرور مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، جاء في نحو (٤٠٠) صفحة من القطع الوسط ، نشرته دار الفكر العربي في عام ١٩٤٧ عرفنا شغف مؤلف هذا الكتاب باستقصاء تاريخ مصر الاسلامية من بحثه السابق عن عصر الظاهر بيبرس الذي كشف به عن صفحة لا تخلو من أسباب العظمة والمجد ، وعزز ولعه بدراسة ثانية عن مصر في عهد أسرة قلاوون ولا تقل هذه الدراسة عن الأولى شأناً ، فقد استعرض المؤلف في كتابه شؤون مصر الداخلية والخارجية والاقتصادية في عهد هذه الأسرة وأشاد في مناقبها دون أن ييدي رأيه في مساوي حكمها . ولو أراد منصف أن يحاسب هذه الأسرة بحسب الوقائع التي بسطها المؤلف والحوادث التي سردها في كتابه خلعت موازينها وتضاءلت معها جميع حسناتها . ولا يجد القارئ في سيرتها الا سلسلة من الغدر والمؤامرات والاضغاث والتنافس على الحكم واستباحة الأموال وهتك الأعراض وإهمال شؤون الدفاع عن البلاد حتى طمعت بها أضعف الدويلات والامارات ، ولولا انشغال أوروبا وقتئذ بجروب المئة سنة لكانت مصر وبلاد الشام لقمة سائغة للأعداء .

وقد عثرت على بعض أخطاء مطبعية لم يشر اليها المؤلف في جدول التصحيحات رأيت التنبيه اليها ومنها :

صفحة	خطأ	صواب
١٠٥	مثالث المشر كين	مثالب المشر كين
١٣٣	الى الجيل الأحمر	الى الجيل الأحمر
١٣٥	بعديتين	بعديتين

صفحة	خطأ	صواب	١٣٥
١٣٩	الجنان	الوق خان او الوغ خان	
١٨٣	وليكف الكف العادية	وليكف أكف العادية	
١٨٥	قدمته في عنقه	قدمه في عنقه	
٢٠٣	سنة ١٣٠٥	سنة ١٣٠٣	
٢٢١	سراي	سراي وتسمى أيضاً بنجيه سراي (راجع حوادث سنة ٧٣٠ من تاريخ ابن كثير) •	
٢٢٩	اطنه	اذنة أو اذنة	
٣١٦	ويقتلون منه أمراً	ويقتلون منه أمراً	
<p>وكان على المؤلف أن يذكر أسماء الأعلام الافرنجية بالحروف العربية أيضاً وأن يعرب أسماء الكتب التي نقل عنها لأن أكثر القراء لا يعرفون اللغات الغربية ولا الحروف اللاتينية •</p> <p>وحبذا لو اتحدى مؤرخو بقية الأقطار العربية بؤلف هذا الكتاب وأفردوا لكل عهد دراسة مستقلة لأنه يتعذر على الفرد أن يحيط بدقائق تاريخ أمة في جميع عهودها وبما لها معالجة عصرية •</p>			

جعفر الحسني

## تاريخ السلالة الحمدانية في سورية والجزيرة

تأليف ماريوس كانار ( الجزء الأول )

منشورات كلية الآداب بالجزائر سنة ١٩٥١ ، لي ٨٦٢ صفحة

*Histoire de la Dynastie des Hamdanides de  
Jazîra et de Syrie-tome Premier Publications de  
la Faculté des lettres d'Alger, Alger 1951, 862  
Pages.*

نشر الأستاذ ماريوس كانار هذا الكتاب إثر جهود طويلة آتت أكلها اليوم بعد دراسة عشرين عاماً في الموضوع ؛ سافر لأجائها المشرق فتعرف الى الأرض والتربة والكتب والمخطوطات والمنازل ، وأكب فيها على تفهم العصر الحمداني من نواحيه المختلفة ؛ فجمع له ما يستطيع الدارس جمعه من مصادر ومراجع ووثائق . وقد بدأ بجمع المصادر العربية المتعلقة بالعصر الحمداني فوق إلى اصطياذ مخطوطاته ومطبوعاته ونشرها على الناس سنة ١٩٣٤ في كتاب قيم عنوانه : « نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني » . وهو ما يزال مرجعاً لكل باحث عن حياة الأمير وعصره في مختلف نواحيه السياسية والتاريخية والأدبية .

ثم عكف بعد ذلك على دراسة النصوص اليونانية والأجنبية الأخرى التي عاصرت الأمير أو جاءت بعده فتحدثت عن حروب العرب ضد الروم والبلغار والروس والأرمن ، ووصفت المعارك ورسمت حياة العرب وأسببت في ذكر المواقع والأماكن والقصور والآثار . وهذا ثمين كذلك لا يقل فائدة عن المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة ؛ وقد صدر في أجزاء ثلاثة في اللغة الفرنسية بالاشتراك مع غيره من الباحثين والمؤرخين بعنوان « العرب والروم » . وهذا الكتاب

يعرض علينا آراء الطرفين المتحاربين والأمتين المتغالبتين ، وبمناقشة هذه الآراء تنجلي الحقيقة التاريخية .

ولما تقدم الى الجامعة برسالة الدكتوراه منذ عامين جعل من النصوص الأولى والنصوص الأخرى ميداناً لبحثه ودرسه فكانت الرسالة في جزءين ، صدر منها الجزء الأول وهو في قرابة تسعمائة صفحة ، خصه بدراسة الناحية الجغرافية والتاريخية للأقاليم التي كانت مسرحاً لحوادث الحمدانيين ، وجعل الثاني لرسم الحياة السياسية والادارية والاقتصادية والأدبية في المملكة الحمدانية ؛ وهذا لم يصدر بعد .

أما الأول فقد بدأ بتعريف المصادر العربية التي تحدثت عن العصر والحمدانيين تعريفاً دقيقاً جامعاً لم تندء عنه مخطوطة أو صحيفة أو نقش على حجر ، حتى لم يترك فيه قولاً لقائل ، وتعريفه أقرب الى تحليل الكتاب كله. وبيان فائدته وأسلوبه وطريقة بحثه . ثم عقب على ذلك بتحليل المصادر الأجنبية التاريخية والأدبية تقربها من القارئ وعرفه بقيمتها ونفعها .

وبعد تحليل المصادر شرع في رسم الأقاليم فوصف الجزيرة وأقسامها وقراها ومدنها وأنهارها في تفصيل وإيضاح ؛ ثم تطرق الى العراق وانتقل الى الثغور والعواصم كما تحدثت عنها العرب لعهدهم والروم لزمانهم ، وذلك كله في قرابة ثلاثمائة صفحة . ووقف بعد ذلك عند الحمدانيين يبين تاريخ أمرتهم ونشأتهم وما كان لهم من ثورة وأجناد في بغداد والموصل وما وقع لهم من طموح في الاستيلاء على ارمينية وبلاد الروم ، الى أن بلغ بهم حلب فتصدى لحكمهم فيها وحروبيهم ضد المصريين أو ضد القبائل المغيرة ، ولم يقف عند سيف الدولة بل جعل كتابه في الحديث عن الأسرة الحمدانية كلها ، فبحث في سعد الدولة ثم في ابنه سعيد الدولة ، فقل لنا حوادث مئة وخمسين عاماً من تاريخ هذه السلافة الى ان انقضى حكمهم . وذلك في قرابة أربعمائة صفحة .



وختم كتابه في تفصيل الحروب التي دارت بين الحمدانيين والروم فنظر فيها من جانبين وعرض لها من ناحيتين ووقف بينهما وقفة المؤرخ العالم فاستغرق قراءة مئة صفحة ختم بها الجزء الأول .

ولعلنا بهذا التحليل السريع رسمنا حكل الكتاب ولم نعرض للتفصيل والمناقشة فذلك لا تكفيه صفحات النقد والتقرير وإنما يمحونا الى كتاب في الموضوع ، فصدور هذا البحث بعد عند المؤرخين من علماء المشرقيات حدثاً في الكشف عن عصر تلاحم فيه الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية فكان تمهيداً لها وتجربة في جس النبض - كما يقولون - :

ونحب أن نشهد بفضل الأستاذ ماريوس كاتار على الحمدانيين فقد بسط السبيل للباحثين ليعتمدوا على المصورات والوثائق والخطوط التي جعلها بين أيديهم عربية كانت أو أجنبية ينفذون منها حين يسطرون القلم في الحديث عن عصر الحمدانيين سواء فيهم الأدباء والمؤرخون ، فقد عرض المؤلف للدواوين والكتب والأحجار فناقش ما تقدمه من عون وما تسديه من يد في إيضاح العصر والتعريف به .

فالكتاب جدير بالدرس والتقدير ، جدير بالترجمة والنقل ، وهو من دعائم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة عن تاريخ بلادنا وجغرافية أرضنا وفائدة دواويننا وأدبنا ، وهو يضيف يداً الى أيادي المخلصين من المستعربين الذين يريدون من بحوثهم وجه الله والحقيقة في حياض علي وثبت مدرسي . فللأستاذ ماريوس كاتار أوفر الشكر على ما قدم ويقدم في سبيل الفكر والتاريخ .

دمشق :

الدكتور سامي الرفاه

## اكسير المحققين في القرن العشرين

تأليف : المحامي موسى نجيب برونس - بيروت

الكتاب : يقع هذا الكتاب في سبعين ومئتي صفحة من القطع المتوسط  
يضاف اليها ما يقرب من مئة صفحة استغرقها اهداء الكتاب ثم التعريف به  
مع عدة مقدمات كتبها بعض رجال القانون والطب الشرعي في بيروت الى جانب  
ترجمات لما باللغة الايطالية أو بها وبالفرنسية .

والنسخة التي نكتب عنها تحمل تاريخ ٢٧ ايلول ١٩٥١ تحت جملة « طبعة  
استثنائية » صادرة عن مطابع الدنيا في بيروت بحرف صغير وعلى ورق جيد .

المؤلف : كاتب أدب واسع الاطلاع ، ولا أشك أنه خطيب ،  
أو يبيد المرافعة أمام القضاة . وهو يقدم اليوم كتابه الأول الى الخزنة الحقوقية  
بعد أن قدم الى الخزنة الأدبية عام ١٩٤٨ كتيباً باسم « جولة في ربوع أدونيس »  
قدم له ميخائيل نعيمة .

الموضوع : موضوع الكتاب جزء من بحث عظيم الشأن جديد في اللغة  
العربية ، رغم أن الفكرة فيه تطرق اليها فقهاء المسلمين وأولوها عنايتهم وبحوثها  
بحثاً مستفيضاً أخذوه من العقل والشرع ، وهذه الفكرة هي « صحة الاقرار » ،  
أما هذا الكتاب فيدور على « انتزاع الاقرار » وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة  
أبواب : يبحث في الأول منها عن « مدى سلطة المحقق في الحصول على اقرار الظنين »  
وعن « قيمة الاقرار في الدعاوى الجزائية » وفي الباب الثاني بحث عن « التحقيق  
الجزائي من الناحية العلمية » وفي الباب الثالث بحث عن المخدر المسمى « مصل  
الحقيقة » فأطلق عليه بالنسبة لرجال التحقيق الجنائي اسم « الاكسير » هذه اللفظة

التي تدل على «ماء الحياة» او على تلك المادة السحرية التي حلم بالحصول عليها قدماء الفلاسفة ورجال الكيمياء .

يعرض المؤلف لعصور الارهاب والتعذيب التي مر بها العالم ويقول : ( وظل التعذيب في الغرب احدى الوسائل التي كانوا يلجأون اليها في حمل المتهم على الافرار ، ومنذ عهد الثورة أخذ تنظيم التحقيق يتطور بفضل الوعي العام وانتشار الثقافة ، فوجد في العالم من أهل الفقه والمعرفة من جعلوا المتهم أمانة في عنق المحقق وأوصوا به خيراً كما كان هناك من حاول فتح الباب في وجهه ، فاستعان بالمحامي لدى الشدة ) .

ثم يستر المؤلف في حديثه عن الارهاب والتعذيب وكيف تطور مع المدنية الحديثة فأخذت صور العنف والاكراه المادي تختفي وراء الأساليب العصرية التي هي - على حد تعبيره - ذات صبغة شيطانية توصلت البشرية معها الى مشاهدة ما هناك من المآسي المروعة التي ارتكبت في أحضان ما يعرف اليوم باسم «جنون الاتهام الذاتي» حتى لكأن الانسان قد أمسى وهو أشد ما يكون فرحاً ومروراً لرؤيته نفسه يحفر قبره بظلمه .

ويحدثنا المؤلف مطولاً عن تلك الأساليب قاتلاً : ( اتقد راحت الكيمياء والكهرباء وعلم الجراحة تقوم مقام رجل التحري صاحب الزنود المنتولة والسياط المجدولة ) الى أن يقول : ( وهكذا انتقلنا من الضرب بالسياط الى الصدمة الكهربائية ، من عذاب الوقوف أياماً والأأيادي مكبلة بالأصفاد الى الاغراق في المغاطس الثلجية ) الى أن يحدثنا عن الدكتور جاك لي الطيب الذي اعترف بأنه قد وفق بفضل الموضع الى استئصال فكرة الاجرام من المجرمين ، فيهاجمه بمنف وجميع القائلين بنظريات مكافحة الاجرام بالعمليات الجراحية مستشهداً بقول أحد القضاة البلجيكيين : ( اتنا اذا لم نرد الموضع الى مكانه فنحن صائرون على شفا الماوية ) .

ثم يحدّثنا المؤلف عن المتحضرات الكيماوية الحديثة « التي تذلّ العنفوان البشري » و « تغمر من قناة الحرية الفكرية » و « تنقذ الانسان سيادته حتى على ضميره » فيحدّثنا مثلاً عن « الاكتودرون » و « المورفين » و « المسكالين » و « السكوبولامين » و « البانتوتال » وكلها من أنواع المخدرات التي استعملت في الغرب في سبيل أخذ اقرار المتهمين وهم قاندين الارادة بتأثيرها .

والمؤلف وهو يذكر آخر للمتحضرات المعروف باسم - مصل الحقيقة - يسقيه باكسير المحققين - الاسم الذي توج به كتابه - وهو ينادي بوجوب تحريم استعمال هذا المخدر لا لأنه ، من الوجهة الانسانية أشدّ وقعاً على الكرامة الذاتية من التعذيب المادي ، بل لأنه من الوجهة العلمية لا يمكن الركون الى نتائجه ، لأن الباطن الانساني - كما يقول - عبارة عن بيئة يرتفع فيها جنباً الى جنب كثير الحقائق والخيالات فلا يمكن الوثوق عند فقدان الارادة من كون الحقائق وحدها هي التي تجري على لسانهم .

ويتهكم المؤلف بنفر من العلماء يدعون بأن « التحليل بالمخدر » انما هو أسلوب لمعرفة الحقائق بدون تعذيب يتم به أسلوب « التحليل النفسي » الذي تمت له السيادة في علم الاجرام الحديث ، ويرد عليهم قائلاً بأن التحليل النفسي يرمي الى معرفة المركبات العاطفية المكبوتة منذ عهد الطفولة ، بينما التحليل بالمخدر هو انتهاك لحرمة الضمير الانساني ، ويؤيد المؤلف رأيه بأراء كثير من العلماء والفلاسفة ويستشهد بالأستاذ كولينيون البلجيكي اذ خطب في مؤتمر لياج فقال : ( كفى ! كفى ! ان لني تصرف المحققين انتهاكاً قاضحاً لحرمة الباطن المقدس ! قفوا أيها المحققون عند العتبة من هيكل الاقداس ، ولا تدنوا من كعبة الانسانية الحرام . . ان اقتحامكم باطن هذا المقدس الرهيب ، اعني به هذا الكائن المعبّر عنه بلفظ « انا » هو جريمة أشدّ هواناً مما تدعون التفتيش عنه ) .



ثم يجتزم المؤلف كتابه بفذلكة يعرض فيها رأيه صريحاً واضحاً ويقول في الرد على بعض المجددين الذين يرون في استخدام «التخدير» لكشف الجرائم خدمة للمجتمع : ( كلا ! بل الف كلا ! ان واجب كل منا ان يحول دون تطبيق مثل هذه الأساليب الجائرة حتى ولو اتهمنا بالرجعية والتأخر ، لأن هناك معارضة مقدمة تقاوم كل تقدم جائر وورقي مزيف ) .

نقد الكتاب : لا يمكن تصنيف هذا الكتاب - على جلال موضوعه - بين الكتب العلمية ، ولا هو من كتب القانون ، وأقرب الأوصاف له - على ما نرى - انه من كتب الأدب القانوني ، كذكرات رجال القانون وكتب المرافعات والقضايا الشهيرة والصور القضائية ، والذي نظنه ان المؤلف استوحى كتابه من مرافعة عدها للدفاع عن متهم سبق اقراره بالجريمة فاستطاع بما أوتيته من حجة وسعة اطلاع الى انتقاذ موكله ، مما جعله يفكر في الدفاع عن كل المتهمين الذين يتزعج الاقرار منهم انتزاعاً ، فعمد الى تأليف هذا الكتاب يهاجم فيه الأساليب المختلفة لانتزاع الاقرار ، وفي مقدمتها أساليب التخدير الحديثة ، فكان كتابه - رغم التقسيم الذي فرضه على نفسه - مجموعة مرافعات منسجمة في أسلوبها متحدة في هدفها وقد صيغت كلها مياغة أدبية تعتمد على أسلوب الخطابة في التكرار والاعادة حيناً وفي التهويل والتخدير أحياناً كثيرة .

ان أسلوب الكتاب في جملة حسن رغم ما فيه من تكرار واسهاب في كثير من مقاطعه ، ورغم بعض التعابير الضعيفة ، او التشابه غير الدقيقة التي يحويها مثل : « كأنما يغرف من بحر الدعاية غرف المدمم الجائع » أو « نوع من البراز » . ولغة الكتاب تكاد تكون عالية لولا ما يشوبها من أغلاط شائعة كقول المؤلف : « الغير مشروع » و « تبرئة الغير مسؤولين » . وما لاهر المؤلف عليه اتباعه نسقاً قديماً في تصوير الأسماء الأعجمية يعدها عن لفظها الأصلي وعما ألف الناس كتابته في العصر الحديث كقوله : « جونيف »

و « لياج » و « غرينبارغ » و « امبريار » و « فييار » و « البنالين » .  
 وما أخذناه على المؤلف أنه في الفصل الذي عرض فيه آراء بعض علماء الغرب  
 في ضرورة قبول مبدأ شرعية استعمال المخدر ضمن قيود وشروط تمنع الانتعاش  
 على كرامة الانسان ، كاد يقتضف ايمانه بوجوب تحريم جميع الأساليب التي تمكن  
 الانسان من السيطرة على ضمير أخيه الانسان رغم ارادته ، اذ رأيناه وكأنه  
 انشاق مع أولئك العلماء في امكان التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ،  
 ولكن المؤلف يعود الى حماسه وايمانه في نهاية كتابه ليعلم ضرورة تحريم استعمال  
 المخدر في جميع الحالات وهو يبيب بالشرق ورجاله الى التساند في الدفاع عن  
 كرامة الانسان والوقوف في وجه الأساليب التي أخذ رجال الغرب ومفكروه  
 في الشكوى منها وذلك قبل أن يتشوه وجه الشرق اذا أخذ بها .

عمران الخطيب

•••••

## تاريخ مدينة دمشق

تصنيف الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ( ٥٧١ )  
 مطبوعات المجمع العلمي العربي ( المجلد الأول ) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين النجد  
 في نحو ٩٠٠ صفحة

بعد تاريخ ابن عساكر أكبر تاريخ في العربية . وموضوعه تاريخ مدينة دمشق  
 وتراجم من دخلها أو سكنها أو اجتاز بها أو باحدى ضواحيها .  
 ودمشق أول عاصمة للدولة العربية متوسطة بين بلاد المغرب : أندلس وتونس  
 ومراكش ومصر ، وبين بلاد المشرق : العراق وايران وما الى ذلك من أقطار  
 الإسلام . كما يعد مسجدها ( الجامع الأموي ) أحد عجائب الدنيا . لذلك  
 كانت مركزاً مهماً يمر بها أو يقصد زيارتها أكبر عدد من أعلام العرب والمسلمين .  
 ترجم ابن عساكر لهؤلاء وجمع فيهم أكبر نصوص موثوق بها فكان تاريخه  
 أعظم مجموعة تاريخية أثارت إعجاب العلماء واكبارهم .

وحينما جرى الحديث في هذا التاريخ واستعظامه بخزور علامة مصر ومحدثها «الحافظ المنذري» أخرج مجلداً وأراء للمعاصرين وقال في مؤلفه : ما أظن هذا الرجل الا عثم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت ٤ والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه .

وعلق القاضي ابن خلكان على كلام أستاذه المنذري بقوله : ولقد قال الحق . ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول . ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يصنع مثله . وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما كاد يحصرها المد .

يحمل هذا التاريخ نحو عشرة آلاف ترجمة لمشاهير الاسلام وفيه السيرة النبوية مفصلة وسيرة الخلفاء الراشدين ممن دخلوا دمشق أو بعض أعمالها في الجاهلية أو الاسلام وفيه تراجم الخلفاء الأمويين وقوادهم وشمائهم وتراجم غيرهم من العراقيين والحجازيين واليمنيين ممن ضمتهم صفين وفيه نصوص مشبعة عن العهد الأموي والبلاد الأندلسية وفتوحها وادارتها وقوادها مما يندر وجود مثله في غيره . وقد ترجم لأشهر خلفاء بني العباس كهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وأشهر علماء ذلك العصر كالأوزاعي والشافعي وابن حنبل واصحاب الكتب الستة وترجم للجاحظ وأمثاله ٤ وأشهر قواد ذلك العصر كأبي مسلم الخراساني وطاهر ابن الحسين واحمد بن طولون وولده خمارويه وكبار الشعراء كأبي نواس والبحتري وأبي تمام وغيرهم .

ويأتي في تراجم هؤلاء وأمثالهم بنصوص تتعلق بهم وذلك عن مصادر أصبحت مفقودة يصلح كثير منها أن يكون كتاباً مستقلاً لغزارتها وكثرة مادتها .

وفي سنة (١٣٢٩هـ) قصد أستاذنا المرحوم الشيخ عبد القادر بدران طبع هذا التاريخ فاصطدم بعقبات جمة أعظمها كثرة الخطأ في النسختين المخطوطتين بالمكتبة الظاهرية بدمشق فعمد الى اختصاره وتهذيبه ليعتمد عن الخطأ الذي

فيها ويحذف ما لم يظهر له مناه ولم يهتد الى صوابه . ومع ذلك فلم يسلم ما طبعه منه من الخطأ الكثير والتعريف . وقد طبع من هذا المختصر سبعة أجزاء كانت سبباً لتعريف العلماء والباحثين قيمة هذا التاريخ .

وظل العلماء ينتظرون طبعه طبعة عليّة يجملهم بتقون بما فيه من نصوص . وكانوا ينتظرون أن يقوم بهذا العمل المجمع العلمي العربي لأن اسم الكتاب : « تاريخ مدينة دمشق » وقد حقق المجمع العلمي حسن ظن العلماء به فألف لجنة من علماء دمشق وأدبائها لتحقيقه وأتى بأجزاء كثيرة مصورة من هذا الكتاب من خارج دمشق وعهد بتحقيق الجزء الأول منه الى الأستاذ صلاح الدين المنجد فقام بتحقيق ما أسند اليه خير قيام ، وبذل جهداً كبيراً في معرفة اصطلاحات المؤلف وشيوخه ورجال أمانيده التي يسوقها في أول الخبر أو الحديث . وذلك صعباً جمة يفيد منها كل من سيجتق بعده في هذا التاريخ . وقد وضع في أوله مقدمة تبلغ ستين صفحة ضرب بها مثلاً حباً للمحققين والناشرين وضع فيها ترجمة حافلة للمؤلف على الطرق الحديثة ضمنها كل ما يتعلق بالمؤلف كما ضمنها شجرة نسب بني عساكر ومخططات للعالم الاسلامي أشار الى المدن التي رحل اليها المؤلف لطلب العلم وسماع الحديث ثم ترجم للتاريخ نفسه فخلله تحليلاً دقيقاً وقارن بينه وبين تاريخ بغداد للخطيب . وبين مواطن النقد في كلا التاريخين ثم ذكر مختصرات تاريخ ابن عساكر والتدبويل التي وضعت عليه وأما كن النسخ المعروفة منها في خزائن العالم ثم وضع فهرس في آخر الكتاب .

وبعد هذا كله فقد توج هذا الجزء في أوله بكلمة ومقدمة للأستاذ الجليل رئيس المجمع العلمي العربي نزادته رونقاً وكالاً .

فالى المجمع العلمي العربي ، والى الأستاذ المنجد نرف تهانينا على النجاح الذي أصابه هذا العمل العلمي الكبير وقد ظهر ذلك في أول جزء منه . والرجاء أن يطرده العمل في اخراج بقية الأجزاء .

محمد أحمد دهمان



# آراء وأنباء

## أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

١ الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق	٢١ الأستاذ عمر ابوريثة حلب
٢ الدكتور اسعد الحكيم	٢٢ الشيخ محمد زين العابدين
٣ الأمير جعفر الحسيني	٢٣ البطريرك مار اغناطيوس ارام حنص
٤ الدكتور جميل صليبا	٢٤ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بنوي الجبل) اللاذقية
٥ حنني سبوح	٢٥ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٦ الأستاذ خليل مردم بك	٢٦ الأستاذ أنيس المقدسي بيروت
٧ سليم الجندي	٢٧ بشارة الخوري
٨ شفيق جبوري	٢٨ الدكتور صبحي الحمصاني
٩ عارف النكدي	٢٩ عمر فروخ
١٠ الشيخ عبدالقادر المتروني (نائب الرئيس)	٣٠ الشيخ فؤاد الخطيب
١١ الأستاذ عمر الدين التتوخي	٣١ الفيكونت فليبيدي طرازي
١٢ فارس الخوري	٣٢ الدكتور تقولا فياض
١٣ محمد البرزم	٣٣ الأستاذ عيسى اسكندر الملوفا زحلة
١٤ الشيخ محمد بهجة البيطار	٣٤ الشيخ احمد رضا جبل عامل
١٥ الدكتور مرشد خاطر	٣٥ الشيخ سليمان ظاهر
١٦ الأمير مصطفى الشهابي	٣٦ الأبا س. م. مرجي النونكي القدس
١٧ الدكتور منير العجلاني	٣٧ الأستاذ محمد الشريفي عمان
١٨ الأستاذ هنري لاوست	٣٨ الشيخ رضا الشبيبي بغداد
١٩ الشيخ عبد الحميد الكينالي حلب	٣٩ الأستاذ طه الهاشمي
٢٠ الدكتور عبد الرحمن الكينالي	٤٠ عباس الزاوي

٤١ الشيخ كاظم الدجيلي	بغداد	٦٥ الاستاذ عباس إقبال	طهران
٤٢ = محمد بهجة الاثري	=	٦٦ = عبدالغني الميمني الراجكوتي	عليكر
٤٣ = الدكتور مصطفى جواد	=	٦٧ = أ. كي	فرنسا
٤٤ = الاستاذ احمد حامد الصراف	=	٦٨ = ماسه	باريس
٤٥ = كور كيس عواد	=	٦٩ = دوسو	=
٤٦ = الدكتور داود الجلي	الموصل	٧٠ = كولان	=
٤٧ = الاستاذ احمد امين	القاهرة	٧١ = ماسيتيون	=
٤٨ = احمد حسن الزيات	=	٧٢ = هبس	سويسرا - زوريخ
٤٩ = الدكتور احمد زكي	=	٧٣ = كرينكو	كبردج
٥٠ = الاستاذ احمد لطفي البید	=	٧٤ = ج. ا. اريري	=
٥١ = خليل ثابت	=	٧٥ = ه. ا. جيب	(او كفورد)
٥٢ = خير الدين الزركلي	=	٧٦ = النرد غليوم	لندن
٥٣ = الدكتور طه حسين	=	٧٧ = اميليو غارميا غومز	مدريد
٥٤ = الاستاذ عباس محمود العقاد	=	٧٨ = فرنسيكو جبرآلي	روما
٥٥ = الدكتور عبد الوهاب عنان	=	٧٩ = يودكن	المانية
٥٦ = الشيخ محمد الخضر حسين	=	٨٠ = هارتمان (ريشار)	برلين
٥٧ = الاستاذ محمد لطفي جمعة	=	٨١ = ريتز	فرنكفورت
٥٨ = الأمير يوسف كمال	=	٨٢ = سترمتين	السويد - اوبسالا
٥٩ = الأستاذ عبد الحميد البادي الاسكندرية	=	٨٣ = استروب	كوبنهاغ - الدانمارك
٦٠ = حمد الجاسر	الرياض	٨٤ = بدرمن	=
٦١ = حسن حنفي عبد الوهاب تونس	=	٨٥ = موجيك	فيينا
٦٢ = مارمه	=	٨٦ = ماهر	يودابست
٦٣ = عبد الحمي الكتاني	فاس	٨٧ = كريسكو	كانتازولو - فلاندة
٦٤ = محمد المجوي	مراكش	٨٨ = فيليب حني	اميركة - پرنستون
		٨٩ = سميدايو جيرة سانياولو	البرازيل

## أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٢٦	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢	= سليم البخاري	=	٢٧	الأب لويس شينغو	=
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	=	٢٨	الشيخ عبد الله البستاني	=
٤	= الياس قنسي	=	٢٩	الاستاذ جبر ضومط	=
٥	= أنيس سلام	=	٣٠	= عبد الباسط فتح الله	=
٦	= جميل العظم	=	٣١	الشيخ عبد الرحمن سلام	=
٧	= مالتجو	=	٣٢	= مصطفى الغلاييني	=
٨	= سليم عنخوري	=	٣٣	الاستاذ عمر الفاخوري	=
٩	= عبد الله رعد	=	٣٤	= بولص الخولي	=
١٠	= رشيد بقدونس	=	٣٥	= امين الريحاني	لبنان
١١	= اديب التقي	=	٣٦	الامير شكيب ارسلان	=
١٢	الشيخ عبد القادر المبارك	=	٣٧	الشيخ ابراهيم منذر	=
١٣	السيد محسن الأمين	=	٣٨	الاستاذ جرجي بني	طرابلس الشام
١٤	الاستاذ معروف الأرناؤوط	=	٣٩	= نخلة ذريق	القدس
١٥	الأب جرجس شلحت	حلب	٤٠	الشيخ خليل الخالدي	=
١٦	= جرجس منش	=	٤١	الاستاذ عبد الله مخلص	=
١٧	الاستاذ قسطنطين الحمصي	=	٤٢	= محمد اسعاف القشاشيبي	=
١٨	الشيخ كامل النزي	=	٤٣	الشيخ سعيد الكرمي	طولكرم
١٩	الاستاذ ميخائيل الصقال	=	٤٤	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٢٠	الشيخ بدر الدين النعاشي	=	٤٥	= جميل مدقي الزهاوي	=
٢١	= راغب الطباخ	=	٤٦	= معروف الرصافي	=
٢٢	= عبد الحميد الجابري	=	٤٧	= طه الراوي	=
٢٣	الدكتور صالح قنباز	حماة	٤٨	الأب انتاس ماري الكرملي	=
٢٤	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية	٤٩	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٢٥	الاستاذ ادوار مرقص	=			

٥٠	الاستاذ احمد زكي	القاهرة	٧٦	الاستاذ فران	باريس
٥١	== احمد شوقي	==	٧٧	== كليمان هوار	==
٥٢	== حافظ ابراهيم	==	٧٨	== بوقا	==
٥٣	== اسعد خليل داغر	==	٧٩	== جوبدي	ايطاليا
٥٤	== السيد محمد رشيد رضا	==	٨٠	== نلينو	==
٥٥	== الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	==	٨١	== هومل	المانيا
٥٦	== احمد كمال	==	٨٢	== ساخار	==
٥٧	== احمد تيمور	==	٨٣	== هوروفيتز	==
٥٨	== مصطفى لطفي المنفلوطي	==	٨٤	== مارتين هارتمان	==
٥٩	== الدكتور يعقوب صروف	==	٨٥	== ميتفوخ	==
٦٠	== الاستاذ اوجينيو غريفييني	==	٨٦	== مونه	سويسرا
٦١	== رفيق العظم	==	٨٧	== منوك هوغريه	هولاندا
٦٢	== داود يركات	==	٨٨	== اراندونك	==
٦٣	== الدكتور امين المعلوم	==	٨٩	== هوتسا	==
٦٤	== الشيخ عبد العزيز البشري	==	٩٠	== مرجليوث	اتكلترا
٦٥	== الدكتور احمد عيسى	==	٩١	== بفت	==
٦٦	== الشيخ مصطفى عبد الرازق	==	٩٢	== براون	==
٦٧	== الاستاذ انطون الجليل	==	٩٣	== بوهل	كوبنهاغن الدانمارك
٦٨	== خليل مطران	==	٩٤	== اغناطيوس غولدمير	يونان
٦٩	== ابراهيم عبد القادر المازني	==	٩٥	== الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٧٠	== الأمير عمر طوسون الاسكندرية	==	٩٦	== الاستاذ ماكدونالد	اميركا
٧١	== الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر	٩٧	== هرزفلد	==
٧٢	== الاستاذ ريتيه بامد	==	٩٨	== آسين بلاسيوس (محرط)	لبنان
٧٣	== ميشو بلير	طنجة	٩٩	== لويس	(لثيونة) البرتغال
٧٤	== زكي مغامر	الاستانة	١٠٠	== موزل	تشكوسلوفاكية
٧٥	== الحكيم محمد اجل خان	الهند	١٠١	== كوفالكي	بولونية
			١٠٢	== كراتشكوفكي	ليتنراد



### تراكيب ومفردات غير فصيحة

من يستمع الى اذاعات المذيع ويطالع صحف الأخبار يسقط كل يوم على الفاظ وتراكيب تكاد تكون جديدة لم يسبق للقدماء استعمالها ولا عرفتها العربية فيما وصل الينا من دواوينها ومعجماتها وشعرها ونثرها . كلمات وتراكيب يستعملها بعض الكتاب وهي مرتجلة أو معربة عن اللغات الافرنجية تعريباً سقيماً فلا تلبث الصحف أن تتناقلها ، وربما سرت الى أقلام من كانوا على شيء من الفصاحة من دون أن ينتبهوا من أين أتت ، يستعملونها وهم لا يعرفون الا أن فلاناً من الصحافيين استعملها وهم لا يلزمون أن يبحثوا في أصلها لأن ذلك ليس من شأنهم .

ومما كثر استعماله : « وجهة نظر » تركيب افرنجي يحض ترجمة : Son point de vue و « نظروا المسألة على ضوء ما لديهم من المعلومات » وهذا الضوء أيضاً مما سرى من لغة الافرنج ، وكذلك « مشبع بالاتفاق » . ومما كثر ترداده بأخرة « الامكانيات » ولعلها ترجمة Les possibilités الفرنسية كثرت كثرة زائدة كما كثرت منذ مدة لفظة « الهيل والهيلان » وهذه وإن كانت عربية لكن الأذواق مجتهدا لكثرة ما استعملت في السياسة وفي غيرها من الموضوعات . وكلمة الامكانيات القبيحة كان الأولى اختيار صيغة أخرى للتعبير عن هذا المعنى فيقال : الامكان ، واللغة منسقة بفضل الله بألفاظها وتراكيبها على ما لا يكتب فيما نحسب لغة من لغات العالم .

وقد وقع كثير من مثل هذا التركيب لا يحضرني منه الا « تريوية » نسبة الى الترية ، نسبة تنافي القواعد وعلى مقعها سرت الى كتب التعليم المعتمدة في مدارس مصر والشام والعراق والسبب في سرايتها على ما أقدر ان أول من استعملها اعجمي عن اللغة حاول أن يتعرب ويعرب وكان على رأس بعض وزارات المعارف فخي بتعريبه هذه اللفظة السخية وما استطاع العارفون انكارها عليه

مخافة أن ينقم منهم . وهذا الرجل هو الذي اخترع - جزاء الله خيراً - لفظة القبتاريخية للتعبير عما قبل التاريخ .

ومن الجديد « لم يطلب أي شيء منه » ، « لم تكن له أية فرصة للعمل » ، وكلمة أي في هذا الموضع لم تعرف في كلام فصيح ويمكن استقائها وبصح المعنى بدونها ، « حول وضع فلان » ، « تحوم حوله الشبهات » ، « يبحث حول المسألة » ، والأولى « في وضع فلان » ، « يبحث في المسألة » وهي تفتي عن هذا التركيب العجيب ونظنه من استعمالات الفرنج تعريب Autour de وليس من تراكيب النصحاء في شيء . ومنها قولهم « هذا لا يصح إطلاقاً » لعلمهم بقصدون مطلقاً وهذه كثرت في كلام المصريين . ومن جديدهم « يهدف الى » يقصدون يرمي الى أو يقصد الى ومعنى يهدف الى باللغة العربية يقرب ، وفي الأساس : يهدف الى التحسين أي يقترب منها ، ومنه « التضحية » « ضحى بنفسه » تعريب Sacrifice و Se sacrifier ومما من تعابير الافرنج ، ومنها « كوسيلة لتحقيق المطالب » « كخبير مالي » ، « الاعتراض على اسمه كرجل » ، « لا أستطيع كرجل قانون » ، وكل هذه الكائنات من مواضع الفرنج يمكن الاستغناء عنها أو استعمال صيغ أخرى لا تخل بالمعنى المراد ، ولا يعمد الى هذه الصيغ التي ما شئت روح العربية . « المعروفين في حقول الأدب والمال » وهذه الحقول ما عهد استعمالها عند النصحاء . « اشتملت بلدة كذا ابتهاجاً بالحدث الجديد » من أسمى الاستعارات . « هاتجة ضد شركة كذا » ، « الدعوى المرفوعة ضد النائب » والأولى هاج على ومرفوعة على : « قرار هام » و « حدث هام » وليس لهذا اللفظ أثر في اللغة على ما عرفنا والأولى أن يقال مهم . « الأمر الذي لا يتفق » والأولى : مما لا يتفق . « مدير عام مصلحة الحبر الصحي » الأولى مدير الحبر الصحي العام وهذه نكثرت في عبارات المصريين ولفظة « مصلحة » لا أثر لها في اللغة بهذا المعنى والأولى أن يقال دائرة أو ديوان . « اتخذت الأمم المتحدة قرارات في صالح البلاد المستعمرة » وهذا الصالح غير صالح في الاستعمال ، والأولى الامتناع عنها بمصلحة .

وشاع كثيراً هذا التركيب الجديد « وضع النقط على الحروف » والأصل فيه على حرف I وفي اللغة الافرنجية : Mettre les points sur les I أي وضع النقاط على حرف ( I ) أي أفصح بصورة صريحة ودقيقة معاً بحيث لم يترك سبيلاً الى الشك .

من السلطات المحدثنة « بسبب ارتقاء رصيده من حوادث السرقة » استعارات بعيدة عن مناحي البلاء . « يدر عليه أرباحاً خيالية » ترجمة Fabuleux أي فاحشة لا تصدق ولفظة فاحشة أو منفرطة تقوم مقامها . « يكون المجلس مشكلاً » الأولى مؤلفاً والتشكيل بهذا المعنى لم ترد في المعاجم . « انقضاء على أي حركة تهدف الى تقدم الافريقيين » الأولى اصلاح هذه الجملة هكذا : القضاء على كل حركة بقصد بها تقدم الافريقيين ، أو ما هنا معناه . « يأمل بدوره تلية هذه الدعوة » تركيب ما شئ رائحة العريية ، « كان الجو مفعماً بروح الوطنية الديمقراطية الحقة التي أضفاها الرئيس يوداعته وبشاشته » وإذا أريد إصلاح الجملة على المناحي العريية فيقال : تيملي ، بدون جو مفعم ، وبدل أضفاها أفاضها . « ذلك العاقل دوماً » انها ترجمة حرفية Il est toujours sage وهي ترجمة رديئة ويستعاض عن « دوماً » بدائماً أو أبداً أو نحو ذلك . « طريقة التقديمية » و « التقديمية » بشعة وان كان لفظ التقديم عريباً . « نوفاً ما » ، « قرينه الجديدة النموذجية » ، « ازدهرت البلاد صناعياً وتجارياً وزراعياً » ، « تؤمن رجحاً » أي تضمنه . « كانت مرغوبة » أي مرغوباً فيها ، « تفكيراً جدياً » ، « تعمل جدياً » أي يجيد ، « أخذ من الباقي وسطياً » ، « استدامة هذه النفقات » يريد دوامها ومعنى استدام خلق الطائر في الجو وهو غير المراد هنا . « دوائر متضخمة بالموظفين » الأولى غامضة ، « كان معيياً اجتماعياً واقتصادياً » ، « حاز على » ، « الحائز على شهادة كذا » ، وحاز لا يتعدى بلى فيقال حائز الشهادة . الى غير ذلك . هذا بعض ما يتركبه كتاب لا يطلب منهم أن تخلو كتابتهم من كل عيب

وخصوصاً من يطلب منهم الاسراع في نقل أفكارهم وأفكار غيرهم من رجال الصحافة . ولكن مثل هذه الألفاظ سرت الى أعلام من وقع الاجماع على أنهم سادة رجال الأدب وسدنة هياكل البيان . أخذوها في الحداثة ولم يحسنوا التفت من سلطانها بعد تمكنهم من الآداب . فترام يقولون « يلعب الشعر دوره » ، « يلعب موضوع الفكاهة دوره » ، « لعب دوراً كبيراً » ، « لعب البيان دوراً كبير الخطر » ، « هيأته للدور الذي لعبه » كأن اللغة ضاقت حتى يلجأ مثل هذا العالم الى لفظة الدور أو هذا التعبير الافرنجي المحض وعندنا عشرات من تعابيرنا ما تقابله به ويفتينا عن هذا التركيب الافرنجي .

وجاءنا السيد الكاتب بألفاظ افرنجية لها أيضاً ما يقابلها كقوله اللغات « الكلاسيكية » أي الأمهات أو الراقية ، وقوله « السيكولوجي » و « اليداوجي » الخ وكله مما لا يصعب عليه أن يورد ما يقابله من النصحى . أما بعد فقد كان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي عليه الرحمة من أول من اتبه من علماء اللغة المعاصرين الى ما يقع للصحف من هفوات لغوية في الألفاظ والتراكيب فكتب مقالات سماها « لغة الجرائد » ثم جعلها في كتاب برأسه فتداوله الأيدي وانتفع به الكتاب والمؤلفون . وتعارض هذا الموضوع علماء اللغة فمنهم من أقر الشيخ اليازجي على رأيه في سقم بعض الألفاظ والتراكيب يحملها ومنهم من تقد بعضها وخرج لها التخارج كما فعل صديقنا العلامة سليم الجندي . ولا أعرف اليوم غير مجلة واحدة تعاني هذا الموضوع اللغوي الجليل .

ويا حبذا لو تفضل بعض اخواننا من المعنيين بالبحث في اللغة وتميز بهرجها من صيحتها وكتبوا لنا رسالة ثانية في لغة الجرائد لهذا العهد وما جد فيها من تراكيب وألفاظ . فاللغة عرضة أبداً لدخول الجديد عليها مما لم يعهد استعماله وسيطر ذلك مادام العلم يسير سيراً سريماً والأفكار تتسع فتمس الحاجة الى التعبير عنها وتصويرها حتى تؤدي المراد منها . واللغات كنائر ماني الكائنات تنمو وتذبل وتحتاج في نموها الى جديد وفي ذبولها الى ما يستعاض عنه ويكون على نصرة وجيل أرج .



## بين الفصحى والعامية

كتب الاستاذ محمد زكي عبد القادر في جريدة « الأخبار » المصرية تحت عنوان « نحو التور » ما يأتي :

« كم أشفق على هؤلاء التلاميذ ، وهم في مطلع مرحلة التعليم الابتدائي ، حين تفرض عليهم حفظ كلمات عربية صحيحة ، يصعب علينا نحن الكبار حفظها ، واليك بعض الكلمات المقررة على تلاميذ السنة الثانية الابتدائية في مادة المعادثة العربية أقتلها من الكتاب المقرر لهم :

الكنة = البلكونة • الدريثة = البرافات • الكلة = الناموسية •  
 المشوش = الفوطنة • السكردان = البوفيه • الثجاج = السيفوت •  
 الصيهور = المطبعية • التاجود = البرميل • الانبج = المانجو •  
 وأنا حين أقتل اليك هذه الأسماء ، أريد أن أصورك ما يعانيه هؤلاء الصغار •  
 عيسى متولي

وأنا أقول لك ولوزارة المعارف وللمجمع اللغوي انها جريمة في حق اللغة العربية وفي حق الأولاد وفي حق الأجيال القادمة أن نتمسك بهذا السخف ، ونصر على أن نجد لكل كلمة أوربية أو امريكية اسما عربيا صحيحا لا يأتيه الباطل من أمام ولا من خلف ...

ولست أعرف بأي عقلية تفكر ؟ .. ان كل اللغات دخلت عليها كلمات وعبارات من اللغات الأخرى • واللغة العربية نفسها ليست خالصة ، فان فيها هدا كيرا من الكلمات الفارسية والهندية وليس في هذا ما يثينا ، فانها منذ التطور ، وحاجة الارتباط والتبادل بين الشعوب •

واللغات كالحضارات والعادات والتقاليد وكل مظهر من مظاهر النشاط الانساني لا يمكن أن تقف بمعزل عن التيارات العالمية ، لا بد ان تعطي وتأخذ ، وتندمج في غيرها ويندمج غيرها فيها •

وقد أخذت اللغات الأوربية كثيراً من الألفاظ اللاتينية ، وتكاد ترتد جذور التعبير الانساني بالكلام الى أصول واحدة . واللغة وسيلة للتفاهم وليست حيلة للتفاخر . وعلى قدر سهولتها ووضوحها وليوتها يكثر ذيوها وانتشارها ، فلماذا نحاول أن نعقد لغتنا ونجعلها أضحوكة بينا نحن الذين نتحدث بها ؟ لماذا نحاول أن نجعل كلمة « الكنة » بدلاً من البلكونة ، وكلمة « السكردان » بدل البوفيه ، وكلمة « الثجاج » بدل السيون . . . أيها أبسط وأسهل وأقرب تعبيراً عن المقصود المفهوم ؟ أم نريد أن نتحدث بالألفاظ ؟

ثم هل يجب أن يجمع اللغوي المحترم بأعضائه الأعلام أن استعمال الكلمات وذيوها وانتشارها يمكن أن يتم بقرارات ؟ لم يبق الا أن يصدروا مراسيم ويفرضوا عقوبات . اني أحرض علناً أولادنا تلاميذ المدارس الابتدائية على الكف عن هذا الهذر السخيف ، وأحرض علناً المدرسين الأفاضل أن يكفوا عن ازعاج التلاميذ وانساد ذوقهم بهذه الكلمات الثقيلة السبجة .

أحرض هؤلاء وهؤلاء لا كرهاً في اللغة العربية ، ولكن حباً لما واشفاقاً عليها ، أن تنمو كراحتها في تقوس الصبيان ولم يرونها نصر أن تسمي « السيون » وهو لفظ رقيق باسم « الثجاج » وهو لفظ ثقيل . . . سامح الله المجمع اللغوي ، ولكن لا سامح وزارة المعارف التي أقرت هذا السخف .

محمد زكي عبد القادر

وجاء في الجريدة نفسها بتعليق المعلق الأول ما يلي :

« اطلعت على كلمتكم الخاصة بتعريب الكلمات الأجنبية الى عبارات عربية يصعب على الصغار كما يصعب على الكبار استيعابها . وهذا الوضع خطأ كبير يرجع باللغة العربية الى الوراء . وأرى أن ينبع أولو الأمر في تعريب الكلمات الأجنبية ما يتفق مع ألفاظها الافرنيجية . فهذا يرقى باللغة العربية الى مستوى اللغات الأخرى . وليس في ذلك بدعة فالقرآن الكريم نفسه يحوي عشرات

الكلمات الأعجمية عربياً التزليل ، كما أخذ الأفرنج عن العرب كثيراً من الفاظهم العربية الخاصة بالتشريع البحري وقت الحروب الصليبية . ويشهد بذلك علماء القانون البحري في أوروبا ونذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة Avarie بمعناها « عوار » و Amiral « أمير البحر » و Arsenal « دار صناعة » و Calphater « قلفنة » و Cable « حبل » و Corsaire « قراصنة » و Ancre « أنجر أي المرصاة » . الى غير ذلك من الكلمات . محمد كامل ملش

ترى هل يقتنع المجتمع العلمي بهذا ويرمج نفسه ويرمينا من هذا البث الذي يتفق فيه الكثير من الوقت والجهد . ولست أعرف الاسبانية ، ولكنني حينما زرت مدريد في الشتاء الماضي وأنصتُ الى أحاديث الاسبانيين ، لاحظت أن لغتهم أخذت الكثير من الكلمات العربية . ولم تأخذ الكلمات فحسب ، بل أخذت أيضاً الكثير من التقاليد والعادات .

ان محاولتنا أن نenzل أنفسنا عن العالم محاولة تدل على ضيق الأفق ، وسوء التفكير . . ألا ينادي البعض اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم . . . وهؤلاء القائلون أنفسهم قد قدموا الدليل على أنهم لا يفهمون روح الاسلام ولا حكمة التشريع ، ولو رجعوا الى ما كان يجري في صدر الاسلام من قياس الأشياء بضرورتاتها ، ونسخ الأحكام ، وتيسير الأمر على الناس ، ولو وعوا أن الاسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات ، لأدركوا أي دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة . . ولكنهم بضيق التفكير وضالة النهم يجنون على الاسلام أعظم جناية . . ليست اللغة اذن هي التي يصيبها شر الجامدين ، ولكنها أقدار البلاد ومماثرها أيضاً . . وقاها الله الشرين .

محمد زكي عبد القادر

هذا ما نشرته «الأخبار» وما نخال أن شفقة الناقد على صغار التلاميذ بفساد أذواقهم إذا استظهروا مثل هذه الكلمات الا شفقة في غير محلها ، ولم ندرك وجه الثقل في الألفاظ العربية وما كان ظاهر الخفة في المفردات الافرنجية ولا السر في تحسين هذه في ذوقه وتقييح مرادفها من العربية .

وعندنا أن ذوق الطالب يستقيم اذا أكثر من تلقف ألفاظ عربية في دراسته الأولى فيألفها ذوقه وان رأى فيها شيئاً غريباً عنه ، يألفها أكثر من ألفاظ ما حيت الى من حيت اليه الا لاستحكام العامية فينا في معظم مظاهر الحياة ، على حين نزع أننا دعاة تجديد وأبادة جمود . وأغرب ما في الباب أن تصدر هذه النقدرات من صاحب قلم ما زال مشرعاً في خدمة العروبة والمدينة .

وانا اذا اكتفينا بما ورثناه من عصر الانحطاط اللغوي من الألفاظ الفرنجية التي تسربت الى لغتنا على حين غفلة منا وتجاونا عن الأخذ باستعمال ما يضعه لنا مجمع اللغة العربية من الألفاظ فمعنى ذلك أننا ندعو جبهة الى زيادة نصيب العامية في كلامنا زيادة تخرجها مع الزمن عن جمالها واستقلالها فتصبح كلمة مالطة كل لفظة من لغة تخالف الأخرى . وعندها نندم لفتح الباب أكثر مما فتح للدخيل وتكثر الألفاظ الغريبة في لغتنا حتى تكاد لا تضبط ولا يوجب دخول ألفاظ من الفارسية والمندية في لغتنا قديماً ان نرحب اليوم بكل دخيل وهو يسري بنا بالأنوف ، وهل من الحكمة أن نقرأها كلها ولا نترك لأهل الرأي في اللغة أن يقرؤا الأصلح لسلاستها ودفع عادية الغريب عنها .

لا جرم أن الناقد الحصيف اذا أعاد نظره فيما كتب وتروى قليلاً في الرأي الذي سارع الى اصداره يشاطرنا رأينا في الاستعاضة عن الدخيل بما يسد مسده من لغتنا . وكنا نتوقع منه أن يثني على جهود مجمع اللغة العربية المصري في العناية بما أنشئ لأجله سلامة اللغة ، لا أن يحمل عليه كما اعتادت بعض الصحف أن تضربه وتدميه منذ السنة الأولى لتأليفه مدفوعة بشهوة النقد أو من

باب : خالفت تعرف .

محمد كرد علي

م . ك



## فهرس الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين

صفحة	
٣	ابرهيم البازجي . . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . . . .
١٨	تدريب الاصطلاحات العلمية . . . . . للأستاذ جيل صلي . . . . .
٢٨	أوضاع لقوة عسكرية . . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي . . . . .
٣٤	الائتداهي أميركا الجنوبية . . . . . » جورج ليان . . . . .
٤٥	سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (٣) . . . . . » طه الهاشمي . . . . .
٦١	تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٤) . . . . . » نعم الحمصي . . . . .
٧٩	تاريخ علم الفلك في العراق (١) . . . . . » عباس المزاري . . . . .
٩٦	أقدم تأليف في الحديث النبوي (١) . . . . . للأستاذ محمد حيد الله . . . . .
١١٧	شيخ الاسلام ابن تيمية (٤) . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . . . .

## التعريف والنقد

١٢٦	حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول . . . . . { للأستاذ شفيق جبيري . . . . .
١٢٨	الاحتضات الاسلامية في القرن الأول . . . . .
١٣٠	مخطوطات يمانية . . . . . » عبد القادر المغربي . . . . .
١٣٣	التعريف بابن خلدون . . . . . { للأستاذ جعفر الحسني . . . . .
١٣٤	بولة بني قلاوون في مصر . . . . .
١٣٦	تاريخ السلاة الحمدانية في سورية والجزيرة . . . . . للأستاذ سامي الدهان . . . . .
١٣٩	أكبر المحققين في القرن العشرين . . . . . » مدنان الحليب . . . . .
١٤٣	تاريخ مدينة دمشق . . . . . للأستاذ محمد أحمد دهمان . . . . .

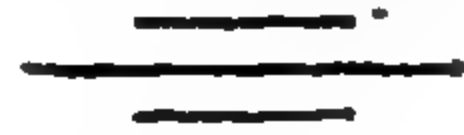
## آراء وأنباء

١٤٦	أعضاء الجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م . . . . .
١٤٨	أعضاء الجمع العلمي العربي الراحلون . . . . .
١٥٠	تراكيب ومفردات غير فصيحة . . . . . { للأستاذ محمد كرد علي . . . . .
١٥٤	بين الفصحى والعامية . . . . .

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَسْكَرِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ — محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ — نثوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ — نثوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء الميري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء الميري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ — المستجاد من فملات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ — غوطة دمشق ( الطبعة الأولى والثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ — ديوان ابن حيّوس ( الجزء الأول ) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ — ( الجزء الثاني ) = = = =
- ١٦ — ديوان الوأواء النمشي : بتحقيق الدكتور سامي الدمان
- ١٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ( المجلد الأول ) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .
- ١٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمعري ( الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٣ - الموفى في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد يهجة البيطار .
- ٢٤ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . مترجمتين
- ٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفقاني
- ٢٧ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العش
- ٢٩ - المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٠ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٣١ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخليل الحلبي
- ٣٢ - الرسالة النبائية : للأمير مصطفى الشهابي
- ٣٣ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٤ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني



تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها غيد اخوان بدمشق

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٣

١٧ شهر رجب سنة ١٣٧٢

محمد عبدة

(١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م)

ولد محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ وأبوه عبده خير الله من مكات قرية «محلة نصر» بمركز شبراخيت من عمل البحيرة في مصر ، وأمه السيدة جينية . كان والده من صغار الفلاحين وبذكاؤه وحسن تدبيره ملك بأخرة أربعين فدانا . وكان كريما يقري الضيوف ويؤوي الغرباء ، وكانت منزلة أمه بين نساء القرية لا تقل عن منزلة زوجها ، عرفت بذكاء القواد ، ورقة القلب ، وير المعوزين والبائسين . تعلم محمد القراءة والكتابة في منزل والده وأتم حفظ القرآن على حافظ خاص في عامين ولما تجاوز العاشرة . وأراد أبوه أن يتعلم ولده تجويد القرآن فأرسله إلى الجامع الأحمدي بطنطا فقص في تجويده سنتين ، ثم بدأ في هذا المسجد يتلقى النحو فصرف في تعلمه سنة ونصف سنة فما أفلح ، وعزم أن يترك طلب العلم ويرجع إلى بلده يعمل في الزراعة لكن والده أدرك ما عليه ابنه من



الذكاء فلم يرض الا أن يعود الى الأخذ عن مشايخ طنطا ، فأطاع والده وأخضر الحرب وذهب يخطفي عند خؤولة أبيه في « كتيبة اودين » من قرى شبراخيت . ومن الغد جاءه أحد اخوال ابيه الشيخ درويش وكان على شيء من العلم يجيد حفظ القرآن وفهمه ويحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث وينتحل التصوف ، فما زال بالفتى أياماً يقرأ له في كتاب تصوف ويشرح له حتى تألفه وردء الى حظيرة العلم « ولم يأت على الفتى اليوم الخامس من صحبة الشيخ الصوفي الا وقد انشرح صدره وأنست نفسه ، واقلبت في عشرته قيم الأشياء ، فأصبح للهو والزهو أبغض شيء اليه ، وأصبحت المطالعة والمداينة أحب شيء اليه » . وتزوج الشيخ وهو في السادسة عشرة وبعد أربعين يوماً أنت على زواجه أرسله أبوه الى القاهرة ليأخذ العلم في الأزهر . وكان من علمائه الجامدون ومنهم المنورون في الجملة فألى التلميذ على نفسه ألا يحضر درس من لا يفهم شرحه وتقريره . ولعل هذا التلميذ كان أول شيخ اعترض على طريقة مشايخ الأزهر في التدريس وظل على رأيه حتى أصلحها عندما بلغ أشده وأصبحت كلمة مسموعة .

كان الشيخ في المسامحة الصيفية يعود الى محلة نصر فيجد الشيخ درويشاً قد سبقه اليها فيأخذ في مداينة الشاب ومحاسنته على ما حصل من العلوم ، ويبحثه على النظر في المنطق والحساب . فاذا قال له الطالب هذه علوم لا تقرأ في الأزهر . قال له الشيخ : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان . فيؤثر فيه بآرائه وارشاده .

قرأ الشيخ في الأزهر جميع الكتب المقررة في ثلاث سنين . ومضت سبع سنين رأى بعدها الشيخ الصوفي ان مريده كملت نفسه فأخذ يبحثه على لقاء الناس ووعظهم ، وكان من قبل يشير اليه بالابتعاد عنهم ، فقال له بعد ذلك : الى متى هذه العزلة ؟ وما الفائدة من العلم ومن تحصيله اذا لم يكن لك نوراً تهتدي به وتهتدي به الناس ، ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك ،

وان من لم ينتفع بما تعلم فقد أخاع أم ثرة تقصد من غراس النعمة ، فطيك  
أن تخالط الناس وتمنهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة .

ودع المجاور الأزهرى شيخه ومرشده في بعض السنين وبكى هذا بكاء شديداً  
ومات في السنة الثانية . وعاد محمد عبده الى القاهرة وفي نفسه أشياء من طريقة  
شيوخ الأزهر وشروحهم ومتونهم وحواشيهم وتقاريرهم على الشروح ، رآها بما  
تضيق فيه الأعمار ولا ينتج عن تعليمها فائدة حتى قال : « كنت أسمع الشيخ  
وهو يدرس فأحبه يتكلم بلغة أجنبية » والطلاب يحفظون ما لا يفهمون وربما  
كان الأستاذة يلقون ما لا يصححون ولا يعلمون .

وصف تلميذه الشيخ المراغى عصر محمد عبده وما فيه من انحطاط في الياسة  
والعلم والأخلاق فقال : « نشأ الشيخ في عصر من العصور القائمة ، كل شيء  
فيه محض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة : الأسم الإسلامية فتحد علماً وسياسياً  
واجتماعياً الى أحط الدرجات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ،  
والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات  
السيجم ، والزلفى الى الله لما طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكم لما طرق  
لا يرضاها ذو مروءة . ذهب ربح المسلمين ، ونفقت من أيديهم زمام الحياة  
العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصاع ، وليسوا قلة بين  
الأمم ، ولكنهم كقضاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بتدابيرها  
من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم  
وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضية ذلك العصر المظلم ، لا تفهم الا بشرح  
وحواشي وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة  
واخطابة ، وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام  
والمنطق بوصولته الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العاقل ، ويقنع الخصم

التحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة ، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داعٍ الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأوائل مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة ، وبأوهام وقصص لنفها من قبل علماء الاسرائيليات ، مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهانها .

«عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب القطر الصادقة ، والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء ، وإن شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللمصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟ » .

ثم قال : «عاملان من أقوى العوامل وقفاً في طريق الشيخ ، عامل الحسد وعامل البيئة ، ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يُحسد ، ولو أنه لم يُحسد ولو أنه لم يُرمَ بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ، ولم يُقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد ، لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » .

قال وسبب ثالث له خطره «وهو بأن جهة من جهة ذات تقوِّذ ( الخديوي ) أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه ، وأن جهة ذات تقوِّذ آخر ( المحتلون ) ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه رجل يريد انساد الدين وافساد العلم » ومن أشد مظاهر الحسد اذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول البشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، «وكاد العناد يكون كفراً» .

قال المراغي : ترك الشيخ بذور اصلاح التعليم الديني ، وتعليم علوم العربية ، وبذور اصلاح القضاء الشرعي ، وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية ، وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن ، وفي فهم أغراض الدين عامة . قال ودعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة ( نوفمبر ١٩٠٤ ) فما قال لي : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الأحكام صلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . قال وداعبني مرة اثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ قلت له : نعم ، وكنت أحفظ اذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسررت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذا أنت لست بعالم ، فانتفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

بقي محمد عبده في هذه البيئة العلمية النشطة مضطرب البال حتى وافى مصر الامام جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٦٩ ثم ذهب الى الأستانة وعاد الى القاهرة سنة ١٨٧١ فلأزمه وتلمذ له وقرأ الأفغاني لتلاميذه بعض الكتب العربية القديمة والكتب الأوربية المعربة في مختلف فروع الفلسفة والتصوف والتاريخ والسياسة والاجتماع فتفتحت عقولهم ومنزقت حجب الأوهام عن عيونهم وأخذ يحثهم على الكتابة والخطابة . ولما قرأ محمد عبده «الحاشية على شرح العقائد العقديّة» مال الى رأي المعتزلة دون رأي الأشاعرة نشاع ذلك في شيوخ الأزهر ، وفي يوم الامتحان لأخذ شهادة العالمية فامره مقاومة ظالمة ، ومنهم الشيخ عlish والشيخ الجيزاوي ، ومع أن رئيس لجنة الامتحان شيخ الأزهر يومئذ الشيخ العباسي ، وكان على جانب كبير من العلم وحب التجدد ، قال لأعضاء اللجنة



أثناء المداولة انه لم ير في حياته أحداً في ذكائه وثبته من علمه ، وانه يستحق الدرجة الأولى ، بل لو كان فوقها درجة أعلى لاستحقها ، ومع ذلك لم تسمح اللجنة له الا بالدرجة الثانية وبعد ست وعشرين سنة من نيله شهادة العالمية ، عادت مشيخة الأزهر فتصححت خطأها ونقلته الى الدرجة الأولى ( ١٩٠٤ ) .

ولم تحمل درجات العالمية دون تدريس الشيخ في الأزهر وأكثر ما كان يدرس كتباً في المنطق والتوحيد والأخلاق . وفي أواخر سنة ١٨٧٨ عين مدرساً للتاريخ في « دار العلوم » ومدرساً للغة العربية في « مدرسة الألسن » وبعد قليل عزل عن التدريس في هاتين المدرستين على أن يقيم في قريته لا يرحلها الى الحواضر المصرية وذلك لتغيير خاطر أمير البلاد عليه ثم عفا عنه ( ١٨٨٠ ) وعين محرراً في جريدة « الوقائع المصرية » الرسمية ثم رئيس تحرير فيها فاستعان بقوة الحكومة على تحسين لغة الكتابة ولغة الجرائد ، وأخذت الجريدة الرسمية تنحوض في موضوعات تثقف وتعلم فكان في هذه الصحيفة معلماً ومصلحاً ، اضى على الطريقة القديمة العقيمة في الانشاء وأبطل السجع والازدواج ، وعلم الكتاب السلامة في التعبير وعدم التكلف .

كان الشيخ يرى في شخص رياض باشا رئيس الوزارة صورة حسنة لمستبد العادل « مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجئ الأهل الى التواضع ، ويهجر الجيران على التناصف ، يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ، ان لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة » .

وكان رياض يعاون الشيخ على مقاصده في الإصلاح ويستعين برأيه في بعض الشؤون . وسقطت وزارته بقيام الثورة العرابية ، وكان الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة ويصرح ان الأمة غير مستعدة للحكم الدستوري وأن الواجب تعليمها وتهذيبها أولاً ويرى استشارة الأمة في بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات فقط تمهيداً لما يراد من تقييد الحكومة قال : « وليس من اللائق أن تفاجأ

البلاد يأمر قبل أن تستعد له فيكون من قيل تسليم المال للناسي قبل بلوغ من الرشد يفسد المال وينفسي الى الملكة» . وقال : «أخشى أن يمر هذا الشعب على البلاد احتلالاً أجنبياً يستدعي تسجيل الأمانة على مسييه الى يوم القيامة» . واحتل الانكليز مصر وأرادوا القضاء على الحركة الوطنية وشلوا سلطة دار الندوة وعملوا على التفريق بين الخديوي والأمة فتحول حينئذ مقام عرابي من قائد جيش الى قائد مصر ، وحينئذ أصبح محمد عبده والبلاد المصرية قاطبة من أتباع احمد عرابي . ورأى الشيخ ما كان يراه كل وطني صادق ان واجبه يقتضيه أن يكون مع الأمة على الانكليز وعلى الخديوي الذي أصبح آلة في أيديهم ينفذون به أغراضهم . وأصبح الشيخ كما قال عميد الاحتلال روحاً مديراً للحركة وأصبح العراييون بلجأؤن اليه في كثير من أمورهم ، لا يبرمون أمراً دون استشارته . فكان موقفه من الثورة العرابية كما قال الراجعي المؤرخ : «موقف الوطني الذي يشور الكرامة البلاد واستقلالها فدافع عنها بكل ماله من حول وقوة وإخلاص» .

اضطر الشيخ الى ركوب مراكب السياسة وما كان يود أن يدخل فيها ، زج فيها رغم ارادته ولذلك رأيناه يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو ولم يرض الدخول في غمارها بالفعل واقلب معلماً ومرشداً ، أي انه شارك في السياسة بالقدر الذي أرادته ثم تقف يده منها الا قليلاً .

ولما قبض على من عرف لم أثر في الثورة كان الشيخ في جملتهم انهموه بأنه أفتى بوجوب قتل الخديوي لخروجه على اجماع الأمة ، فترتب من القطر المصري الى الشام ثلاث سنين ، ثم غادرها الى باريس لنشر مجلة «العروة الوثقى» مع صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني . وكانت العروة الوثقى جمعية سرية يقصد بها محاربة الاستعمار والمستعمرين وفي مقدمتهم الانكليز ، والنرض البعيد من الجمعية «إعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كانت عليه من الطهارة والعدل

والكمال في العصر الأول ، بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا ، وينبع هذا انتقاد المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم . وأما الغرض القريب فهو انتقاد مصر والسودان من الاحتلال » .

وضاق صدر المستعمرين من مقالات مجلة العروة الوثقى فمنع الانكيز دخولها الهند ومصر والسودان فلم تنش أكثر من ثمانية أشهر كانت مقالاتها ، وبكتيها محمد عبده بقلمه الساحر وبلي " بعض آرائها السيد جمال الدين الأفغاني ، أشبه بدساتير للأمة اذا جرت على بعضها نجت مما هي فيه من الانحطاط ومن التل الذي صارت اليه بفعل ملوكها وأمرائها وزعمائها . وذهب متكرراً من باريس الى تونس فمصر ثم عاد الى بيروت ( ١٨٨٥ ) واستدعي للتدريس في المدرسة السلطانية فوضع لها برنامجاً جديداً أخذ على عاتقه منه علوم التوحيد والمنطق والمعاني والانشاء والتاريخ الاسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي وظهرت آثار تعاليمه في التلاميذ آخر السنة ، وأرشد المعلمين الى الطريق القويم في التدريس وتهذيب ملكات الطلاب وثقيف أخلاقهم . وزار خلال ذلك بعض مدن الشام وأفاض على كل من لقيه غرفة من علمه وبيانه . وبورك له بوقته فعلق على كتاب « نهج البلاغة » وعلى « المقامات » للممذاني وغير ذلك .

وعفي عن الشيخ فعاد الى وطنه فعين قاضياً في المحاكم الأهلية الابتدائية فقال حين سمع خبر تعيينه : ما خلقت لأكون قاضياً بل لأكون معلماً ، وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت . وقيل ان عميد الاحتلال بعد مدة أراد ان ينزع العامة فيكون رئيس وزراء مصر فقال له : خلقت معلماً وأريد أن أموت معلماً . وترقى في القضاء حتى صار مستشاراً في محكمة الاستئناف ، وكان يود ألا يدخل فيه وينقطع الى التدريس مع انه كان يعلم انه يوتق في هذا السلك الى أعلى الدرجات وان مجال التدريس ضيق محدود وطلب ان يعود

الى مدرسة دار العلوم فأبى الخديوي أن يجيبه الى طلبه مخافة أن يلحق تلاميذه من أفكاره السياسية . ولما نصب الخديوي عباس على اماره مصر داخله الشيخ وأقنعه بضرورة اصلاح الأزهر ولكن دسائس شيوخه وغيرهم حالت دون انقاذ هذه الأمنية وفي سنة ١٨٩٩ عين الشيخ مفتياً للديار المصرية فأصبح بحكم منصبه الجديد عضواً في مجلس ديوان الأوقاف الأعلى الذي أنشأ عميد الاحتلال للحد من تصرفات الخديوي في أموال الأوقاف ، وعين في الشهر الذي تولى فيه الافتاء عضواً في مجلس الشورى . ولم يلبث أن ظهرت المشادة بين الشيخ والخديوي فان هذا أراد أن يبدل مرذعة له بأراض للبناء في ضواحي الجيزة ووضع الثمن الذي راقه فأبى الديوان بإشارة الشيخ الا أن تثنى أرض الخديوي وأرض الوقف ، فكان من ذلك أن خسر الخديوي خمسين الف جنيه ، وبذلك انتقلت العداوة التي نشأت بين مترجمنا والخديوي توفيق من أجل قلبه في سياسته يوم الاحتلال الى ابنه عباس ، وظل هذا يحرض سنهاء الأفاقين على الشيخ ويحمل زبائنه من الجواميس والكتاب على تسويد صحيفته في نظر الأمة ، ولكن الشيخ وجد له معتمداً من عميد الاحتلال فكان هذا يبعد نظره يدفع العوادي عنه ويوقيه غضب الأمير .

وكان أول ما ام في ذهنه تفتيش المحاكم الشرعية ففتش كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية او مركز الا شاهداً بنفسه وبحث أعمالها بحثاً دقيقاً ، وتعرف حال قاضيا من قوة أو ضعف ، وضبط العمل والاممال فيه ، فوضع تقريره وصادف من وزارة العدل معاضدة على انقاذ أكثره ، فأخرج القضاء من دركات التدني التي كان غائماً فيها . ثم استقال من ادارة الأزهر وظل على العناية بما يصلحه . ورضيت الحكومة أن تفتح مدرسة يتخرج فيها القضاة والكتاب والمحامون الشرعيون وبذلك أبقى للشريعة بعض يهائها الذي كان المشايخ الفقهاء السبب في ذهابه ، واضطرار الخديوي اسماعيل الى العمل بقوانين فرنسا



بعد أن اقترح على أهل الأزهر أن يؤلفوا كتاباً في الحقوق والعقوبات موافقاً لحال العصر فرفضوا لا تديننا بل عجزاً . ووضع لائحة لاصلاح المساجد ليكون أئمتها وخطبائها من أهل العلم بالدين فعارضه الخديوي أيضاً لحقته على الشيخ يوم عرض على الأوقاف استبدال أراضي البناء انتابة للأوقاف في الجزيرة بمزرعة الخديوي المعروفة باسم مشتمر . قاوم الخديوي الشيخ في هذا المشروع أيضاً وغفل عن مصلحة المسلمين في تقريره واتقاه وبذلك صح ما قاله ان مصيبة هذه الأمة بفساد أخلاقها أكبر من جميع مصائبها ، وقوله انه لم يعمل عملاً لمصلحة المسلمين ووجد له من يمارضه فيه من غير المسلمين ، لا من الأفرنج ولا من القبط ، ولا من السوريين .

كانت طريقة الشيخ السير الى جانب الدين مع مراعاة أحوال الدنيا او تطبيق أمور العالم على الشريعة ولذلك كان في فتاويه يفتي على وجهين ، الوجه الأول : الفتوى الرسمية ينتقد فيها بمذهب الحنفي وغير الرسمية تختلف باختلاف طلب المستفتي فمن المستفتين من يسأل عن حكم الله تعالى «وعلى المفتي أن يجيب بما يعلم من حكم الله تعالى في كتابه وما ثبت عنده من سنة رسوله ﷺ نصاً او اقتضاء» . وكانت عادة المفتين في عصر الوقوف عند حد فتاوى الحنفية ومذهب نبي حنيفة مذهب السلطان الذي كان يخفق علمه على القطر .

وكان للشيخ بحكم منصبه ما جعل منه أحسن أداة يستخدم في النهوض بالأمة شأن كل كفؤ من الرجال لا يفلت من يده فرصة لنفع غيره . ومن ذلك انه لم يكتف باصلاح الأزهر واصلاح الحاكم الشرعية بل توفّر مع أصحابه على إنشاء جمعية مسموياً الجمعية الخيرية الإسلامية غرضها التعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإغاثة العاجزين منهم على الكسب . قال في احتفالها السنوي مرة : لم تنشأ الجمعية لأخذ الشهادات والاستعداد للوظائف بل من أهم مقاصدها أن تترفع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيه الا

الاستخدام في الحكومة ، والجمعية توظف تقوس التلاميذ في مدارسها على أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه باتقان ويبعث مع الناس بالأمانة والاستقامة ، فولد التجار يكون نجاراً ، وولد الحداد يكون حداداً ، وولد الفراش يكون فراشاً ، والتربية والتعليم يساعدان كلاً على اتقان عمله وصناعته فيكون أكثر كسباً لأنه أكثر اتقاناً للعمل مع الأمانة والاستقامة . وأصبح الشيخ في سنة ١٩٠٠ رئيساً للجمعية الى يوم وفاته ، فجمع لما من كرام المصريين أموالاً عظيمة ووقف عليها مزارع وارااضي وأنتجت ما كان يعقد عليها أمله من الخير في تربية أبناء الفقراء تربية حرة طاهرة .

وهو الذي ألف شركة طبع الكتب طبعت أسفاراً مفيدة واشترك في تصحيح عدة كتب قديمة ومنها انخص لابن سيدة .

فطر الشيخ على بث العلم ، وكان معلماً في كل مكان دخله ، معلماً في الجريدة الرسمية ، ومعلماً في دار العلوم وفي مدرسة الألسنة ، ومعلماً كل يوم في دروسه في الأزهر منذ حدوثه الى آخر أيامه ، ومعلماً في القضاء على اختلاف الدرجات التي تولاه ، ومعلماً في الانتاء وفي مجلس الأوقاف الأعلى وفي مجلس شورى القوانين وفي الجمعية الخيرية الاسلامية وفي غير ذلك من الأعمال همة تملو على المم المالية . اتبه من نفسه الى فساد طريقة التعليم الأزهرى وهو في العقد الثاني من عمره وظل طول حياته يحارب تدريس الحواشي والشروح والحواشي والتقارير ويقول ان أمل الأزهر يتعلمون كتباً لا علماً ، وغرامهم في حل عبارات المؤلفين والمهشين والمحشين .

قاوم الجامدون من مشايخ الأزهر الشيخ وما كفوا عن مقاومتهم حتى أصبح غرة شاذخة في الاسلام وعندها خافوا على مناصبهم منه . فصانعوه وتآلفوه . قال له الشيخ البحيري مرة في مجلس ادارة الأزهر مدافعاً عن نفسه : « اتنا نعلم الطلاب كما تعلمنا » . فقال الأستاذ : « وهذا الذي أخاف منه » .

قال البحيري مستكراً : « ألم تتعلم انت في الأزهر وقد بلغت ما بلغت من مراقي العلم ، وصرت فيه العلم المفرد » . فأجاب الامام : « ان كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكره ، فاني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشرين اُكف من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر ، وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة » .

وشرح مرة طريقتة في التدريس فقال ان الكتب لا تفيد القلوب العمي الا اذا صادفت قلوباً متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها واذا وصل الى ايدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا منه شيئاً يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه حرقوه الى ما يوافق علمهم ومشرهم .

قال ان الكلام المسموع 'يؤثر في النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لان نظر المتكلم وحركاته واشاراته ولهجته في الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وايضاً يمكن السامع ان يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه ، فاذا كان مكتوباً فن يسأل ؟ ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقاري لكلامه يفهم منه ٢٠ في المائة على ما اراد الكاتب . وعلى ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية ، وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، مع أنها كان من حقها ان تكتب ، وما عنت أحداً بكتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجعاني في بعض ما يكتبان وأما المسلمون فلا » .

وقال الأستاذ المراغي : كانت دروس الأستاذ كالفيث وكانت مثلاً عالياً في طريقة الالتقاء والتفهم وفي العبارات القصيصة المتخيرة النافذة الى القلوب وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته ، والفقيه رغبته ، والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق أي القرآن على معارفهم .

لم تترك واجبات المناصب وقتاً كافياً للأستاذ ينقطع فيه الى التعليم والتأليف واضطرته حالة الأمة الى الدخول في غمار الثورة العرابية وكذلك كان حاله بعد أن عاد الى مصر يتولى أعمال القضاء والافتاء . كان يكره السياسة ويقول انها ما دخلت في شيء الا أفسدته ، وفي كتابه الاسلام والنصرانية : « فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين » أعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ، ومن كل حرف بلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببال من السياسة ، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو 'يحين أو يمقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس وسائس بسوس » .

وبعد فان تأليف الشيخ صغيرة الحجم حجة الفوائد وله تقارير في الاصلاح كان يقدمها الى الحكومة لتنفيذها أو أكثرها ، وكتب أكثر ما كتب لدواع وبواعث دعت الى وضعها وما كان ينشرها الا بعد درس وتحقيق وبثها في صدره أولاً شأنه في دروسه . نشأ نشأة صوفية على يد شيخه ونسبه الشيخ درويش في قريته فكان من الطبيعي أن يكون اول تأليفه « الواردات » رجع عن بعض ما كان قرره فيها ، ورسالة في « وحدة الوجود » بين فيها مراتب الوجود وتعددتها من وجوه نظامها العام ووحدتها من وجه آخر ، و « تاريخ اسماعيل » لم يطبع ، و « فلسفة الاجتماع والتاريخ » ، و « حاشية على عقائد الجلال الدواني » ، و « شرح نهج البلاغة » ، و « شرح مقامات بديع الزمان الهمداني » ، و « شرح البصائر النصيرية » ، و « نظام التربية والتعليم » ، و « رسالة التوحيد » ، و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » ، و « تفسير سورة العصر » ، و « تفسير جزء عم » ، وأمتع تأليفه التي تجلى فيها علمه وبيانه « رسالة التوحيد » . هذا الى تقريره في اصلاح الأزهر وفي اصلاح المحاكم الشرعية ودفاعه عن الاسلام اذا طعن طاعن عليه ومنها ما كان ينشره في الصحف في آخر أيامه خلواً



من توقيعه أو يوعز إلى خاصته ليكتبوا فكره ويقدم عليه فينشرونه بأسمائهم .  
 حفلت حياة الشيخ بأمور كلها تدور على النهوض بالمسلمين وتثقيفهم ثقافة  
 تجعل منهم أمة متحضرة ، ولذلك كان في بعض فتاويه يسير مع العقل ولا يجحد  
 عن طريق السلف ، بدأ صوفياً وانتهى مجتهداً لا يقول إلا بما يقول به علماء الظاهر  
 أمثال الامامين ابن نجية وابن قيم الجوزية . ولكم بورك له بساعات عمره  
 وبحق ما وصفه قاسم أمين عندما قال : « يطالع ويتعلم ويعلم وينقي ويجلس في  
 جلسات مجلس شوري القوانين ومجلس الأوقاف الأعلى ويتأخر على الجمعية الخيرية  
 الإسلامية ويضع التشريعات للأزهر والمحاكم الشرعية » ويتحنن طلبة العلم  
 وتلاميذ المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن  
 الدين إذا طعن عدو عليه ، ويراسل علماء المسلمين في جميع الأقطار التي يسكنونها ،  
 ويناقض رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده . وكان مع كل ذلك يجدد وقتاً ليزور  
 أصحابه ويشاركهم في جميع أفراحهم وأتراحهم » ، قال انه وصل إلى مقام الإمامة  
 بأوسع معانيها . وقالوا انه كان إذا دُعي إلى حفلة عامة أو مأدبة خاصة  
 وحالت صحته أو قلة وقته دون الإجابة إليها يبعث بكتاب بقلمه فيمكن صاحب  
 الدعوة بين عاملين في قبول دعوته أو الظفر منه بكتاب اعتذار يقرؤه على  
 أصدقائه وأهله ، وإن فاتته الاستمتاع بمحدثه إذا حضر . وكان ما يكتبه في  
 شكر المؤلفين الذين يهادونه بكتبهم ميبكاً في رواجها ، لأن الشيخ لا يقول  
 جزافاً ، وكتبه من هذا القليل كثيرة يتألف منها جزء لطيف .

حضرت دروسه في الرواق العباسي في الأزهر ، وجالسه الخاصة في داره  
 في عين شمس أو في دور بعض مريديه ، وصممت بعض خطبه في الجمعية الخيرية  
 الإسلامية فكنت أقول : سبحان من خضع من بين معاصريه يلاغة اللسان  
 وبلاغة القلم .

وصفه العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة «الضياء» بقوله : كان متوقد  
 النؤاد ، ثاقب البصيرة ، قوي الحجة ، ذرب اللسان ، بليغ العبارة ، اذا وقف  
 للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلصك ، ولا تجدي في كلامه  
 لفظة ركيكة ولا تركيباً مخيفاً ، حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداة  
 وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله  
 في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انه تعلم اللغة الفرنسية وهو فوق الأربعين  
 فلم يأت عليه الا أشهر حتى كان يجيد فهمها ، ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ،  
 ولم يرو مثل ذلك الا عن أستاذه السيد جمال الدين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .  
 كان الامام يتوخى في دروسه ألا تكون جافة اذا طال بحثه وتقريره  
 فيشفعها في الحال بشيء من دعائه الخلو بفرغ عليها من روحه الصافي ما يجيب  
 الى النفوس الرجوع الى سماع ما يحاول القاؤه عليهم من المسائل والمشاكل .  
 وما حضرت له درساً ولا مجلساً ولا خطبة الا تمتت لم يطول القاؤه أكثر  
 مما طال ووددت ان أكون كلي آذاناً تسمع وقلوباً تعي وتفهيم . وما شككت  
 قط ان كل ساعة من ساعات حياته كانت نفعا وخيراً ، وان كل من كتب له  
 الاتصال به أفاد من علمه وتجاربه ونصائحه وهديه وتأثر به عقله وروحه .  
 . عطف عليّ منذ تشرفت بالاجتماع اليه في القاهرة فقال في الملا من أصحابه  
 انه قرأ ما كتبه الصحف في مشروع السكة الحجازية فما قدر بجلالة الموضوع  
 حتى نشرت في مجلة المقتطف مقالة فيه فاطلع فيها على ما لم يطلع عليه من قبل .  
 فبدأ لي بهذه الشهادة سبيل التعرف الى طائفة من رجال مصر في العلم والقضاء  
 والادارة والسياسة والأدب ، وهذا جل ما يتطلبه ناشئ مبتدي من العون والتوجيه .  
 قالوا ان الأستاذ تعلم اللغة الفرنسية وهو في الرابعة والأربعين لما اشتدت  
 حاجته اليها أيام تقلد القضاء وشاهد رفاقه يستعينون في أحكامهم بالقانون الفرنسي

فما وسعه الا تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها من دون كبير عناء في وقت قصير ، فكان يحضر في الصيف دروساً في هذه اللغة في كلية جنيف ويتمرن على الكلام فيها والفهم في السياحات وقد سافر في أوروبا وأفريقية وآسيا كثيراً . وأذكر أنني صحبت أحد علماء المشرقيات من الألمان لزيارته في داره وكان الحديث بالفرنسية في موضوع التربية والتعليم فما غلط الأستاذ غلطة واحدة في الساعة التي قضيناها في حديثه وأبان عن بديهة مؤاتية دهش لها صاحبي الألماني وبقي أيلماً يحدثني بأثر تلك الزيارة في نفسه .

ذكر السبب الذي دعاه الى تعلم الفرنسية قال : ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوروبية هو اني وجدت انه لا يمكن لأحد أن يدعي انه على شيء من العلم يتمكن منه من خدمة امته وبقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوروبية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشبكة مع مصالح الأوربيين في جميع اقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم او للخلاص من شر الاشرار منهم . واخترع الأستاذ لنفسه طريقة لتلقف اللغة الفرنسية فكان يتلو أمام استاذة قصة لاسكندر دوماس والمعلم يصلح له النطق ويشرح له الكلام ثم تعلم نحوها بالتدريج . وكان الشيخ عملياً في تلقن العلم وتلقينه منذ حضر درس النحو في الجامع الأحمدى في طنطا وتألف من طريقة تعليمه : كان في القضاء قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم ، قال عن نفسه : « انني كثيراً ما أنظر في قضية فأستخرج من التحقيق الطويل وجوهاً كثيرة للحكم بالادانة مثلاً ، حتى اذا ما تمت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوَّض كل ذلك البناء الذي كنت بنيت في ذهني من وجوه ترجيح الادانة وظهر لي بقة أن المتهم يري حتماً فأحكم بالبراءة » وكان يفضل أبداً ان يجري الصلح بين المتخاصمين حتى لا تتأصل العداوات بين الناس اذا قضت المحاكم التجار بينهم .

كان الشيخ رأساً في كل ما عانى من أعمال المجتمع لا يلبث ان يظهر فضله الباهر في الأيام الأولى من توليه عملاً من الأعمال وتخاذل قوة الأمراء والطفاة أمام عقله ، كان الخديوي عباس يهضه لأنه لم يوافق على مد يده الى الأوقاف ، ويشدد في مقاومته بكل ما تصل اليه قوته من ضروب المقاومة فاذا ما وقع في مأزق لا يتأخر عن دعوته لارشاده الى الطريق الواجب سلوكها علماً منه بسعة عقله وسعة علمه ، كان يبيح عليه العلماء والأدباء كل حين ويوم الجد لا يعتمد على غير رأيه وحكمه ، والشيخ بما عرف من كرم أخلاقه يتجاهل كل ما يصيبه من أذى بهضه .

كان الشيخ كريماً يتصدق في السر وقد خص بعض الخاويج المستورين برواتب يقضونها من راتبه الكبير من الأوقاف وكان ينقده كله في هذه الوجوه من البر . كان نصير المظلومين والضعفاء ولطالما سعى لجلب الخير الى من كان يقدف فيه ويعاديه من دون سبب ، يقصد بذلك ان يعلمه ويعلم غيره كيف تكون الأخلاق الطاهرة وان هذا هدي الاسلام وطريقة صاحبه .

قيل انه نظم أياتاً في مرضه الأخير أبان فيها عن غرضه من الحياة وهي :

ولست أبالي أن يقال محمد أبلى أو اكتظت عليه المآثم

ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العاثم

وللناس آمال يرجون نيلها اذا مات ماتت واضمحلت عزائم

فيا رب ان قدرت رُجعي قرية الى عالم الأرواح واقض خاتم

فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قائم

قالوا ان لسانه لم ينطلق بقول الشعر الا في آخر أيامه وفي الحبس لما سجن

مع العراقيين .

أجاب الشيخ رجلاً من الشاميين هنأ بتصب الافناء ومما جاء في جوابه



يصف موقفه من الأمة المصرية : «أما قومي فأبعدهم مني أشد من قريب مني  
وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون الظنون ، بل يتربصون بي ريب المتون ،  
نسرعا منهم في الأحكام وذهابا مع الأوهام ، وولعا بكثرة الكلام ،  
وتلذذا بلك الملام ، أقول فلا يسمعون ، وأدعو فلا يستجيبون ، وأعمل  
فلا يهتمون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون ،  
بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والعيول ، والصخب والتهويل  
حتى اذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا

وأقول ولا من الخير .

« وانما مثلي فيهم مثل أخير جهله اخوته ، أو أب عفته ذريته ، أو ابن لم يحسن  
عليه أبواه وعمومته ، مع حاجة الجميع اليه ، وقيام عسدم عليه ، يهدمون منافعهم  
بأيديهم ، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه ، وهو يسعى وبدأب ، ليطعم من يلهو  
ويلعب . على اني أحمد الله على الصبر وسعة الصدر اذا خاق الأمر ، وقوة  
العزم وثبات الحلم ، وان كنت في خوف من حلول الأجل قبل بلوغ الأمل ،  
خصوصا عندما أرى العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطرا ، لما أنبتت  
زرعا ، ولا أطلعت شجرا ، أفزع لذكرى ذلك وأجزع ، وبكاد قلبي بتقطع ،  
ثم أرجع الى الله فأعلم انه مع الصابرين . وانه لا يضيع أجر العاملين ، فيتلج  
صدري وأمضي في جهادي الدائم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ... »

« ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين وحق المعلمين في مثل هذه الجاهلية  
التي بعث النبي لمحو أحكامها وازالة إياها . تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيدا  
ولكن كان فهم القوم جديدا لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما  
قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه ، كان القرآن يصدع أفتلتهم فلبين من

شدتهم ، وبفل من شرهم ، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الخنان والرحمة ، وما كان أهل العناد فيهم الا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه ، وطائفة كانوا يفرون منه خوف ان يعرفوه ، ولو سمعوا لفهموا ثم لم يحمدوا بدءاً من أن يتصروه . وان الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل في بني آدم . أما اليوم فانما أشكر من قلة الفهم وضعف العقل ، واختلال نظام الادراك ، وفساد الشعور عند الخاصة ، فلا تجنبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة ، وغاية ما يطلبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، وان يوصفوا بالعلم وان لم يعقلوا ، وان تقضى حاجاتهم اذا سألوا ، وان ترفع مكاناتهم وان تنزلوا . . . »

وهذه من أجمل الصفحات التي كتبها الأستاذ الامام في النعي على قومه فساد اخلق والعناد على سماع الحق ولو كتب له أن يكتب كتاباً في حاضر المصريين لكان أجمل كتاب يصدر عن مثله .

رسم الأستاذ الامام ، وهو اللقب الذي أطلق عليه في أواخر أمره ، خطة لنفسه في الحياة منذ كان في العشر الثاني من عمره وبقي على تحقيقها لا يثنيه شيء عنها وما حاد عما رسم في الدرس والتدريس ولم يبرد غرامه بحمل النور الى العقول الى آخر ساعة ، وهذا قلا عهد في الشرق الاسلامي . ولا غرو ان اضطلع وحده بمثل مئات من أمثاله من الشايع مجتحمين ذلك لأن أكثرهم يحصلون العلم ليمشوا في الدنيا ويتولوا المناصب في الدول ، أما هو فتعلم العلم ومارسه لينفع به الناس في دينهم ودنياهم ، ويخرج من هذا الجسم النحط ناشئة قوية تفيد الاسلام والمسلمين . كان مفرداً في أمته لم ينبغ فيها مثله منذ قرون ولعل القرون تتوالى حتى يتشأ رجل فذ من عياره يستوفي شروط الامامة وتعزف قبه عن المطامع والمظاهر .

والسر في تفوقه على غيره انه كان من أول نشأته يستعمل عقله ويكره  
 الجمود والمنهجية ، ويعرف وقته ، معرفة ثابتة ويسير بما يلائمه ويسير على أمته .  
 عرف ان الشريعة مرنة تصلح لكل زمان ومكان فانتفع وتفع بهذا الرأي ،  
 وكان اذا جاءته المضلات جرد لها من عقله مخارج تخلصها بقانون الشريعة  
 وقانون العقل معاً ، فقد سئل في ذبيحة النصارى فأحبطها ، واستغنى في جواز لبس  
 القبعة فأجازها ، وسئل في ابداع المال في صناديق التوفير فأنتى به . وفي تفسيره  
 القرآن فسر أموراً غامضة لا يفهمها كل الناس وقريباً من الأذهان فأفنع غير  
 المتمتين كسألة الجن والملائكة فسرهما بما لم يسبق لمفسر على ما نظن . ومن قرأ دروس  
 تفسيره يدرك انه عالم لا كالمعلم يقول أبداً : « لا امام سوى العقل » -  
 لم يخاف الامام مالا تعيش به أسرته من بعده ، « عاش عظيمياً فقيراً ومات  
 فقيراً عظيمياً » خلد اسماً يذكر بالاعجاب والتقديس كما ذكره الذاكرون .

محمد كرد علي

\*\*\*\*\*

### جزيرة العرب

قال صلاح الدين خليل بن ابيك العفدي في الجزء الثامن والثلاثين من  
 التذكرة قلت وقد أمرني المخدم الناصري بنظم حد جزيرة العرب في شهر  
 ربيع الآخر من شهور سنة خمسين وسبعائة :

جزيرة هذه الأعراب حدث بحمد علمه للبحر باق  
 فأما الطول عند محقيقه فمن عدن الى ريف العراق  
 وساحل حجة ان سرت عرضاً لأطراف الشام على اتفاق

## بعض أسرار اللغة العربية

أو

### نصوب لهجة من اللهجات العامية

لغة العامية جوانب مختلفة من البحوث . ومن طريقها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لغتهم التي دوناها في معاجمنا فقط . بل ورثونا أيضاً بعضاً من غرائزم في توزيع الألفاظ . وتشقيق بعضها من بعض . فقلدناهم في طريقتهم هذه من دون شعور منا .

فالعرب بنابل من سلاقتهم والأوضح أن نقول بسائق من غرائزم يضعون أو يرتجلون فعلاً ثلاثياً سالمًا كفعل ( قطع ) مثلاً ثم نجدهم يضعون أو يرتجلون بواسطة تلك الغريزة فعلاً ثلاثياً غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول ( أي فعل قطع ) في اللفظ والمعنى . مشابهة قامة حيناً أو مقاربة حيناً آخر . فيقولون ( قَطَّ ) كما قالوا قطع . ومعنى ( قط ) هو معنى ( قطع ) . حذفوا لام الفعل وشدوا عينه . فلم يسر فعلاً ( قطع وقط ) في طريق الاستعمال متدبرين كفعلي ( ضرب ونصر ) مثلاً . بل متأخين متعاقبين .

وأي الفعلين المذكورين ( قطع وقط ) نطبق به العرب أولاً ؟ أو هُدوا إليه أولاً ؟ . لا بد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك شأنهم في معظم المسائل اللغوية . غير أن الأظهر أن يكون ( قطع ) هو الأصل لاعتبارات لا يسع المقام بسطها : أي أنها أن تكون ( قط ) هي المختزلة من ( قطع ) تخفيفاً أو تسهلاً أو تنادياً من طول الصيغة وامتداد الصوت بها .

وعلى غلط ( قطع وقط ) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة أسرد منها ما مر يبالي عنوا :



- ١ - ( قطع ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( قط ) .
  - ٢ - ( زلق ) : ٴ ٴ ٴ ( زل ) .
  - ٣ - ( كدح ) : ٴ ٴ ٴ ( كد ) .
  - ٤ - ( بتر ) : ٴ ٴ ٴ ( بت ) .
  - ٥ - ( زحل ) : ٴ ٴ ٴ ( زح ) .
- ( في كتب اللغة : زحل الرجل عن مكانه تنحى وزحه عن مكانه اذا نجاه عنه ) .
- ٦ - ( شخب ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( شخ ) .
- ( في كتب اللغة هما ( أي الشخب والشخ ) بمعنى واحد . ففي اللسان الشخ صوت اللبن اذا خرج من الفروع . وشخ يبوله مدّ به وصوت . وشخب اللبن وكل مائع مال وجترى عند الحلب ) :
- ٧ - ( مرق ) استطالوها فاخترلوها وقالوا ( مرّ ) .
  - ٨ - ( قمش ) ٴ ٴ ٴ ( قم ) .
- ( في كتب اللغة ( قمش ) جمع القماش من هنا وهناك . والقماش فتات الأشياء المنشورة على وجه الأرض . و ( قم ) جمع القمامة بالقمّة أي المكنة . قال الزمخشري : ( وينادي بمكة على المكائس : المقام المقام : بتشديد الميم ) .
- ٩ - ( ألحف ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( ألح ) .
  - ١٠ - ( حدّج ) : ٴ ٴ ٴ ( أحدّ ) .
- ( قال علماء اللغة ( حدّج ) يصيره اذا حدّق فيه النظر . ومنه قول بعض العقلاء ( حدّث الناس ما حدّجوك بأبصارهم ) و ( أحدّ ) اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه ) .
- ١١ - ( رمّف ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( رمّ ) .
- ( في كتب اللغة رمه اذا ألحق بعنه بعض . قال تعالى : ( كأنهم بنيان مرصوص ) ورمّف الحجارة في المسيل ضمّ بعضها الى بعض ) ومنه الرصيف .

ما مر كله في الأفعال ومثال الأسماء ( الصَّرَد : البرد ) . أرض صَرَدَ .  
يوم صَرَدَ . ( الصيرَ ) البرد . ريج صِرَ أي باردة . وكذا الشطء للنهر كالشاطى .  
وقالوا الشطء وجمعها شطوط . و ( الحِرْج ) . قالوا فيه ( الحرّ ) بتعويض راه  
من الحاء وهو الأصل كما يفهم من الصباح . قال وقد يستعمل استعمال يد  
ودم من غير تعويض . أي من غير حاء ولا تشديد .

هذا ما وسعني التمثيل به من تحويل العرب للفعل السالم الى فعل مضاعف  
اختزالاً أو تخفيفاً . ولا بد أن يصحب هذا التحويل أحياناً شيء من تغيير  
وتبديل : كأن يكون الفعل لازماً فيصبح متعدياً ( كزَحَلَ ) وزَحَّ .  
أو ثلاثياً فيصبح رباعياً ( كعَدَجَ ) وأحدَّ . أو يكون معنى الفعل عاماً فيصبح  
خاصاً كقطع وقطَّ الذي خصّره بالقطع العَرَضِي أو بقطع الشيء الصُّلب .  
وكرق وقرق فقد خصوا المروق بما كان مروره كالسهم في السرعة . وقشَّش  
وقشَّ . خصوا الأول بما جُلَّ من الفئات ولم يكن مستقذراً بينما هم يستعملون  
فعل ( قَمَّ ) فيما دقَّ من الفئات واستقذروا غالباً . كفعل ( كَنَسَ ) .

أتيت بهذا التفريق بين فعلي ( قَشَّ وقَمَّ ) من عند نفسي . لما لاحظته  
في قولم قماش البيت أي أمتعته المتفرقة فيه هنا وهناك ، وهي غير مستقدرة .  
ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش بمعنى الأثواب المنسوجة . لما أنها تصبح قماشاً  
مبعثراً في جَنَبَات البيت . وهكذا نرى العرب يحدثون بعض التغيير في بعض  
هذه الأفعال المضاعفة التي حولوها عن الفعل الثلاثي السالم .

\*  
\*\*

وننتقل الآن الى اللغة العامية او اللهجة العامية . ونذكر طريقتها في بعض  
الأفعال السالمة والمضاعفة .

قلنا آتقنا إنا ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة والفرعية المضاعفة وهي قَطَعَ وَقَطَّ وَبَتَّ وَبَتَّرَ وَكَدَحَ وَكَدَّ . وقد تكرر نطقنا بها واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرار والاستعمال الطويل طريقة أسلافنا أو غريزتهم فيما كان على مثالها من الأفعال حتى أحداث التغيير والتبديل فيها . هم قالوا زلق وكدح وقطع ثم ساقتهم غريزتهم الى استطالتها . فعدلوا عنها الى زلَّ وكدَّ وقطَّ .

هذه الغريزة نفسها انتقلت إلينا من حيث لا نشعر وجعلتنا نحن العامة نستطيع صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة فنحولها الى أفعال مضاعفة مولدة أي غير موروثه عن العرب ولا يعرفونها . طبق ما فعلوا هم حتى أحداث التغيير والتبديل فيها . استطلنا فعل ( تفل ) فاخترلناه وقلنا ( تَفَّ ) . كما قالوا هم في بتر ، بت . فعل ( تفل ) هو الفصح المبدون . أما فعل تف الذي هو بمعنى ( تفل ) تمامًا أي البصق الخفيف فدخيل مولد . ولدت الغريزة الموروثة المستقرة في طبقات قوسنا معشر العرب الخالفين . ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سليلته الى فعل ( تف ) . وإنما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالفة نطقت به واعتدت اليه بغريزتها الموروثة عن أمة العرب السالفة .

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا :

١- ( تفل ) : استطالما العامة فاخترلوا منها ( تف ) .

٢- ( بصير به ) : استطالما العامة فاخترلوا منها ( بص ) .

( تستعمل العامة بص بمعنى نظر الى الشيء ولا يوجد هذا المعنى لبص في اللغة الفصحى وإنما معناه فيها يرق ولمع . تقول نظرت في الظلمة عينًا تبص أي تلمع . ولما بصيص أي لمعان .

٣- ( قعب ) : استطالما العامة فاخترلوا منها ( قج ) .

وفعل ( قَحَّ ) قد نكون ولدناه وحاكينا به صوت السعال . على أن فعل  
( قَحَبَ ) نفسه قد يكون من محولات الصوت . أي من الأفعال التي حوكت  
فيها الصوت واستوحى لفظها منه . وهي كثيرة في اللغة كفعل ( رَنَّ ) مثلاً  
الذي قالوا أنه محول من صوته أي صوت الرنين . .

( طَمَرَ ) : استطالما العامة فاخترلوا منها ( طَمَّ ) .

وفي كتب اللغة ( طمر الشيء ) دفنه وخبأه تحت التراب . والمطامر حفر  
تحفر في الأرض تحباً فيها الحبوب . وعامتنا تقول ( طمَّ ) الشيء بالمعنى نفسه .  
ولست ( طمَّ ) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطمر . وإنما تحبى بمعنى  
غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها . وطمت الجارية  
شعرها جزءه . ومنه المطمومات . فطم الشيء بمعنى دفنه تحت التراب من لغة  
العامة وهو محول من فعل طمر الفصحى .

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرها أما مثال الاسم فممن قول العامة ( نُصِّ )  
في ( نُصِّف ) . فالأفعال الأربعة : ( نَفَّ ، وبَصَّ ، وقَحَّ ، وطمَّ ) والاسم  
الآخر أعني ( نصف ونص ) من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين الذين  
نسبهم عامة وعواماً ودرثوا غريزة أسلافهم العرب فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة  
وبالاسم ( نصف ) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفاً . واستعملوها مطمئين  
إلى حسن منيعهم واثقين من أنهم فيه إنما يحرون على مقياس قاس به أسلافهم .  
ويمكن أن نعرف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو ( نص )  
المتزلة من نصف مزية على سائر الألفاظ العامة الأخرى لما أن تولدها أشبه  
بتولد كلمات اللغة الفصحى .

فلا غرو إذا عددناها وأمثالها من الفصحى وأثبتنا لها حقاً في الحياة وتدويناً  
في المعاجم اللغوية الجديدة عملاً بالقاعدة الماثورة : ما قيس على كلام العرب  
فهو من كلام العرب .



وبما قاسته العامة على كلام العرب وتصرفت فيه تصرفهم في تحويل الفعل الصحيح الى مضاعف قولهم في ججعت النار أي اضطربت ججعت النار لكن لا بمعنى اضطربت واشتملت بل بضد هذا المعنى فهم يريدون من ججعت خمدت وتحول جبرها الى غم<sup>(١)</sup> .

ويشبه الإِثْر المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم إِثْر آخر ورثنا طريقته من العرب ولهذا الإِثْر علاقة (بالثنائية) التي يدعو اليه العلامة الأب مرمرجي : ذلك أن العرب يحتزلون من الاسم الثلاثي اسماً ثنائياً بمعنى الأول بحذف حرف منه فيقولون في (يدي) يد وفي (دمو) دم وفي (أبو) أب . ثم هم أي العرب في لغاتهم أو قبائلهم يعمدون (وكأنهم ندموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون الى هذه الثنائيات : (يد) (دم) (أب) فيشدون أو آخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها . ويقولون يد ( لغة في اليد كما في الناج ومثل له بقول الشاعر :

(فجازوهم بما فعلوا اليكم مجازاة القروم بدأ يدي)

ويقولون دم بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرك الناج) ويقولون أب بالتشديد (قال في المصباح وفي لغة قليلة تشدد الباء عوضاً عن المحذوف) .  
مكنا كان يفعل العرب . وقد أخذنا نحن العرب المتأخرين نحذو حذو أسلافنا وتقدم في طريقهم المذكورة من حيث لا نشعر . فقلنا في ( قِعة ) من الوقاحة ( قِعة ) بتشديد الحاء . وفي ( جِعة ) التي أصلها ( جِمر ) جِعة بالتشديد أيضاً كأن سليقتنا تأبى الا الثلاثية كما كانت تأبى ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألفاظ لغتهم .

وفي اللهجات العامية أسرار آخر ينبغي تتبعها ولا يحسن إغفالها .

المصري

\*\*\*

(١) جعت لهجة سورية ساحلية أما في دمشق فيقولون ججعت النار بزيادة راء .

## الخزائن العامة في استانبول

وأشهر مخطوطاتها.

### العناية بالخزائن :

عنى العرب عناية كبيرة بالتأليف والتدوين والنقل والترجمة منذ فجر حضارتهم ، وأخذوا لذلك يجمع الكتب والأصناف ، وسهلت في أعينهم الرحلات الطويلة للحصول عليها ، حتى اجتمعت لديهم خزائن كثيرة كانت تفيض بها الغرف والمقاصير حتى كانت تملؤها إلى السقوف .

وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يشاركون العلماء هذا الاحساس فأسسوا دور الكتب العامة يختلف إليها المطالعون منذ القرن الثاني للهجرة . وقد وصف ابن النديم ما كانت تحويه هذه الدور ، وفهرس بعضها ، ووصل إلينا كتابه فعرفنا عناية القوم بالجمع والحفظ ، وعرفنا غرامهم بالخزائن وعشقهم الكتب . ولم يكن العرب المغاربة في الأندلس أقل عناية من المشارقة بالكتب وارتداد الخزائن ، فكانت قرطبة تنافس بغداد ، وغرناطة تزهى بكثرة ما تملك منها في خزائنها العامة . وسرت عدوى الكتب في الأفراد قسابقوا إلى اقتنائها . واستوى في ذلك العالم الفقير والجاهل الغني . فقد كان الأغنياء والموسرون يجدون من أسباب الفخر أن يفتنوا نسخة فريدة أو كتاباً نادراً ولو أن كثيراً منهم لم يكن يفقه شيئاً من أمر الكتب والنسخ .

واقترنت القاهرة بأختها بغداد وقرطبة نضجت جانباً كبيراً من نشاطها العلمي يجمع الكتب وعمارة الخزائن ، حتى لقد ذكر المقرئى وابن خلكان عددها

في بعض الخزائن بعشرات الآلاف - ولم يكن الشام مختلفاً في هذا الميدان وإنما أنشأ المدارس ، وجعل فيها الخزائن ، وأغناها بنوادير الكتب .

ولكن هذه الخزائن جميعاً أصابها ما أصاب أصحابها من نكبات وخسائر على مدى الزمن ، فقد توالى الغارات وتتابعت الحروب ، واختلقت الدول ، فهدم ذلك من جوانب النشاط الثقافي ، وفقرت همم القوم ، وتهدم من بنيانهم ما كان عامراً ، وتفرقت من ثروتهم ما كان مخزوناً ، فقلقتوا إلى معاشهم ، واقتصروا على تدبير حياتهم ، وانصرفوا عن لذة العلم إلى النشال والكفاح ، لذلك أقوت المدارس وأقفر الخزائن ، فطمت عليها التراب والأرضة ، وعيثت بها الأيدي وتقاذفها بحب التجارة ، وأصبح أمر الكتب إلى قوامين لا يفقهون غناها ومديرين لا يعرفون عظمتها ، ففرقت شذر مذر ، وسافر بعضها بعد فتح السلطان سليم إلى الأستانة ، وحُبل بعضها الآخر بعد حملة نابوليون إلى باريس وبرلين ولندن ورومة وثينا واكسفورد ولنتفرد ولیدن وتوينكن وكوبنهاغن وإيسالا .

وربما يمت هذه المخطوطات النفيسة بدراهم معدودات ، أو أهديت كما تهدى الأثواب المزركشة والثياب المزخرفة ، فقد مات عنها جامعوها ، وقضى عنها واقفوها ، وليس للورثة علم بأمرها أو تقدير ثمنها . أما المخطوطات التي سافرت إلى أوروبا ، فقد اتخذت مكانها الجميل في عواصمها ، وخصت بها الأيدي الرحمة الشفيقة ، فعطفت عليها وأحبتها ووقفت منها موقف الميراث القومي ، فوضعتها للعلم وأعلنت لم أرقامها وأسماءها وأوصافها . وجعلتها في قصور عامرة ، متاحف فاخرة ، أو في قلب الجامعات ، فأصبحت تزهى كل حاضرة منها بما اقتنته من نوادر الجواهر وتنافس الدخائر من كتبنا العربية .

### خزائن استانبول :

أما خزائن استانبول فقد تولتها السعادة واحتضنها القنى منذ فتوحات السلطان سليم الأول ( ١٥١٢ - ١٥١٩ م ) ، واستيلاء جيوشه على الممالك المغلوبة

فجمعت خير ما فيها ، وسأقت أسلافيها الى عاصمة الملك . وقام العلماء يجمع المخطوطات العربية النادرة من عواصم العرب وحواضرهم وساقوها كذلك الى متاحف القسطنطينية وقصورها وجوامعها ومدارسها ارادة أن تصبح الأستانة قبلة العالم الاسلامي كله .

وتنافس السلاطين في اقتناء هذه النفائس وانشاء الخزائن فقام السلطان سليم والسلطان سليمان والفاتح يجمعها والعناية بها ، واتخذى بهم شيوخ الاسلام كفيض الله وولي الدين وعاشر وعارف حكمت ، وسار على خطتهم وزراؤهم مثل محمود باشا ، وأميرة كوبريلي ، وراغب باشا وعمومه حسين باشا ، وشيد علي باشا ، وحدثت حذوهم زوجات السلاطين والعلماء حتى كثرت أسماء دور الكتب ؛ وغلّ المراجع في التمييز بينها ومعرفة مكانها ، واختلفت عناوينها ، وتبدلت ساكنها ، قللت الاستفادة مما فيها ووقف كثير دون الحصول على معلومات عنها . والحق ان في هذا الخزائن أصول مخطوطات العالم العربي والنوري . وبندر أن يقع في العالم مخطوط لا أثر في خزانة من خزائن استانبول لأمه أو أصله أو مصدره أو نسخة جميلة صحيحة قديمة منه . فاذا حدث ذلك فمردّه الى ضياع كثير من هذه المخطوطات ، فقد اختلفت عليها أسباب السرقة والتلف ، وتناقلتها الأيدي المجرمة ، وأصابها العوادي والحدثان من حريق وزلازل .

ولم تقع في اللغة العربية على كتاب يهدينا الى أماكن هذه الدور وما تحويه من أسماء الخزائن المختلفة<sup>(١)</sup> نرجع اليه فيسهل علينا معرفة ما نريد في سرعة .

(١) جاء في مجلة للتبلي ج . ص ١٥٦ ان العالم أحمد زكي باشا قد كتب تقريراً بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في استانبول . ولو وصل إلينا هذا التقرير لكان من ورائه خير لنا واصلاح لما قد تخطى فيه من أسماء الخزائن وجامعها . وقد وقفنا على وصف دخوله الى طوبقوسراي في كتاب الاستاذ فيليب طرازي « خزائن الكتب العربية في الحاققين » وفيه خمس خزائن استانبول بست صنعات ٢٥١ - ٢٥٧ .



ويسر ، وبين لنا ما آلت اليه حال هذه الخزائن ، ويصف ما استقرت عليه هذه الدور ، وإدارتها وطريقة الاستفادة منها .

ولقد خيل لكثير من العلماء أن دون الوصول الى هذه المخطوطات مصاعب ومشقات ؛ مع أنها في تنظيم جميل ، ويسر كبير ، وهي مفتحة الأبواب ، انتقلت خلال الحرب الأخيرة الى مخايي أمينة في الأناضول ، كما انتقلت زميلاتها من برلين الى بيروت ، ومن لندن الى الضواحي ، ومن دار الكتب المصرية الى جبل المقطم ، ولكنها عادت كلها الى قواعدها مع سكون العاصمة وهدوء المدافع . وكانت هذه الخزائن موزعة قديماً في نيف وأربعين داراً ترتبط بوزارة الأوقاف كما هي الحال في الشام كلها . ثم ألحقت بوزارة المعارف ، وهذه رحمتها ، وجعلتها في خمسة عشر داراً ، ومنها ما جعل في قصور السلاطين والجوامع والمدارس والجامعة . وقد زارها الأب شينغو سنة ١٩٠٤<sup>(١)</sup> فقدّر عددها بثلاثين ألفاً من المخطوطات ، وأنى له أن يقف على حقيقة احصائها ، ولم تكن في ذلك الحين سهلة الاكشاف ، فقد وقف أحمد زكي باشا بعد خمسة وعشرين عاماً دون أن يستطيع الدخول الى بعضها إلا « بفرمان شاهاني » فكتب يصف طوبقيو يومئذ<sup>(٢)</sup> :

« فيها خزانتان لا تزالان الى الآن : احدهما مشعونة بنفائس الكتب والدفاتر . والثانية مرصودة لغوالي النسخات ونوادير الجواهر . فأما الأولى فكان محظوراً على الناس كلهم أن يدخلوها سوى أمير المؤمنين بجاشيته ورجال دولته في موسمين اثنين لا ثالث لهما : يوم الجلوس على العرش وليلة القدر . أما الثانية فكان فيها ولا يزال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكن الدخول لم يكن مباحاً إلا بارادة سنية » .

(١) انظر مجلة الشرق ١٠٦٤/٧ ، سنة ١٩٠٤ م .

(٢) مجلة الآثار الشرقية ٧١/٤ ، سنة ١٩٢٩ م .

ذلك ما حال دون معرفة هذه الخزائن وما ضمت وعدد ما فيها من الاسفار .  
وقد دلّ إحصاء أخير لهذه المخطوطات الشرقية سنة ١٩٥١ انها تقرب من مئة  
وعشرين الف مخطوطة .

وهذه المخطوطات لا يتسع لما مبنى واحد ، ويتعذر حشرها جميعها في مكان بعينه  
بخافة عوادي الدهر ومصائب الحروب . ولولا ذلك لكان من الخير أن تجمع  
المخطوطات العربية كلها في بناية واحدة وتوزع على أنواع العلوم فتجمع كتب  
التاريخ من الخزائن كلها في جناح واحد ، وترتب دواوين الشعر وكتب الأدب  
في جناح آخر ، وتجعل مراجع الفقه والسنن في جناح ثالث وهكذا . ولكن  
فقر الأتراك بالرجال المنيين بالعربية وقلة من يهتمون بالوقوف على مخطوطاتها  
دعا المفهرسين الى أن يعملوا في حذر وبطء . ولا تظهر نتائج جهودهم الا في  
سنوات بعيدة إذا لم يعمل علماء العرب جنباً الى جنب في الافصاح عن هذه  
الكنوز والكشف عن مزايا هذه الخرائد .

### فهارس الخزائن :

وما يزال الباحثون يعتمدون على الفهارس القديمة التي طبعتها نظارة المعارف  
بين سنة ١٣٠٠ - ١٣١٢ هـ في أربعين جزءاً ونيفاً ، بتناوين تركية وتعليقات  
بالتركية ومقدمات موجزة جداً . فجاءت في هذه الدفاتر عناوين الكتب  
مشفوعة بذكر الأجزاء وأسماء المؤلفين على شكل قوائم . وذكر في الملاحظات  
ما للخلاف من زخرفة وما في الصحف من مداد . فهي جرائد لاحصاء ما في  
هذه الخزائن . وقد تجاوز في السطور والصفحات ذكر الكتب المخطوطة والمطبوعة ،  
واختلطت اللغات التركية والفارسية والعربية فلم تفرد فيها لغة عن لغة ومخطوط  
عن مطبوع مما يجعل الرجوع اليها عقيماً . وليس هذا فقط فقد أصابها تصحيف  
وتحريف يعتمى على الباحث سبيل الاهتداء الى الصحيح . ويبدو أن من منع

هذه الدفاتر بمن لم يقفوا على أسرار هذه الصناعة ولم يتقنوا العربية ومصادرهما  
 اقتاناً بقرينهم من الصواب . وقد سجل المهرسون في سجلاتهم ما شاهدوه على  
 ظهر المخطوطات من عناوين وأسماء ، بل نقلوا غالباً عن الورقة الأولى ما يحويه  
 الكتاب من عنوان كتب يد متأخرة أو جاهلة فارتكبوا بذلك خطأ فادحاً .  
 وقد يكون على الورقة ما ليس في الكتاب ، فيقع في الشر ما يحل التاريخ ،  
 ويقع في الفقه ما مكانه الأدب ، تاجيك بما أصاب الأسماء من أخطاء  
 مطبعية فاحشة .

وهذه القبارس على ضمتها وخطتها قائمة أشد النفع فهي وحدها عمادنا في  
 معرفة محتويات الخزائن ، وهي وحدها كانت عوناً للعالم الكبير كارل بروكين  
 في تاريخه عن الأدب العربي ؛ ففيها صواب كثير وخطأ لا بد منه ؛ ويحسن بنا  
 أن نحتاط في قراءتها حتى تتم قهراسها العلمية .

قام عدد من علماء المشرقيات بزيارة هذه الخزائن فبالتهم كثرة الأخطاء  
 وشدة التعسف في القبارس ونزلوا استانبول ، وعاشوا على مقربة من هذه الكتب ،  
 ووقفوا أجمل أيامهم على تصفحها وقراءتها ووصفها . فأرادوا أن يعملوا لها ما عمل  
 زملاؤهم خزائن أوربا وحواضرها كبرلين ولندن وباريز ومدريد وتوينينغ ولندن  
 ورومة وكوبنهاغ ، يذكرون عدد الأوراق والسطور ، ويرسمون الأبعاد والحجوم ،  
 ويسجلون فرائح النسخ وخواتمها ثم يصفون النسخة وما تقلب عليها ؛ ويقرئون  
 أحياناً بينها وبين أخواتها من خزائن العالم .

وأكثر هؤلاء الباحثين فيما نعلم جاءوا من ألمانيا مدرسين ومعلمين فاهتموا  
 بهذه النوادر والفرائد ، وكتبوا تاج دراساتهم وبحوثهم في مجلات أوربا وصحفها  
 بلفتهم ، ونشروها منذ خمسين عاماً وما يزالون ينشرون إلى اليوم في هذه المجلات  
 ملاحظاتهم ودراساتهم لهذه المخطوطات .

ويصح أن تعتبر محاولاتهم نواة لفهرس عام عليّ منظم ، وإذا ما جمع بعضها الى بعض - كوّنت جزءاً مهماً من فهرس المخطوطات التي لم توصف الى اليوم . وهذا ما صنعناه ، فقد جمعنا مقالات هؤلاء العلماء من صحف مختلفة ، بعضها قديم نادر ، ومنها ما طبع خلال الحرب فأصبح نادراً . واستقمينا ما ظهر في هذه الخزائن فجاءت في سقر غير صغير ، حاولنا أن نظهر عليه قراء العربية ، وأن نشرك العلماء في السرور بهذه المعرفة ، وبخاصة من لا تصل يده الى هذه الصحف ، أو من يقف دون جمعها وفهمها وتفقد همته دون ترجمتها .

وأرى من الواجب هنا ترجمة الشاء الكريم على المستشرق الأستاذ O. Rescher فقد تفضل ودفع اليّنا نسخه الخاصة التي اقتطعها من الصحف القديمة ورجانا في تواضع عليّ أن لا يذكر عليّ منحه هذه ، ولكنا نأبي إلا أن نعلن فضل العالم على المتعلم والمحسن الى السائل .

ومنضم بحوث الأستاذ رشر الى مقالات غيره من المشتغلين بالمشريات في وصف المخطوطات العربية ، ثم نذيل ذلك بما وقفنا عليه من مخطوطات استانبول نصفها كما وصف المتشققون أخواتها . وقبل أن نشرع في الترجمة نحب أن نصف حال هذه الدور ومواقعها من استانبول كما رأيناها منذ شهور ، ونذكر عدد مخطوطاتها وما تحويه من خزائن اجتمعت فيها ، معتمدين في ذلك على ما نشره الأستاذ يوسف شاخت Joseph Schacht في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٢<sup>(١)</sup> من قوائم الخزائن كما رآها لذلك الزمن ؛ نأملين عن الأستاذ مظفر گوكن M. Gökman<sup>(٢)</sup> مدير خزانة بيازيد العمومية جداول الخزائن واحصاء

(1) Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete, Leipzig. 1927 Bd V, 288—293; Bd. VIII, 120—121.

(2) Istanbul Kütübhaneleri Rehberi, M. Gökman, Bayazit Umumi Kütüphanesi Müdürü, İstanbul 1951. 28 pages



المخطوطات في كل منها • فهو خير في الموضوع • وعارف بجيراته مديري  
الخزائن وما عندهم من كنوز •

### مواقع الخزائن في استانبول

تقع جل الخزائن في القسم الغربي من استانبول أي في النصف الأوربي  
من القارة ، وتحتل الأماكن القديمة التاريخية كقصور السلاطين والجوامع  
الأثرية والمدارس • وكأنها تمتد من طرف البحر شرقاً إلى داخل المدينة غرباً ؛  
لذلك ننعمد إلى وصفها متابعين سيرنا من الشرق إلى الغرب ؛ في إيجاز يضطرنا  
إليه ضيق المجال • ولكنا لن نقفل عن الإشارة إلى محتوياتها وغناها حين  
نصف المخطوطات •

١ - طوبه پوسراي : تحتل هذه الخزانة أحد الأبنية الفخمة من سراي  
طوبه پو الشهير ، وقد حوَّله الدولة إلى متحف أثري ؛ فخصت بمخلفات  
السلطان أحمد الثالث وبنّاد كوشكي وأمانت وغيرها ؛ وعدد المخطوطات الشرقية  
فيها يزيد على سبعة عشر ألف مخطوطة وهي لم تفهرس إلى اليوم في « دفاتر »  
مطبوعة شأن غيرها لأنها كانت محرمة على الجمهور • ولكن السجلات الخطية  
معروضة يرجع إليها الباحث اليوم في معرفة الأرقام والأجزاء ؛ وهي تابعة لمدير  
المتحف ؛ وفيها خزنة ومناولون ، وتقع في مكان جميل في قلب الحدائق يمتاز إليها  
المطالع مسافة غير قليلة تحت الأشجار في عشي تجري طرقته سنايك الخيول  
وعربات السلاطين وشهد المجد والحكم •

٢ - أياصوفيا : وهي تقع على مسافة قريبة من الأولى ، في جامع أياصوفيا  
وهو اليوم متحف أيضاً شهد القدم والمظمة • والخزانة في قلب الجامع إلى أقصى  
اليمن في غرف محاطة بسياج وأبواب من حديد • وهي تحوي ما يقرب من  
نحو آلاف مخطوط ؛ لها فهرس مطبوع ومدير وخازنان يقومون بخدمة المطالع

وفيه مجموعة غنية من الكتب القديمة راثية التجليد مزخرفة موشاة ، كتبت أكثرها بأقلام مؤلفيها ، وهي من مختلفات السلطان محمود الثاني والسلطان الفاتح وغيرهما .

٣- كوبريلي : وتقع على مسافة غير بعيدة ، قد جعلت في مدرسة صغيرة تشرف على الشارع العام ، خلفتها أسرة كوبريلي ومحمد عاصم بك والسلطان احمد . وتبلغ عدد نسخها قرابة ( ٢٥٠٠ ) مخطوطة . ولها فهرس مطبوع ، وقاعة للمراجعة يحجب بينها وبين جدران الخزانة فاصل خشبي ، ولها خازن ومناول ، وفيها كتب قديمة نادرة

٤- نور عثمانية : وتقع في الطرف الأيمن المقابل يصل بينهما شارع غير طويل . وهي في إحدى غرف جامع نور عثمانية أنشأها السلطان عثمان الثالث سنة ١٢٥٥ م ، وفيها مخطوطات السلطان محمود الأول ، ويبلغ عدد ما فيها قرابة خمسة آلاف مخطوطة ولها خازن يقوم برعايتها وفهرس مطبوع قديم .

٥- ييازيد : وهي إلى الطرف الأيمن من ساحة ييازيد قبالة باب جامعة استانبول ، وتسمى المكتبة العمومية ، وفيها قرابة ثمانية آلاف مخطوطة ، يرتادها المطالعون والطلبة لقربها من الجامعة ، يقرءون فيها كتبهم ويراجعون دروسهم ، وهي منظمة على طراز حديث ، تحجز فيها الأماكن ، وتتوفر فيها الفهارس على جزازات عالية وهي في ذلك شبيهة بجامعات الغرب . ويقوم على إدارتها عالم متخصص هو الأستاذ مظفر گوكن M. gökman ، وبعاونه في مهمته عدد غير قليل من خزنة وموظفين .

٦- ولي الدين : إلى الطرف الأيمن من جامع ييازيد بجوار المكتبة العمومية السابقة . وهي في غرفة متواضعة يزيد ما فيها على ثلاثة آلاف مخطوطة أكثرها

قديم وتقيس ولها خازن يقوم عليها ، وفيها خزانة شيخ الاسلام ولي الدين وجودة باشا وغيرهما .

٧ - جامعة استانبول : وهي خزانة حديثة في بناء مستقل يفصله عن الجامعة وقاعاتها شارع ضيق . وفي هذه الخزانة سبعة عشر ألف مخطوطة كلها مفعمة على جزازات لم يطبع منها إلا الجزء الأول فقط في المصاحف والقراءات<sup>(١)</sup> نشره مدير الخزانة العام الأستاذ فهدى آدم قرطاي ؛ وتحوي نقائس من مخطوطاتنا وفرائد من كتبنا بعضها حديث وأكثرها قديم نادر . ويقوم في البناء نفسه المعهد الشرقي لكلية الآداب بجامعة استانبول ويرأسه الأستاذ احمد آتش Ahmed Ates ، وهو يعنى بنشر الكتب القديمة والمخطوطات النافعة .

٨ - سليمانية : الى مقربة من خزانة الجامعة ، يفصل بينها وبين جامع السلمانية الشير شارع عريض . وهي في مدرسة جميلة تجمت فيها خزائن غنية تعد من أغنى خزائن استانبول وأعظمها ، وفيها أربع وعشرون خزانة قديمة ، يزيد عدد ما فيها على إحدى وثلاثين ألف مخطوطة فهي أهم خزائن تركيا . ولا أكثر خزائنها فهارس مطبوعة ، وفيها قاعة صغيرة للمطالعة وموظفون يعملون ليل نهار في فهرسة المخطوطات على أسلوب علمي حديث يعاونهم في ذلك الأستاذ O. Rescher . ويرأسها الدكتور مصطفى كويمن Dr. Mustafa Köymen وفي هذه الخزانة أكبر آلة لتصوير المخطوطات .

٩ - عاطف افندي : وتقع خلف السلمانية بنحدر اليها الزائر في أزقة خيعة ، وهي في مدرسة صغيرة لطيفة تحوي ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط يديرها خازن ومناول ؛ وكتبها من مخلفات الدكتور دار عاطف افندي ، وفيها نقائس وفرائد .

(١) Istanbul üniversitesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Katalogu, Fehmi Edhem Karalay, İstanbul 1951, 136 pages.

١٠- فاتح : تقع في الشمال الغربي من المدينة تجاور جامع الفاتح المشهور .  
وفيها ما يقرب من ستة آلاف مخطوط ، من مخططات السلطان الفاتح وعمود الثاني ،  
وفيها مدير وخازنان وغرفة خيطة للمطالعة .

١١- ملت : تقع غير بعيد عن الفاتح : فيها ما يزيد على عشرة آلاف  
مخطوط ، تحوي أشهر الخزائن كفيض الله افندي وولي الدين جارا الله : پرتو باشا  
وعلي أميرى افندي وحكيم أوغلي علي باشا ، وأكثرها لم ينشر في فهارس مطبوعة ،  
وانما وضع على جزازات وأصححة حسنة . ولها قاعة للمطالعة ومدير وخازن .

١٢- مراد ملا : جعلت على مقربة من ملت ، وفيها من مخططات السلطان  
عبد الحميد الأول وبعض شيوخ الاسلام نقائس الكتب ونوادرها ما يقرب عدده  
من خمسة آلاف مخطوطة . وفيها من يقوم بالفهرسة وخدمة الباحثين .

١٣- راغب باشا : غربي ييازيد على الشارع العام في بناية لالهلي أسسها  
الوزير راغب باشا سنة ١٢٦١ م . وهي تحوي ما يقرب من ألفي مخطوطة  
أكثرها مفهرس معلوم .

\*\*\*

ويسود في هذه الخزائن الهدوء والنظام وتبدو فيها النظافة والعناية ، ويرتادها  
الطلبة الدارسون لا يجدون غيرها لمراجعة بحوثهم . وقلما تقع فيها على باحث عن  
المخطوطات العربية لبعدها عن هذه اللغة ، وعزوفهم عن مباحثها ، وقلة تعلقهم  
بمضايها . فالمستعربون قلة في هذه الربوع ما نكاد نعرف من أساتذهم فيها  
إلا الأستاذ مكرم بن خليل والأستاذ فؤاد سوزكين والأستاذ أحمد آتش ، وقد  
تفضل هذا الأخير فراقتنا في أكثر هذه الرحلة فله علينا اليد البيضاء الواهمة .  
بقي من هذه الخزائن العامة اثنتان هما خزانة سليم آغا بأيوب ، وخسرو باشا  
بأسكدار ، لم نستطع لنقص الوقت قراءة ما فيها ومطالعة نقائسها . وعذرنا في  
هذا التقصير أن الطريق - كما ذكرنا - لم تعبد قبلنا في وصف هذه الخزائن بأسباب .



وكل ما نعرف عن هذه الخزائن مختارات وقوائم قام بنشرها وإعلانها في الجمهور العربي أستاذنا الرئيس محمد كرد علي وشيوخنا في هذا الباب أحمد تيمور باشا والشيخ طاهر الجزائري وأحمد زكي باشا ؛ قرأناها في مجلات الهلال والمقتبس ومجلة المجمع العلمي العربي . وهي نوادر وفرائد جدا لو قام المخلصون من شبابنا في العمل لها والسعي لنشرها نشرًا علميًا صحيحًا في مقدمات نافعة وفهارس واسعة وتعليقات وافية تميد إلى الأحفاد كنوز الأجداد ويكون من آثار الخلف ما يقف لأثار السلف ، ويعود للغة العربية سالف مجدها وقديم عزتها فتستعيد مكانتها ويكتب لها البقاء والخلود .

ومستبسط في الجداول الآتية تفصيلًا لا أجمنا ، وتوضيحًا لا أوجزنا فنعمل في الجدول الأول قائمة بالدور الموجودة وإلى جانبها ما تحويه من خزائن ، مع ذكر عدد المخطوطات التي تحويها كل منها .

وفي الجدول الثاني رتبنا الخزائن الصغيرة على حروف الألفباء يرجع إليها المطالع ليعرف مكان وجودها من الدور العامة اليوم .

وجعلنا في الجدول الثالث قائمة الفهارس المنشورة حتى الآن ، أمل القارئ يعود إليها في معرفة ما يطلبه من مخطوطات ، ليقف على ما بقي منها طي الجزازات من غير فهرس منشور أو دفتر مطبوع .

وقد أغفلنا ذكر الخزائن التي تحوي مخطوطات شرقية وتندر فيها المخطوطات العربية الهامة وهي خزانة البلدية وخزانة التركيات وخزانة المتحف ؛ كما ضربنا صنفًا عن الخزائن التي تحوي المطبوعات فقط .

وبعد انتهاء هذه الجداول نشرع في التعريف بالمخطوطات كما وصفها المستعربون من علماء المشرقيات خدمة للدارس الباحث . والله من وراء القصد .

المجلد الأول :

خزائن استانبول وعدد مخطوطاتها

(مرتبة على حروف الألفباء)

عدد المخطوطات	أ - أياصوفيا <sup>(١)</sup> :
٤٨٦٣	(١) خزانة السلطان محمود
١١٣	(٢) سعد الدين المبتقى
٢٢	(٣) لواقف مجهول
	ب - بيازيد (عمومية) <sup>(٢)</sup> :
٦٧٨٧	(٤) من واقفين مختلفين
	(٥) حكيم اوغلي وادريس باشا
	(٦) عمر اندي (رئيس الأطباء)
	(٧) الطرايزوني (حين اندي)
	(٨) مناستري (اسماعيل حني)
	(٩) نامق بك ويزمي عالم سلطان
	(١٠) ثابت بك
	(١١) وزارة المعارف
	(١٢) محمد أشرف
٦٠	(١٣) حسن فهمي باشا
١٧	(١٤) لطفي بك
٥٠	(١٥) محمد ذهني أندي
٥٣	(١٦) توفيق باشا

(١) عنوانها : Sultanahmed, Ayasofya Müzesi

(٢) عنوانها : Beyazit Imaret cad. No 21

## عدد المخطوطات

١٣٠	(١٢) عارف بك المنزوي
٣١	(١٨) حافظ داود باشا
١٦	(١٩) علي حيدر أفندي
١٧	(٢٠) سليمان توفيق
٩١	(٢١) خليل شريف باشا
٢٩	(٢٢) چركس (شيخ توفيق)
١٣	(٢٣) ترناوه لي (محمد)
١٩	(٢٤) عبد النافع أفندي
٤٨٣	(٢٥) قره مصطفى باشا
٤	(٢٦) ذهني باشا
١٠	(٢٧) اسماعيل فني ارطغرل

ج - جامعة استانبول <sup>(١)</sup> :

(٢٨) مختلفة (ييلديز، خالص، صاحب ملا) ١٧٧٤٨

د - خسرو باشا <sup>(٢)</sup> :

٤٩٨	(٢٩) خسرو باشا
٢٠٠	(٣٠) بشير آغا
١٩٢	(٣١) جامع أيوب
٤٤٣	(٣٢) مهر شاه سلطان
٤٣٨	(٣٣) اسميخان سلطان
٦٠	(٣٤) حسن حسني باشا

(١) عنوانها : Bayazit Süleymanîe cad.

(٢) عنوانها : Eyüp Bostan İskelesi No ٦

عدد المخطوطات٨ - راغب باشا (١) :

١٥٠٣	(٣٥) راغب باشا
٣٥٥	(٣٦) توفيق يحيى (مدرسة)
٧٠	(٣٧) مصلى (مدرسة)
٥٩	(٣٨) بكى مدرسة

٩ - سليم آغا (٢) :

١٢٣٩	(٣٩) حاج سليم آغا
٧٥٠	(٤٠) مدائي افندي
١٠١	(٤١) هاشم باشا
٦٩٥	(٤٢) كانكش أمير خوجه
٣٠	(٤٣) يعقوب آغا
٩	(٤٤) حسين كاظم
١٥٧	(٤٥) نورني سلطان
١٠١	(٤٦) گولنش والده سلطان

ز - سليمان (٣) :

١٠٣٩	(٤٧) سليمان
٤٥٦	(٤٨) عموجه حسين باشا
٤٧	(٤٩) نظيف افندي
٤٧١	(٥٠) عاشر افندي (شيخ الاسلام)

(١) عنوانها : Laleli Ordu Cad. No 225

(٢) عنوانها : ũskũdar attamatasi Cad. No 21

(٣) عنوانها : Elmaruf Mah Ayse Kadin Sok. No 35



عدد المخطوطات

١٢٣٩	(٥١) مصطفى افندي
٤٢٥	(٥٢) حفيد افندي
١٥٥٧	(٥٣) بغدادلي وهي
٥٩٤	(٥٤) بشير آغا
٣٨٣	(٥٥) عبد الله چلي
١٤٢٦	(٥٦) چورليلي علي باشا
١١٥٢	(٥٧) داماد ابراهيم باشا
٢٦٧	(٥٨) دوكللي بابا
٣٧٣٥	(٥٩) اسعد افندي
٦٩	(٦٠) گولنش سلطان
٣٦	(٦١) حافظ احمد باشا
٨٢٤	(٦٢) حالت افندي
٣٦٣	(٦٣) قره چلي حاتم الدين
١٨٠	(٦٤) أزميرلي اسماعيل حقي
١٠٣٠	(٦٥) قليج علي باشا
٣٨١٠	(٦٦) لاللي
٢٦٠٠	(٦٧) محمود افندي
٣٧٧	(٦٨) محمود باشا
٦٠	(٦٩) أزميرلي مصطفى افندي
١٦٣	(٧٠) رستم باشا
٣٧٢	(٧١) يوسف آغا
١٦٦	(٧٢) جامع محمد آغا

## عدد المخطوطات

۵۶۹	(۷۳) قاضي زاده محمد أفندي
۱۱۳	(۷۴) مسيح باشا
۱۵۱۸	(۷۵) تافذ باشا
۳۳۵	(۷۶) پرتو نبال
۱۰۱	(۷۷) صاحبة خانم
۱۷	(۷۸) خوجه سيد
۱۰۰۸	(۷۹) سراز
۲۵۰	(۸۰) سرويلي
۲۸۷۰	(۸۱) شهيد علي باشا
۱۲۰	(۸۲) شاه زاده
۷۰	(۸۳) والدة سلطان
۱۱۹۷	(۸۴) يكي جامع
۳۳۶	(۸۵) ترخان سلطان
۱۴۳	(۸۶) زمدي بك
ح - طوپقپوسراي <sup>(۱)</sup> :	
۲۰۱۸	(۸۷) روان كوشكي
۲۰۲۲	(۸۸) خزينة
۴۶۹	(۸۹) بغداد كوشكي
۵۶۶	(۹۰) مدينة
۳۱۶۰	(۹۱) امانت

عدد المخطوطات

٢٠٧٠	(٩٢) قوغوشلو
٤٧٦٢	(٩٣) احمد الثالث
٢٥٠٩	(٩٤) من خزائن مختلفة
ط - عاطف اندي <sup>(١)</sup> :	
٢٦٨١	(٩٥) الدفتردار عاطف اندي
ي - فاتح <sup>(٢)</sup> :	
٥١٥٢	(٩٦) فاتح (جامع)
٤٠٢	(٩٧) حافظ كتب ابراهيم
٢٨٩	(٩٨) ترناوه لي محمد
ك - كوپريلي <sup>(٣)</sup> :	
١٦٠٨	(٩٩) كوپريلي محمد باشا
٣٨١	(١٠٠) فاضل احمد باشا
٥٥٦	(١٠١) محمد عاصم بك
١٠٧	(١٠٢) جامع سلطان احمد
ل - مراد ملا <sup>(٤)</sup> :	
١٨٤٥	(١٠٣) مراد ملا
٩٤	(١٠٤) محمد عارف

(١) عنوانها : Sehzadebasi, Vefa Cad. No 44

(٢) عنوانها : Fatih Kirmasti Mh. Cami

(٣) عنوانها : Divanyolu Cad.

(٤) عنوانها : Fatih, çarsamba. Murat molla Cad. 14

## عدد المخطوطات

١٥٠٢ (١٠٥) حميدية

٧٥٦ (١٠٦) لالا اسماعيل افندي

١٠٥ (١٠٧) حافظ مراد

٣٩ (١٠٨) غاليليلي طاهر

٤٩٣ (١٠٩) دار المتوى مراد

م - ملت<sup>(١)</sup> :

٢١٩٨ (١١٠) فيض الله افندي

١١٧٨ (١١١) رشيد افندي

٢١٢٩ (١١٢) ولي الدين جارا الله

٦٨٧ (١١٣) پرتو باشا

٣٣٧١ (١١٤) علي اميري افندي

٩٤٧ (١١٥) حكيم اوغلي علي باشا

ن - نور عثمانية<sup>(٢)</sup> :

٢٩٤٨ (١١٦) نور عثمانية ( محمود وبيرام باشا )

س - ولي الدين<sup>(٣)</sup> :

٣٢٣١ (١١٧) ولي الدين افندي

٨٤ (١١٨) جودة باشا

٦٦ (١١٩) خالد بك

٢٥ (١٢٠) علي رضا افندي

\* \* \*

(١) عنوانها : Fatih Macar Kardaslar.No 85

(٢) عنوانها : Nuruosmaniye Camii avlusu

(٣) عنوانها : Bayazid Camii



المجلد الثاني :

## الخزائن الخطية وأماكن وجودها اليوم

(مرتبة على حروف الألفباء)

<u>اسم الخزانة قديماً</u>	<u>موقع الخزانة الآن</u>
---------------------------	--------------------------

(١)

ابراهيم حافظ كتب	—	فائع
ابراهيم حتي باشا	—	جامعة استانبول
احسان افندي	—	سليم آغا
احمد الثالث	—	طوبقيو
ادريس باشا	—	يازيد (عمومية)
ازميرلي اسماعيل حتي	—	سلجانية
ازميرلي مصطفى افندي	—	=
اسعد افندي	—	=
اسعد بك (دكتور)	—	=
اسماعيل آغا	—	=
اسماعيل حتي بك	—	يازيد (عمومية)
اسماعيل فني أرطغرل	—	=
اسميخان سلطان	—	خسرو باشا
أمانت (خزينة)	—	طوبقيو
أمير خوجه كانكش	—	سليم آغا
أياصوفيا	—	أياصوفيا
أيوب (جامع)	—	خسرو باشا
أيوب (سلطان)	—	=

اسم الخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
(ب)	
پرتو باشا	— ملّت
پرتو نیال	— سلجانیة
بزمی عالم سلطان	— یازید (عمومیة)
بشیر آغا	— خسرو باشا
بشیر آغا	— سلجانیة
بغداد کوشکی	— طوپقبو سراي
بیرام باشا	— نور عثمانیة
(ت)	
ترخان سلطان	— سلجانیة
ترناوہ لی (محمد افندی)	— فاتح
توفیق باشا	— یازید (عمومیة)
توفیق بک	— " "
توفیق یحیی (مدرسة)	— راغب باشا
(ث)	
ثابت بک	— یازید (عمومیة)
(ج)	
چلی عبد الله	— سلجانیة
جودة باشا	— ولی الدین
چورلی علی باشا	— سلجانیة

اسم الخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
(ح)	
حافظ أحمد باشا	— سلجانية
حافظ داود باشا	— يازيد (عمومية)
حالت افندي	— سلجانية
حام الدين قره چلي	— ء
حسن حنّي باشا	— خسرو باشا
حسن فهمي باشا	— يازيد (عمومية)
حسين الطرايزوني	— ء ء
حسين كاظم بك	— سليم آغا
حنيد افندي	— سلجانية
حكيم أوغلي	— يازيد (عمومية)
حكيم أوغلي علي باشا	— ملّت
حميدية	— مراد ملاّ
حيدر	— سليم آغا
(خ)	
خالد بك	— ولي الدين
خالص افندي	— جامعة استانبول
خسرو باشا	— خسرو باشا
خليل شريف باشا	— يازيد (عمومية)
خوجه سيّد	— مراد ملاّ
(د)	
دار المشوي شيخ مراد	— مراد ملاّ

اسم اخوانه قديماً	موقع اخوانه الآن
داماد ابراهيم باشا	— سلجانية
ديوركلي سليم	— " "
دوكلي بابا	— " "
	( ز )
ذهني باشا	— يازيد (عمومية)
	( ر )
راغب باشا	— راغب باشا
رستم باشا	— سلجانية
رشيد أفندي	— ملّت
رضا باشا	— جامعة استانبول
روان كوشكي	— طوبقير مزاي
	( ز )
زهدي بك	— سلجانية
	( مس )
مراز	— سلجانية
مرويلي	—
سعد الدين مبتقي	— أياصوفيا
سلطان أحمد (جامع)	— كوپريلي
سليم آغا (حاج)	— سليم آغا
سليمان توفيق بك	— يازيد (عمومية)
	م (٤)



اسم الخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
سليمان سرتي أفندي	— سليمان
سليمانية	—
(ش)	
شاه زاده	— سليمان
شهيد علي باشا	—
شيخ مراد	— مراد ملا
(ص)	
صاحب ملا	— جامعة استانبول
صالحة خاتون	— سليمان
(ط)	
طاهر أفندي (غاليولي)	— مراد ملا
طيفور آغا	— فاتح جامعي
(ع)	
عارف بك	— يازيد (عمومية)
عارف بك المتزوي	—
عاشر أفندي (شيخ الاسلام)	— سليمان
عاطف أفندي (الدقردار)	— عاطف أفندي
عبد النافع أفندي	— يازيد (عمومية)
عثمان آغا	— سليمان
علي اميري أفندي	— ملت
علي باشا شهيد	— سليمان

اسم اخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
-------------------	-------------------

علي حيدر أفندي	— يازيد (عمومية)
----------------	------------------

علي رضا أفندي	— ولي الدين
---------------	-------------

عمر أفندي (رئيس الأطباء)	— يازيد (عمومية)
--------------------------	------------------

عموجه حسين باشا	— سلجانية
-----------------	-----------

## (ف)

فاتح	— فاتح (جامع)
------	---------------

فاصل أحمد باشا	— كوپريلي
----------------	-----------

فوزي باشا	— سلجانية
-----------	-----------

فيض الله أفندي	— ملّت
----------------	--------

فيض الله أفندي	— مراد ملاّ
----------------	-------------

## (ق)

قاضي زاده محمد	— سلجانية
----------------	-----------

قره مصطفى باشا	— يازيد (عمومية)
----------------	------------------

قليج علي باشا	— سلجانية
---------------	-----------

قوغوشلر	— طوپقپومسراي
---------	---------------

قيوجي مراد باشا	— سلجانية
-----------------	-----------

## (ك)

كانكش أمير خوجه	— سليم آغا
-----------------	------------

كوپريلي محمد باشا	— كوپريلي
-------------------	-----------

گولنش سلطان	— سلجانية
-------------	-----------

گولنش والدّة سلطان	— سليم آغا
--------------------	------------

اسم الخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
--------------------	-------------------

## ( ل )

لالا اسماعيل أندي	—	مراد ملا
لاله لي	—	سليمانية
لطفي بك	—	بيازيد (عمومية)

## ( م )

محمد أشرف بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد آغا (جامع)	—	سليمانية
محمد ترناوه لي	—	بيازيد (عمومية)
محمد خميس	—	طوبقو مراري
محمد ذهني بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد عارف أندي	—	مراد ملا
محمد عامر بك	—	كوپريل
محمد قاضي زاده	—	سليمانية
محمد وجيه باشا	—	مراد ملا
عمود أندي	—	سليمانية
عمود باشا (مدرسة)	—	ء
مدينة	—	طوبقو مراري
مراد حافظ	—	مراد ملا
مراد ملا (قاضي مكر)	—	ء ء
مسيح باشا	—	سليمانية
مصطفى أندي (رئيس الكتاب)	—	ء
معلي (مدرسة)	—	راغب باشا
معارف (وزارة)	—	بيازيد (عمومية)

اسم الخزانة قديماً	موقع الخزائنة الآن
مهرشاه سلطان	— خسرو باشا
	(ع)
نافذ باشا	— سلجانية
نامق بك	— يازيد (عمومية)
نظيف أفندي	— سلجانية
نور بتي سلطان	— سليم آغا
نور عثمانية	— نور عثمانية
	(ف)
هاشم باشا	— سليم آغا
هدائي أفندي	— " "
	(و)
والدة سلطان	— سلجانية
ولي الدين أفندي	— ولي الدين
ولي الدين جارا الله	— ملئت
ومي أفندي بغدادلي	— سلجانية
	(ي)
محيي أفندي	— سلجانية
يعقوب آغا	— سليم آغا
يكي جامع	— سلجانية
يكي كتيبخانة	— طوبقوسراي
يكي مدرسة	— راغب باشا
يوسف آغا	— سلجانية
ييلدينز	— جامعة. استانبول



المجمول الثالث :

## الفهارس المطبوعة لخزائن استانبول العامة

(مرتبة على حروف الهجاء)

سنة الطبع	تاريخ تأسيس الخزانة	اسم الخزانة (١)
—	١٢٦٢	١ — اسعد أفندي
١٣١٠	٩٠٩	٢ — أسميخان
١٣٠٠	١١٣٥	٣ — أمير خوجه كاتكش
١٣٠٤	١٢٥٠	٤ — أياصوفيا
١٣١١	—	٥ — أيوب (جامع)
١٣٠٣	١١٥٥	٦ — بشير آغا (باب عالي)
١٣١٠	—	٧ — بشير آغا (أيوب)
١٣٠٤	—	٨ — يازيد
١٣١١	—	٩ — چلي عبدالله أفندي
١٣٠٣	١١٢٠	١٠ — چورلي علي باشا
١٣١٢	١٢٤٤	١١ — حات أفندي
١٣١١	١١٤٥	١٢ — حكيم أوغلي علي باشا
١٣٠٠	—	١٣ — حميدة
١٣١٢	—	١٤ — خالد أفندي
—	١٢٥٥	١٥ — خسرو باشا
١٣١٢	—	١٦ — داماد ابراهيم باشا
١٣١١	١١٨٩	١٧ — داماد زاده قاضيصكر مراد

(١) نشرت هذه الفهارس بعنوان تركي وتلميقات تركية كما قلنا ، واكتفينا  
 هنا بذكر اسم الخزانة قديماً كما على النلاف مع ترك الاضافات التركية ، تقريباً  
 لأزمان قراء العربية ، والتواريخ للذكورة هي بالهجيرية .

سامي الدعان		
اسم الخزانة	تاريخ تأسيس الخزانة	سنة الطبع
١٨ - دوكلي بابا	—	١٣١٠
١٩ - راغب باشا	١١٥٥	١٣١٠
٢٠ - سرويلي	—	١٣١١
٢١ - سليم آغا	١١٩٧	١٣١٠
٢٢ - سليمانة	١٢٨٠	١٣١٠
٢٣ - سليمانة	١٢٢١	١٣١١
٢٤ - عاشر أفندي	١١٥٤	١٣٠٦
٢٥ - عاطف أفندي	١١٥٤	١٣١٠
٢٦ - عموجه حسين باشا	١١٦٨	١٣١٠
٢٧ - عمومية	—	—
٢٨ - فاتح	١١٥٥	—
٢٩ - فيض الله أفندي وشيخ مراد	—	١٣١٠
٣٠ - قره چلي زاده حسام الدين	—	١٣٠٠
٣١ - قره مصطفى ومصلح وحكيم أودغلي وقبوجي	—	١٣١٠
٣٢ - قليج علي باشا	—	١٣١١
٣٣ - كوبرلي زاده محمد باشا	—	—
٣٤ - لالهلي	١٢١٧	١٣١١
٣٥ - محمد آغا وأسمد أفندي وبني مدرسة	—	١٣١٠
٣٦ - محمود باشا ورستم باشا	—	١٣١١
٣٧ - مهرشاه سلطان	١٢١٠	١٣١٠
٣٨ - نور عثمانية	١٢١١	—
٣٩ - والدة سلطان	١٢١١	—
٤٠ - ولي الدين	١١٧٥	١٣٠٤
٤١ - بكري جامع	—	—
٤٢ - يحيى أفندي	—	١٣١٠

الكتور سامي الدعان

دمشق:

من كتاب

## الأشياء والنظائر للخالديين (\*)

[ ص ١١٧ : تناحر الشعراء في شعر العوام بن عقبة ]

قال العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي نسيلى (١) :

(١) وَخَبَّرْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا

هَذَا الْبَيْتَ تَنَاحَرَ (٢) الشُّعْرَاءُ فِيهِ ،

---

(\*) تابع لما نشر في الجزء الرابع من المجلد ٢٦ والجزء الأول من المجلد ٢٧ من هذه المجلة .

(١) القائل هو العوام ، انظر المرزباني ٣٠١ واللاي ٢٧٣ : لا ابو العوام كما ورد في البصرية ١٨٤ والبي ٤٥٧/٤ ولعل متأ هذا الوم ان عتبة والموام عليها علقا بامرأة واحدة على التوالي ( انظر شرح الحماسة ٦٢٠ ) وعند خلط التالي ٤٣/١ وغيره بين أبيات من شعر ابن الدمية وأبيات من شعر الحسين بن مطير وأبيات مجهولة كما نبه على ذلك البكري في اللآلي ١٧٨ — ١٧٩ والتنبه ٣١ وقد روى بعض الأبيات لكثير أيضاً كما نبه عليه صاحب البصرية ، ولعل في إشارة الخالدين الى « تناحر الشعراء » دليلاً على ان الأبيات التالية ليست للعوام وحده ، ومما لا شك فيه ان الأبيات ١ — ٤ و ١٦ للعوام [ الحماسة ٦٢٠ واللاي ٣٧٤ والمرزباني ٣٠١ وشذ ورود الأولين في د المجنون ٢٧ ] والأبيات ٧ و ١٠ و ١٧ و ١٨ للحسين بن مطير [ الحماسة ٤٣٠ و ٤٩٧ والتالي ١٦٥/١ — انظر اللآلي ٤٣٠ والطبقات لابن اللبز ص ٤٨ وللارتقى ٩٠/٢ والمصري ١١٧/٤ وجموعة اللباني ١٤٦ والزجاجي ١٢٤ ] والبيتان ١١ و ١٢ لكثير [ غ ٨٦/٧ — ٨٧ و ٣٩/٩ والكامل ٣٨٥ والمقد ١٢١/٤ ود كثر ٧١/١ ] أما الأبيات ١٣ و ١٤ فقد نشت في د ابن الدمية ٤٣ والبيت ٦ مضافاً الى البيتين ١٣ و ١٤ له عند الخالدين ايضاً فيما بعد ص ١٧٦ .

(٢) « ا » « مادر » ؛ ب « تناظر » . والتناحر التابع على الطريق وغيره وهو مجاز ، كذا في التاج .

(٢) فوالله ما أدري اذا أنا جئتُها	أأبترُثها من دائها أم <sup>(١)</sup> أزيدُها
(٣) ألا ليت شعري هل تغير بعدنا	ملاحة عيني أم يحبي وجيدُها
(٤) وهل أخلفت أثوابها بعد جدّة	ألا حبنا خلقاتها وجديدُها
(٥) خليلي قوما بالعمامة واعصبا	على كبدٍ لم يبق إلا عَمِيدُها <sup>(٢)</sup>
(٦) ولن يلبث الواشون ان يصدعوا العصا	إذا لم يكن صلباً على البري <sup>(٣)</sup> عودُها
(٧) لقد كنت جلد أقبل أن تُوقد النوى	على كبدٍ نارا بطيئا خودُها
(٨) ولو تركت نار الهوى لنصرفت <sup>(٤)</sup>	ولكن شوقاً كل يوم يزيدُها
(٩) وقد كنت أرجو أن تموت صابتي	إذا قدُمَت آياتُها <sup>(٥)</sup> وعهودُها
(١٠) فقد جعلت في حبة القلب والحشا	عِنادُ الهوى تُتولى بشوق يزيدُها
(١١) وكنت اذا ما جئت ليلي أزورُها	أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدُها
(١٢) من الحُفبرات البيض ود جليتها،	إذا ما قفت أحدثه ، لو تميدُها
(١٣) خليلي اني اليوم شاك اليك	و هل تنفع الشكوى الى من يزيدُها
(١٤) حَزَازَاتِ شوق في الفؤاد وعبرة	أظلُّ بأطراف البنان أذودُها
(١٥) وتحت مجال انسمع حر <sup>(٦)</sup> بلابل	من الشوق لا يدعى لخطب ولیدُها <sup>(٧)</sup>
(١٦) نظرت اليها نظرة ما يسرني	بها نحرُ أنعام البلاد وسودُها
(١٧) اذا جئتُها وسط النساء منجتها	صدوداً كأن النفس ليس <sup>(٨)</sup> تريدُها

(١) م «أو» .

(٢) روي للمجنون - د ٣٩ - :

خليلي قوما بالصباة فاعصبا  
(٣) ب «الرأي» .

(٤) ب «لصرفت» ومنه بال لشراء انظر الاالي ٤٣٥ .

(٥) الرواية «أيامها» .

(٦) ا «جر» .

(٧) يقال : هذا امر لا ينادى ولیدُها ، يضرب في الخير والشر .

(٨) كذا والرواية «ليست» وفي البصرية «كأن القلب ليس يريدُها» .



(١٨) ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها  
(١٩) رفعت<sup>(١)</sup> عن الدنيا المني غير وجهها فلا أسأل الدنيا ولا أستزبدتها  
هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره ، وفيها أشياء لما نظائر نحن  
نذكر بعضها ، فمن ذلك قوله : « وقد كنت أرجو أن تموت صباقي » البيت  
وقوله : « فقد جعلت في حبة القلب والحشا » البيت وهذا المعنى جيد ، يقول :  
كنت أرجو أن تذهب صباقي اذا تطاولت الأيام ، فلما اشتدت وتطاولت  
زادت صباقي ، وشبه بهذا قول الشاعر وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٢)</sup> :

(١) م « دفت » .

(٢) سهر من الخالدين فان البيت ليس له بل ما لبعض الأعراب ، انما ضمنها  
احمد بن سليمان بن وهب كتابا كتبه الى ابي احمد عبيد الله بن [ عبد الله بن ]  
طاهر ، كذا في الموشح ٣٥٣ وجاء فيه ايضا ان ابا احمد اجابه جوابا يقول فيه :  
اما البيتان اللذان ذكرتهما وحثت بها على الوفاء فقد استعسلتها واحتجت الى  
الاستبانت في قوله « ترد علينا بالمشي للراميا » وأي شيء أراد بالرامي ؟  
فان الذي يعرف ان الرامي جمع رمى وللرمى للقف وهو مصدر رمى رميا كما ترى ،  
فان كان اراد بالرامي النبل فهو موجود في كلام العرب وله شاهد . وكان قوله  
« شب بنو ليلى وشب بنو ابنها » يقتضي ان يكون قال شب بنو ابنها منه أو من  
غيره فانه لم يقدم ذكرا للكمة ايها وانها أم ولده ، وان كانوا يتكلمون على علم  
المخاطب ويروى ان البلاغة لغة دالة ، وكان من معهم البيت مع استحسانا جيا  
اياما وقف على قوله « بقايا حب ليلى » وأراد منه ألا يكون ذكر البقايا  
وان يكون احتال حتى جعل مكانها قول الافتتاح وان كان لم يكذب في هذا خاصة  
فرد في عند هذا ما لم يتبين لي فيه مطعن وهو قول بعضهم :

وعهدي بنعم أول المهد أنها كتاب قزادتي صبا وتسايا

فقد شاب منها نسلنا وتناسلوا وعادت بقايا حب نعم بواديا

اتتهى قول ابي احمد والبيتان من غير عزو في الراغب ٢٢/٢ وقد ورد للجنون (د ٨) :

وعهدي بليلى وهي ذات مؤسد ترد علينا بالمشي اللواشيا

امل للراد بـ « للراميا » هو « اللواشيا » ( التي تمن وتذهب ببيد في الروح )  
لاغير وذلك يوافق حياة البدر تماما .

فشاب بنو ليلى وشاب ابن يمتها وحرقة ليلى في النؤاد كما هي

(١) وَعُلِّقْتُ لَيْلِي وَهِيَ ذَاتُ ذُوَابَةٍ تَزْدُ عَلَيْنَا بِالْعَشِيِّ الْمَرَامِيَا  
(٢) فَشَابَ بَنُو لَيْلَى وَشَابَ بَنُو ابْنَيْهَا<sup>(١)</sup> وَهَذِي بَقَايَا حَبِّ لَيْلَى كَمَا هِيَ  
وَقَالَ آخِرُ مَثَلِهِ :

فَشَابَ بَنُو لَيْلَى لِيَصْلِي<sup>(٢)</sup> وَأَدْرَكَوَا وَشَابَ بَنُو<sup>(٣)</sup> وَهِيَ مَالِكَةُ قَلْبِي  
فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى أَزُودُهَا » الْبَيْتُ فَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ  
فَقَالَ<sup>(٤)</sup> :

قَالَتْ : لَقَدْ أَبْعَدَ<sup>(٥)</sup> الْمَسْرَى مَا قُلْتُ لَهَا : مِنْ عَاجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا  
وَمَثَلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ<sup>(٦)</sup> :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا مَتَشَوِّقًا قَصَرَ الطَّرِيقَ وَطَالَ عِنْدَ رَجُوعِي  
وَقَالَ اسْمُ بَنِي إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِي : قُلْتُ لِزُهْرَاءَ الْأَعْرَابِيَّةِ : كَمْ يَبْتَئَا وَبَيْنَ  
مَنْزَلِكِ ؟ فَقَالَتْ<sup>(٧)</sup> :

أَمَّا عَلَى كَسْلَانِ وَأَنْتَ فَنَازِحٌ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَتَقْرِبُ  
وَأَمَّا قَوْلُهُ : « مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ » الْبَيْتُ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ ، وَقَدْ

(١) فِي اللَّوْشِحِ « شَبَّ » بِدَلِّ « شَابَ » فِي اللَّوْضِيِّ وَاسْتَعْمِنُ « فَشَابَ  
بَنُو لَيْلَى وَشَبَّ بَنُو ابْنَيْهَا » .

(٢) قَوْلُهُ « لِيَصْلِي » يَدْفَعُ اعْتِرَاضَ أَنِّي أَحَدٌ عَلَى الْقَوْلِ السَّابِقِ .

(٣) ب وَ م « بَنُوهُمَا » .

(٤) د ٢٨٣ وَقَالَ الْبِاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ :

سَتَقْرِبُ الدَّارَ شَوْقًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَاجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

انظر د ٧٣ والوساطة ٢٨٣ والراغب ١٥/٢ .

(٥) صححت في ب « بَدَّ » مِنَ الْمَجْرَدِ كَمَا فِي د .

(٦) مَثَلُهُ لِلْبِاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

أَرَمَ الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ اسْلُكِهِ إِلَى الْحَيْبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرَفَ

انظر التويري ٨٤/٣ .

(٧) الْبَيْتُ لِأَعْرَابِيٍّ فِي الْوَسَاطَةِ ٢٣٨ .

تركنا نظائر كثيرة له [في صدر هذا الكتاب] <sup>(١)</sup> ونحن نذكر ههنا شيئاً مما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قول الشاعر <sup>(٢)</sup> :

كأنما سَلَ رجعاتُ منطقها لو أن رجوع كلامٍ <sup>(٣)</sup> يشبه العسلا  
آخر <sup>(٤)</sup> :

(١) وأنا ليبري يتسا حين نلتقي حديث له وشي كوشى المطارف  
(٢) حديث كوفع القطر في المثل يشتقى به [من] <sup>(٣)</sup> جوى في داخل القلب شاغف  
لبشار <sup>(٤)</sup> :

(١) ولما مضحك كفر <sup>(٢)</sup> الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود  
(٢) نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزبد  
ذو الرمة <sup>(٣)</sup> :

ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى التحل بمزوجة بماء الوقائع  
آخر <sup>(٤)</sup> :

- 
- (١) بدله في ١ « وذكرنا في صدر الكتاب شيئاً منها » .  
(٢) للحكم بن ربحان من بني عمرو بن كلاب في الليال ٢٧٩/١ ومن غير عزو في العقد ٢٩/٤ .  
(٣) هذه هي الرواية وفي ١ يمكن أن تقرأ الكلمة « ملام » وهو عندي معنى لطيف .  
(٤) نسا إلى ابن أبي ربيعة في التشبيهات لابن أبي عون ١١٠ ومما من غير عزو في مجموعة للماني ١٧٩ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لدي الرمة » ونسب البيت الأول إلى بشار في العقد ٢٩/٤ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لدي الرمة » ونسب البيت الأول إلى بشار في العقد ٢٩/٤ .  
(٥) سقط من ١ وم وبدله في ب « ذو » .  
(٦) ما مع ناك له في للرتقي ٩٨/١ .  
(٧) كذا في للرتقي وفي الأصول « كثر » وبياتي « كنور » .  
(٨) د ٣٥٨ وانظر للرتقي ١٨٧/١ واليون ٨٣/٤ وابن أبي عون ١١٠ .  
(٩) هذا البيت أيضاً لدي الرمة ، انظر د ٢١٢ والآلي ٢٥٥ و ٤٠٨ وللرتقي ١٠/١ و ١٥٩/٢ .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلَ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَقِيقٌ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا تَزَرُّ  
وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الحزومي<sup>(١)</sup> :

وحديثه بمثله تنزل العُصمُ رُخيمٍ يشوب ذلك حلُمُ  
النافقة<sup>(٢)</sup> :

(١) لو أنها عرّضت لاشمط رامٍ عبدة الإله ضرورة متعبد  
(٢) لرتا ليهجتها وحسن حديثها ونخاله رُشدًا وان لم يورثد  
كثير عزة<sup>(٣)</sup> :

(١) وأدنيته حتى إذا ما استببتي<sup>(٤)</sup> بقول يميل العُصم سهل الأباطح  
(٢) تباعدت عني حين لا لي ملجأ<sup>(٥)</sup> وخلت ما خلّيت بين الجوارح  
آخر<sup>(٦)</sup> :

(١) ظلتنا يوم عند أمّ يحلم نشاوى ولم تشرب طلاء ولا تخمرا

(١) دق ٤/٩٧ .

(٢) المقدم الثمين ص ١١ والحصري ١٦/١ وجاء في الشراء ٧٣ - ٧٤  
والوساطة ١٥٣ أن ربيعة بن مقروم اخذ قول النافقة برمتها ما عدا النافقة « متبتل »  
بدل « متعبد » .

(٣) انشد القالي ٢٢٨/٢ الشعر لكثير ( ١٠٨/١ د ) وهو له في الحماسة  
واللرزباني ٢٥٠ والخنار من بنار ٢٤ وخاس الحاس ٨٤ والمدة ٩٤/٢ والراقب  
٣٣/٢ وقال البكري « هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير » ولا أعلم أحدا  
رواه ولا رقم له في ديوانه « ت القالي ١١٨ » انظر أيضا اللآلي ٨٥٠  
والشعر للمجنون في د ٦٧ و غ ٩٠/٢ والحصري ٢٤٩/٢ والشراء ٣٦٣  
والميون ٧٨/٢ و ١٣٩/٤ والمقد ٤/٤ .

(٤) « سيئتي » .

(٥) « حيث لالي حيلة » وثبت بالفامش « حين لا لي ملجأ » .

(٦) لسم [ « سالم » خطأ ] الحاسر في الإيشي ٢٣/٢ :

ظلتنا فبتنا عند أمّ محمد يوم ولم تشرب . . . .  
اليت والذي بعده .



(٢) اذا صمت عنا اذتنا <sup>(١)</sup> بصمتها وان نطقت حاجت لا لبائنا سكرنا <sup>(٢)</sup>  
آخر <sup>(٣)</sup> :

(١) وترى لها دلاً اذا نطقت تركت بنات <sup>(٤)</sup> فؤاديه صغراً  
(٢) كتساقط الرطب الجني من الـ (م) آفناء لا تقرأ <sup>(\*)</sup> ولا تقرأ  
ولأعرابي :

(١) يارب عيش بالشباك وتغدي من تمر يوتني وزبد جعد  
(٢) وفيات صادقات الوعد حديثهن مثل طعم الشهد  
أبو حية النيري <sup>(٥)</sup> :

(١) حديث <sup>(٦)</sup> اذ لم نخش عينا <sup>(٧)</sup> كأنه اذا ساقطته الشهد بل هو أطيب  
(٢) لو انك تستشي به بعد سكرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب  
وقال الأخطل <sup>(٨)</sup> :

وقد تكون بها سلمى تمحدي ثني تساقط الحلي حاجاتي وأمراري  
جران العود <sup>(٩)</sup> :

حديثاً لو ان اللحم يولى يعضه غريفاً أتى أصعابه وهو منفعج

- 
- (١) كذا في الأصول « اذتنا » ويمكن « اذينا » فان في الابشي « منجرتا » .  
(٢) « ذكرنا » بدل « سكرنا » .  
(٣) هو ابو دهميل الجمحي كذا في غ ١١٩/٧ ومجالس ثلث ٤٧٦/٢ وابن اليعرب  
١٠٩ والسان ( صر ) وفي للرقصي ١٥٩/٢ « ابو هذيل ٢ » .  
(٤) اوم « بنان » . ب « يات »  
(٥) في غ « بئرا » وهو الكثير .  
(٦) ما له في المصري ١٥/١ والمختار من شار ٣٩ ومعه آيات أخرى  
في للرقصي ١٠٤/٢ .  
(٧) في المختار من شار وللرقصي « حديثاً » .  
(٨) كذا في ب وفي ا « عيا » كما في للرقصي .  
(٩) د ١١٢ واليون ٨٢/٤ ومجموعة اللاني ١٨٩ وابن اليعرب ١٠٩ .  
(١٠) سيجي الكلام على البيت فيما بعد .

أبو حية التميمي (١) :

إذا من ساقطن الحديث كأنه سقاط حصي المرجان من كف ناظم  
وتبنيه بقول الأعرابي (٢) :

نظرت إليها نظرة ما يسرني ، وإن كنت مكيناً بها ألف درهم (٣)  
وهذا الأعرابي على ضعفه ومسكته كانت نظره إلى من يحب أكثر عنده  
من ألف درهم .

### [ ص ٣١ : في ذكر الحديث وحسنه ]

أما قول جبران العود في ذكر الحديث وحسنه :

- (١) يَنَازِعُنَا لَذًا رَخِيًّا كَأَنَّمَا عَوَابِرُ (٤) مِنْ قَطْرِ حِدَاهِنْ صَيِّفُ
- (٢) رَفِيقُ الْخَوَاشِي لَمْ تَسْمَعْ رَاهِبُ يَبْطُنَانُ فَوَلَا مَثَلَهُ ظَلٌّ يَرْجُفُ
- فهو حسن نادر إلا أن الشعراء في الحديث أكثر وأمن جيده ومن حسنه (٥)
- قول القطامي (٦) :

- (١) فَنَنْبِيذَنْ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
- (٢) يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَفْهَمُهُ مَنْ يَتَّقِنُ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي

- 
- (١) من كلمة له في لارتقى ٩٨/٢ والمصري ١٠/١ وفي ديوان اللماحي  
لمصري ٢٣٨/١ « البحرني ؟ » ( في الساعاتين ١٥٦ لأن حية ) وبعبارة :  
رَمِينَ قَاتِلُنَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى دَمًا مَأْرَأَ الْإِجْوَى فِي الْمِيَاظِ .
  - (٢) كذا والظاهر أن هناك سقطاً لأن الكلام انتقل إلى نظائر البيت ١٦ .
  - (٣) البيت مع آخر في اليان ٦٢/٤ .
  - (٤) ب و م « عوَابِرُ » والمواثِر ما تفرق من القطر .
  - (٥) ب و م « الشعر في الحديث كثر ( كثير ) في ( ب « ظ فرين » )  
جيده وحسنه » .
  - (٦) دي ١٣/٢ و ١٤ والآلي ١٨ والشعراء ٤٥٣ والختار من بشار ٤١  
والمصري ١٤/١ .

ومن ملبح هذا المعنى قولُ بشار<sup>(١)</sup> :

وحديثه كأنه يقطع الرِّو (م) ض زعتهُ الصفراءُ والجرادُ<sup>(٢)</sup>  
ذكر أن حديثها مثل الرياض في ملاحظتها وأنه يجمع جيداً وهزلاً .  
وقال بشار أيضاً<sup>(٣)</sup> :

ولما مضحك كفتور الأقاحي وحديث كالوشي وبشي البرود  
وله أيضاً :

(١) وعشني حين شبتُ إلى المعامي محاسنُ زائري كالرَّئمِ غَضَّ  
(٢) كأنَّ كلامه يوم التقينا رَمِيَّ خَدَّ<sup>(٤)</sup> في طولي وعرضي  
وله أيضاً<sup>(٥)</sup> :

(١) حوراء انت نظرت إليك مقتك بالمينين خمر  
(٢) وكأنَّ رجعت حديثها قطع الرياض كمين زهرا  
وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري<sup>(٦)</sup> :

(١) وحديث ألدُّ وهو مما يوتق السامعين<sup>(٧)</sup> يوزنُ وزنا  
(٢) منطلق صائب وتلعن أخياناً وأحلى الحديث ما كان لحننا  
ذكر أنها تحدت بحديث يفهم ثم تخشى [نم من يحضر]<sup>(٨)</sup> من الوشاة .

- 
- (١) د ١١٩/١ والختار من بشار ٣٣ والبيون ٨١/٤ والميوان ١٢٢/٣ .  
(٢) في م « البيضاء » بدل « الجرء » .  
(٣) للرقصي ٩٨/١ والحصري ١١٧/٣ والرواية « مبسم كثر الأقاحي » .  
(٤) في الأصول « رمي » [أدى] يأخذن بدل « رمي خد » والتصحيح  
منا والرمي : قطع صغار من السحاب وقيل هي سحابة عظيمة القطر شديدة  
الوقم ، كذا في اللسان .  
(٥) الختار من بشار ٣٣ والحصري ١٧/١ والآلي ٢٧٦ وابن أبي عوف ١١١ .  
(٦) هو مالك بن أسماء ، الثراء ٤٩٢ وبجالي قطب ٥٩٩/٢ .  
(٧) بدله بهامش ب « بنت الناصون » .  
(٨) ب « فتعصر » بدل ما بين المقتين والأصل في م « نم »  
بدل « نم » .

فَلَعَنَ لَمْ بِمَعْنَى يَعْرِفُهُ وَإِشَارَةً يَقِفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا ، لَا يَعْرِفُهَا غَيْرَهَا وَغَيْرُهُ<sup>(٢)</sup> .  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ، أَيِ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ ، وَيُقَالُ —  
 هَذَا لَحْنُ بَنِي فَلَانِ أَوْ لَعْنَةُ بَنِي فَلَانِ .

وَمِنْ أَجْرَدِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ<sup>(٣)</sup> :

- (١) وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَحْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ<sup>(٤)</sup>
- (٢) إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدِيثُ أَنَّهَا لَمْ تَوْجَزْ

(١) « تعرفه ... تقف » .

(٢) هَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ لـ « اللَّعْنِ » الَّذِي كَانَ مَوْضِعَ اخْتِلَافٍ بَيْنَ كِبَارِ الْقَنُويْنِ . يُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الرَّزْبَانِيِّ ٣٦٥ « أَرَادَ مَا تَلَعَنَ بِهِ إِلَيْهِ أَيْ مَا أَوْمَأَتْ بِهِ وَرَدَتْ عَنْ الْإِنْصَاحِ بِهِ لثَلَا يَلْمُهُ غَيْرُهُمَا » وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْمُرْتَضَى ١١/١ أَنَّ لِلرَّادِ بِاللَّعْنِ « الْكُتَابَةَ عَنْ التَّيْهِ وَالتَّعْرِيفِ بِذِكْرِهِ وَالْمَدْوَلِ عَنْ الْإِنْصَاحِ عَنْهُ » — وَذَهَبَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ إِلَى أَنَّ اللَّعْنَ ( لَحْنٌ يَلْعَنُ ) هُوَ الْإِصَابَةُ وَالْفُطْنَةُ ( الْقَالِي ٥/١ ) وَعَلَى ذَلِكَ يَفْسُرُ بَيْتُ مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ بِهِ « مَنْطِقِي قَاصِدُ الصَّوَابِ وَإِنْ لَمْ يَصِبْ ، وَتَصِيبٌ وَتَقَطُّنٌ أَيْبَانًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ إِصَابَةً وَفُطْنَةً » ( الْقَالِي ٧/١ ) — وَظَنَّ الْجَاهِظُ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ أَنَّ لِلرَّادِ بِاللَّعْنِ هُوَ مَا يَخَالَفُ الصَّوَابَ ( الْيَانِ ١٤٧/١ ) وَتَبِعَهُ عَلَى هَذَا الْخَطِّ ابْنُ قَتِيْبَةَ ( الْيُونِ ، لِلْقَدَمَةِ د. ) وَابْنُ دُرَيْدٍ فِيمَا قُلِّدَ عَنْ ابْنِ قَتِيْبَةَ ( الْيُونِ ١٦٢/٢ ) إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ خَطَأٌ قَدْ جَاءَ فِي الْقَالِي ٦/١ أَنَّ مَذْهَبَ ابْنِ دُرَيْدٍ فِي تَفْسِيرِ الْبَيْتِ هُوَ : أَنَّهَا تَعْرِسُ فِي حَدِيثِهَا فَتَزِيلُهُ عَنْ جِهَتِهِ لثَلَا يَفْهَمُهُ الْحَاضِرُونَ وَإِنْ خَيْرُ الْحَدِيثِ مَا فُهِمَ مِنْهُ صَاحِبُكَ الَّذِي تَحِبُّ أَهْلَامَهُ وَحَدَهُ وَخَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي الْيَدَانِيِّ ١٧٤/٢ أَنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ اسْتَدْرَكَ عَلَى الْجَاهِظِ « هَذِهِ الثَّرَةُ الَّتِي لَا تَقَالُ » — هَذَا وَقَدْ ظَلَمَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ بِالرَّدِّ عَلَى ابْنِ قَتِيْبَةَ فِي الْأَضْدَادِ ( لَيْدَن ، ص ١٥٦ وَمَا بَعْدَ ) وَقَدْ تَلَبَّاهُ الْجَاهِظُ إِلَى الْخَطَأِ بِمَدَامَا سَارَ الْكِتَابُ فِي الْأَقَانِ ( اللَّالِي ١٧ ) . وَاجِبٌ أَيْضًا بِحَسَبِ طَرِيقِنَا عَنْ مَادَّةِ لَحْنٍ لِلشَّيْخِ يَوْهَانَ فَاكٍ فِي كِتَابِهِ « الْعَرَبِيَّة » تَرْجُمَةُ الدَّكْتُورِ عَبْدِ الْحَلِيمِ النُّجَارِ ، ( الْقَاهِرَةُ ١٩٥١ ) ص ٢٣٥ — ٢٤٦ .

(٣) فِي الْمَصْرِيِّ ٩/١ وَمِمَّا فِي السَّكْرِيِّ ٢٤٢/١ وَالْمُخْتَارُ مِنْ بَشَارِ ٤١ وَاللَّالِي ٢٧٥ وَنُسِبَتْ فِي حَمِّ ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١٩٥ إِلَى الْبَحْتَرِيِّ .

م (٥)

م (٤) « للتجوز » .



(٣) شرك القلوب وتزعمه <sup>(١)</sup> ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز  
هذا نهاية ما قيل في هذا الباب ، وقد تناول ابن الرومي قوله « ودَّ المحدث  
انها لم توجز » من بعض المتقدمين <sup>(٢)</sup> ، وهو قوله :

من الحفريات البيض ودَّ جليها إذا ما قفت أحدى ثمة ، ان تعيدها <sup>(٣)</sup>  
ومن ملبح ما قيل في الحديث أيضاً قول بعض الأعراب <sup>(٤)</sup> :

(١) وحديثها كالنيث <sup>(٥)</sup> يسمه راعي سنين تابت <sup>(٦)</sup> جدبا  
(٢) فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هياربنا  
وقال آخر <sup>(٧)</sup> :

(١) وانا لييري يئسا حين نلتقي حديث كنسبيح المريضين <sup>(٨)</sup> مزعج

(١) روى « نهضة » انظر الالي .

(٢) مضى البيت .

(٣) ب « لو تعيدها » كما هي الرواية .

(٤) القالي ٨٤/١ واللاقي ٢٧٠ والبيان ٢٨٣/١ والميوز ٨٢/٤ .

وابن ابي عون ١١١ .

(٥) بدله بهامش ب « كالقطر » كما هي الرواية .

(٦) ب ر م « تواصلت وروي ايضاً » تابت .

(٧) البيتان لآمة لضحك المحارية في الوحشيات ( نسخة دار الكتب المصرية

رقم ٢٢٩٧ أدب ) ص ١٦١ وهكذا روي عن ثلب في الحمري ٨١/٤ وابن دريد

في القالي ٨٦/٢ ومع البيتين نالك تذكر فيه الضياني الذي كانت نجه . وما

للشماخ في ابن ابي عون ١١٠ والثاني قطع له في مجموعة للماني ١٧٩ وقد ذكره

الخالديان في موضع آخر منسوباً الى جبران السود كما في الميوز ٨٢/٤ ويلاحظ

ان جبران السود يتأ يشبه في بعض اللفظ مع التباين في المعنى :

حديثاً لو ان البقل يولى يتله زها البقل واخضر الغمام للمنف

انظر د ٢١ والبيان ٢٨١/١ .

(٨) م « كسيح المرتضين » ب « كسيح للريضين » وروي ايضاً « كتنسج

( كتنسج ) كتنيس للريضين .

(٢) حديثٌ لو أنَّ اللِّمَّ يُولَى (١) يعضه غريفاً ألقى أصحابه وهو مُنَضَّجٌ  
هذا ذكر أنه إذا خلى بمن يحب يجري بينهما من التثاكي أحرُّ من النار .  
ومثله قول الراجز (٢) :

تقول لي وهي تَحْفُ المودجا قولاً جميلاً حسناً صممتجا  
لو طُبَّحَ اللِّمَّ به لَأَنْضَجَا

والقول في الحديث كثير ، ولو استقمينا جميع ما فيه لخرج كتابنا عن الغرض  
الذي قصدنا إليه .

الدكتور السيد محمد يوسف

(القاهرة)



(١) يُولَى أي يدنى وفي « مولا » ب « قولاً » والرواية « يسلى » .  
(٢) انظر ابن الرواحي ١١٠ ولسان « صليج » .

## سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

— ٤ —

### المفازة :

ومن الطبيعي ألا تشير الروايات الى المراحل بين قراقر وسوى لأن الأرض بينهما مفازة ، لا ماء فيها ولا سكن ، وهي غير مستطرفة . وفي رواية للسمرقندي نقلها ابن عساكر ، اسماء بعض المراحل بين قراقر وسوى . ذكرها موسى في كتابه<sup>(١)</sup> . وجاءت هذه الرواية مضطربة تزجتها كما يلي :

« سار خالد من قراقر الى ( سوطه ) فجعل المشرق عن يمينه ومصر بـ ( أذن ) ونزل في ( فرقين ) . ثم في ( الحصد ) ، ثم في ( العير ) ، ثم في ( سوعبل ) . قال : ونزل سيف بن عبد الله بن محضر عن حدثه » . هذا نص رواية عبد الله بن محضر وهي مرتبكة ، لم نعثر على هذه الرواية في أجزاء ابن عساكر المطبوعة . لهذا كتبنا الى الأستاذ شكزي فيصل نرجوه نقل الرواية المذكورة من النسخ الخطية المحفوظة في خزائن القاهرة فتفضل وأرسل إلينا الرواية المذكورة أخذاً من نسخة خزانة طوبقبر في استانبول ، وهذا نصها :

« فأخذ ( خالد ) من قراقر الى ( شرطه ) فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل ( قريتين ) ثم نزل ( الحفار ) ، ثم نزل ( العير ) ثم نزل سوا سلسل . » .

---

(١) بادية العرب ، ( ص ٥٥٩ ) .

ولما وصلتنا المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بتحقيق الأستاذ صلاح الدين التيجد وجدنا الرواية المذكورة في الصفحة (٤٦٥) كما يلي :

« أخبرنا أبو القاسم بن السمري عن . . . . . عن ظفر بن دهمي بثله . وقال فأخذ من قراقر الى سوكة فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل قريتين ثم نزل الحفار ثم نزل العريز ثم نزل سوى بليل . قال : وتا سيف عن عبد الله بن محضر بن ثعلبة عن حدثه » .

فالفرق بين الرواية التي نقلها موسل والرواية الآتية الذكر كما يلي : أما ( شرطه ) او ( سوكة ) فينبغي أن تكون ( سوى ) حرفها النسخ خطأ . والمنزل الأول في رواية موسل ( ألتذن ) ولم يرد ذكر هذا المنزل في الرواية المذكورة في المجلدة الأولى . والمنزل الثاني في رواية موسل ( فرقين ) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى ( قريتين ) . والمنزل الثالث في رواية موسل ( حصد ) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى ( الحفار ) . والمنزل الرابع في رواية موسل ( العريز ) وفي رواية المجلدة الأولى ( العريز ) . انتقد موسل تلك الرواية وأشار الى أن فيها تقديمًا وتأخيرًا ، والأعلام الواردة فيها أما كن مرًا بها خالد قبلًا وقال ان فرقين ينبغي أن تكون محرفة من قريسيا والحصد محرفة من الحصيد ، أما سوعيل وفي رواية المجلدة الأولى ( سوى بليل ) فهي مزج آخر جملة بأول جملة ، لأن الخبر أتى كما يلي : ثم سوعيل قال ونزل ، لهذا ينبغي أن يكون الخبر قال ونزل بسوى ، فتصبح الرواية كما يلي :

« قال عبد الله بن محضر عن حدثه أخذ خالد من قراقر الى سوى ، فجعل المشرق عن يمينه وصر بألتذن ونزل في فرقين ، ثم في الحصيد ، قال ونزل بسوى » .

ولعل ( فرقين ) هي القريتين كما جاء في رواية المجلدة الأولى ، ولعل ( الحفار ) تحريف النسخ لكلمة الحميد . أما العريز فلم تثبت من مجملها ولعل النسخ حرفوها .



وقد ذكرت الروايات ان خالداً اجتاز المفازة في خمس ليال وذكر اليعقوبي في ثمانية أيام ؛ والقصد من خمس ليال ست مراحل لا كما قال بعض المؤرخين بأنها خمس مراحل . قضى خالد في المفازة خمس ليال ووصل في اليوم السادس الى سوى . أما الثانية أيام التي ذكرها اليعقوبي فستة أيام منها في قطع المفازة واليومان الأخيران بين سوى ومرج راهط ، والمسافة بينهما مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً أي مرحلتان . وبما أن المسافة بين قراقر وسوى نحو من ثلثائة كيلومتراً ، فإنها تقطع في ستة أيام خفاف .

ذكر الشيخ عبد العزيز العقيلي الذي اجتاز مفازة قراقر وسوى مرات ان المسافر يقطعها في ست مراحل خفاف . المنزل الأول ( أذنه ) ، ورد اسمها في خريطة موصل ( أم اذن ) الى شمالي شرقي قراقر على بعد ثلاثين كيلومتراً واعلمها ( آل ذن ) الذي ورد ذكرها في رواية السمرقندي الآتية الذكر . وصفها الشيخ عبد العزيز انها حجارة سوداء تؤلف تلاً في سهل ، أي اللحم التي أشار اليها موصل . والمنزل الثاني في أرض دقرة بين تلي ( أبي راسين ) و ( الأقرن ) وبين ( كشب الشامة ) وهي كشبان رمال وقد جاء اسم ( كشب الشامة ) هذه في خريطة موصل ؛ والمسافة بينها وبين أم اذن ثلاثون كيلومتراً والأرض الدقرة التي أشار اليها عبد العزيز هي الأرض البركانية ، ذكرها موصل قائلاً : « يجب على المسافر أن يتوجه من قراقر في أول مرحلة الى الشمالي الغربي ويقطع أرضاً بركانية طولها خمسون كيلومتراً لهذا ينبغي أن تكون ( كشب الشامة ) المنزل الأول . والمنزل الثالث كما ذكره هو ( تل المبر ) ووصفه بأنه تل أسود على الحدود الأردنية — السعودية من غربيه . وقد جاء اسمه في خريطة موصل والمسافة بينه وبين كشب الشامة خمسة وعشرون كيلومتراً . والمنزل الرابع حسبما ذكره العقيلي قاع ( ابو الحصين ) في غربي الحرّة وفي شرقي ( وديان الرويشدات ) . سيجل موصل في خريطة على غربي الطريق شبيب

( رؤَيْشِد ابو حَفْنة ) وهو على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً وفي جوارها مقور مياه تسمى ( الخويجات ) تكون في أرض بيضاء . والخويجات هذه واقعة الى جنوبي ( شعيب حَفْنة ) على عشرين كيلومتراً . والمنزل الخامس ( الحدالي ) وهي عبارة عن قارتين صحراويتين ويرى جبل الغراب في الغرب من بعيد ، وجاء اسمه في خريطة موسل ( غراب الحدالي ) وهو جبل أسود الى غربي الطريق بعد عطفته الى الشمال الغربي . أما المنزل السادس فهو سبع أيار ، وطولها من الحدالي سبعون كيلومتراً . وفي خريطة موسل محل على الطريق في المكات الذي ينمطف فيه الطريق الى الشمال الشرقي فهو سبع أيار يسمى ( الجريف ) ومنه يتشعب طريق الى ( خان عتيب ) الواقع على طريق ( تدمر - دمشق ) .

### متى سافر خالد من العراق ؟

ثبتنا الطريق التي سار فيها خالد برفجالة ، نعود فنبحث عن الوقت الذي سافر فيه :

ذكرنا فيما سلف أن خالداً تسلّم أمر أبي بكر في أواخر المحرم سنة ثلاث عشرة وأشرنا الى أن أدنى الروايات تؤكد بأنه أغار على الفسائيين في مرج راهط في عيد فصيحهم أي في ٢٤ - نيسان - سنة ٦٢٤ . ولا بد أن خالداً قضى بضعة أيام في انتقاء رجاله وإرساله النساء والضعفاء الى المدينة والامتداد للفر ، لهذا يصادف مغادرته للحيرة في أوائل شهر صفر أي في منتصف شهر آذار . فقد روى المدائني انه غادر العراق في ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ، ويصادف يوم ٢٤ - نيسان - ٦٢٤ = ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣ . وهذا التاريخ ثبت . اذن ما معنى ربيع الثاني الذي ذكره للمدائني وأبده البلاذري ؟ لأن تاريخ وقوع معركة أجنادين الذي أبده أكثر ثقة الرواة والخباريين يعارض التاريخ الذي ذكره المدائني . وقعت معركة أجنادين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ٨١٣ .

والطريق الذي سلكه خالد لا يمكن أن يقطعه في أقل من خمسة وعشرين يوماً .  
وقد قضى عدة أيام للوصول الى بصرى بعد خربة الغسانيين في مرج راهط  
وفتحه مدينة بصرى ، ثم توجه الى الجنوب للانضمام الى جند عمرو بن العاص .  
والمسافة من بصرى الى القصر الذي قيل ان عمرو بن العاص كان يربط فيه  
لا تقل عن ثلثائة وخمسين كيلومتراً ، ومن القصر الى أجنادين نحو من مائة كيلومتر .  
ولا شك أنه صادف في طريقه عقبات أخرته عن المسير ، والمعقول أن لا يتم  
كل ذلك في شهر واحد . . ومن أجل ذلك ليس لنا إلا أن نؤيد ما أورده  
موسل من أن الربيع الآخر الذي أشار اليه المدائني هو موسم الربيع لا الشهر  
القصري . وذكر موسل ان كبتاني أخطأ حين اعتبر تاريخ المدائني أساساً للبحث ،  
ويذهب موسل الى أن موسم الربيع عند البدو يقسم الى شطرين ، والمدائني أراد  
بريعة الثاني أن يشير الى الشطر الثاني من موسم الربيع ، أي أن سفر خالد  
من الحيرة حتى وصوله مرج راهط وقع على ما يظهر في الشطر الأول وقسم من  
الشطر الثاني لموسم الربيع . وما يرح البدو يسمون الخريف بصفر الأصفار .  
وذكر موسل أنه يمتد ثلاثة أشهر أي ايلول وتشرين الأول وتشرين الثاني .  
ولعل شهر صفر الذي ذكره سيف بن عمر في رواياته عن فتوح خالد في العراق  
هو صفر الأصفار . لأنه حشد في شهر صفر هذا كثيراً من الحوادث التي لا يمكن  
أن تجري في شهر واحد .

اذن فلنا أن نعتبر سفر خالد من الشام قد جرى في النصف الأخير من شهر  
آذار سنة ٦٢٤ وانه قضى في الطريق أكثر من شهر ، لأنه لم يجهد خيله  
ورجاله في الطريق صيانة لم واستعداداً للقتال في الشام ، فرتب مسيره بأن قطع  
في اليوم خمسين كيلومتراً ، وقضى عشرين يوماً بين الحيرة ودومة الجندل  
وخمسة أيام بين دومة الجندل وقرقر ، وستة أيام بين قرقر وسوى ، ويومين  
بين سوى ومرج راهط ، يضاف الى ذلك يوم أو يومان قضاهما في سوى

وأطرافه ، وبذلك يكون قد قضى نحرًا من خنّة وثلاثين يومًا في سفره ،  
ترك الحيرة حوالي ٢٠ آذار ووصل مرج راهط في ٢٤ نيسان .

### خالد في سوى :

لم يعثر خالد على الماء في سوى بسهولة . والروايات جميعها تشير الى أن  
موقف خالد في سوى كان حرجًا . لقد فقد الماء بنجر الجزوز ، وليس هناك  
ما يدل على أن الماء موجود في سوى . وما زاد في حرجة الموقف رمد الدليل  
رافع الطائي وهو على ما ذكرته الرواية كان ورد ماء سوى قبل ثلاثين سنة  
وهو غلام وبعد أن ضرب الناس بمتة وبسرة عملاً بإشارة رافع عثروا على جذع  
العوسجة . فاحتفروا الأرض يحوارها ووجدوا الماء وارتووا . قال . وصل :  
« ان آبار سبع أيار ( وهي سوى ) في متعي شعيب ضحل . تحتفظ بالماء ثلاث  
أو أربع سنوات عقيب أمطار غزيرة في الشتاء ، وأرباب الرحلات لا يعتمدون عليها  
الا فيما ندر ، ولا يتركون بها الا قليلاً ويتركونها ، وتكاد الرمال تطمرها » (١) .  
ثم أضاف قائلاً ان رافعاً من قبيلة طي وبلاد طي واقعة الى جنوبي سوى على  
مئات من الكيلومترات ولعلمهم كانوا وما يزالون يطلبون سوى في غزواتهم ،  
لذلك ان خبر جذع العوسجة خبر صحيح . ومن الروايات ما أشارت الى ان خالدًا  
باغت جمعا من بهراء في سوى ، كانوا يشربون ومغنيهم ينشد الأبيات التالية :

ألا علاني قبل جيش أبي بكر لعل منابانا قريب ولا ندري

فقتلهم وسبي . وفي روايات أخرى أن الحادث المذكور وقع في المصبخ قبل  
سفر خالد من العراق . وفي رواية الميثم بن عدي أن الحادثة وقعت في البشر .  
ومن الروايات ما تجعل الواقعة في مصبخ بهراء في أطراف سوى . والبيت يدل  
على ان الحادثة وقعت في المصبخ شمالي عين التمر ، قيل سفر خالد لأن المقتي

(١) البادية العربية : ( ص ٥٥٨ ) .



كان يجهل قدوم جيش خالد من قراقر ، وقد احتاط خالد في اجتيازه المفازة لياغت الشام ؛ فضلاً عن أنه يصعب تصديق رواية وجود جمع بهراء في سوى . وقد اتضح أن المسلمين حفرُوا الأرض واستخرجوا الماء منها . ولا يستبعد أن خالداً بعد وصوله الى سوى وأثناء اقامته فيها أرسل رجالاً من أصحابه ليغيروا على الأطراف ويحصلوا على الطعام . فأغار هؤلاء على جمع من بهراء في أطراف سوى . وإذا كان خالد عازماً على مباغته الروم في دخوله أرض الشام وجب عليه ألا يطيل المقام في سوى ولا يضيع وقته في شن الغارات ، كما أشارت إليه بعض الروايات ، لأن في ذلك مضية للوقت ، وإطلاع العدو على عمله . لهذا من المحتمل جداً أنه قضى مدة قصيرة في سوى للراحة ، ولم يكشف عن عمله ، فتوجه الى الشام من الطريق الأقصر وهو الذي يمر بضمير وينتهي بعذراء . ولا سبيل له أن يتفد الى الشام من محل آخر . وسبب ذلك أن سلسلة رواق تسد الطريق من الشمال وحرّة تلؤل الاعطيات من الجنوب وبحيرة عتبة وبحيرة الحبجانة من الغرب والأرض بين البحيرتين المذكورتين في الربيع كثيرة المستنقعات يصعب اجتيازها . ويبدو من ذلك أنه ليس لخالد إلا أن يتوجه من سوى رأساً الى عذراء وياغت من فيها والمسافة بينهما مائة وعشرون كيلومتراً ، أي مرحلتان . ويظهر من الروايات أن المياه كانت متوفرة في الطريق المذكور . وقد ذكر ابن اسحق في روايته أن الطريق اختفقت بخالد بعد سوى . وتواصلت المياه حتى مرج راهط .

وجاء في رواية لسيف بن عمر ما يلي :

« ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى واتساقها وغارته على مصيخ بهراء واتساقها ، فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك صمد اليهم . فخرج من سوى بعدما رجع اليها بسي بهراء قتل الرماطين علمين على الطريق ، ثم نزل بالكثب حتى صار

الى دمشق ، ثم مرج الصفر ، فلقى عليه غسان وعليهم الحارث بن الأبيهم ، فانكشف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ، ثم خرج منه حتى ينزل بقناة بصرى ، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق . وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة فنزلهم بها في تسعة آلاف .<sup>(١)</sup> .

ورواية سيف هذه هي الرواية الوحيدة التي تشرح قصة سير خالد من سوى الى مرج راحط ، وتشير الى ان الفسائيين استنهبوا وصول خالد الى سوى . أما ما جاء فيها من اغارة خالد على مضبخ بهراء - والصحيح (المصيخ) - فتخبر يشير الى اغارة خالد على بني تغلب في المصيخ حينما قدم اليها من عين التمر وذلك قبل سيره الى الفراض ، أي قبل استلامه كتاب ابي بكر . والمصيخ هذا كما يتنا يقع الى جنوبي وادي حوران وقد ثبته موصل في عين الأرنب . لهذا لا يعقل أن خالداً بعد وصوله الى سوى وقد وصل حدود الشام بشرق ويمتاز البادية مرة أخرى ويذهب الى المصيخ للاغارة على أهله . والمسافة بين سوى والمصيخ نحو من أربعائة وخمسين كيلومتراً والماء مفقود في الطريق وقد يقضي في الذهاب والاياب أكثر من عشرة أيام . الا اذا كان هناك مصيخ آخر في جوار سوى ، يرجع لبهراء . وقد يكون المصيخ وصفاً لبعض أشكال الأرض كالكتيب والقلت والثني أو الثنية وغير ذلك<sup>(٢)</sup> .

وقد أشرنا قبلاً أن مبدأ المباشرة يتطلب من خالد ألا يقدم على حركات عسكرية بعد وصوله سوى ، وليس من شك في أنه قضى بعض الوقت للاستراحة بعد السفر الشاق في المفازة ولا ينبغي أن يتبعه أن بعض رجاله قاموا بنزوات قصيرة المدى في الأطراف لاغتنام بعض المواشي ، لأن الموسم في أطراف الشام موسم المرعى .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص ( ٦٠٤ ) .

(٢) وجاء في القاموس ( الصخ ) الضرب بالحديد على الحديد . وصوت الحجر اذا قُرم وقد يكون المصيخ الأرض الحجرية التي قُرم .

ليس في الروايات ما يشير الى أعمال خالد بين سوى ومرج راهط . ورواية سيف على طولها لم تشر الى عمل له سوى تزوله بالرماتين والكثيب . والرماتان اشارة الى تلين منفردين ، ارتقعا في ارض سهلة وأصبجا علماً لمكان وقد ذكرهما الشيخ عبد العزيز العقيلي . والكثب والكثيب تل من الرمل . ولعل خالداً كان يعلم أن الطريق بين تدمر ودمشق غاصة بالحصون ومعامل الروم ؛ لهذا لم يخاطر في مهاجمتها ، ولعله سعى كثيراً لأن يسلك طريقاً بعيدة عنها ليخفي حركته وبالحقيقة ان المتخذ الشمالي لبلاد الشام يسهل كثيراً سده بوجه القوات القادمة من البادية ، وهو محصور بين سلسلة الرواق والحرّة الواقعة الى شرقي دمشق وبحيرتي المتيبة والميجانة وما يتخللها من المناقع ومن أجل هذا يذهب الظن الى أن خالداً ، في زحفه من سوى الى مرج راهط اتخذ كل الحيلة لاختفاء مسيره محاولاً مباغتة الفسائيين ؛ واذا صحّت رواية سيف فانه علم باجتماع الفسائيين في مرج راهط ، لأنه كان قد اعتزم الوصول الى المسلمين من دون ان يحبس الروم عن نجدتهم .

وفي الخريطة التي أرفقها (بواديرارد) بكتابه (المواقع الرومانية في بادية الشام) حصون ومعقل على طريق (تدمر - دمشق) من سبع أيار الى ضمير وذكر المؤلف<sup>(١)</sup> أنه أقيم خط إمامي ليستر طريق الخانات (الطريق الشمالي التي تمر بنح سلسلة الرواق بين دمشق وتدمر) جنوبي جبل الرواق على ثلاثين كيلومتراً ، ليد الجادة الممتدة من الحماة بالاتجاه الشمالي الغربي . ويتألف هذا الخط الأمامي من الطريق المستحكمة لجادة ديوقليان في قاطعيه جبل سبّيس - سبع أيار - تدمر . وفي هذا الخط حصن (تل التساعي) الواقع الى جنوبي غربي سبع أيار على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً . ويمكن الوصول الى سبع أيار مباشرة من ضمير وخان الشامات من دون المرور بسبّيس . ويتبين مما كتبه المؤلف

(١) للمواقع الرومانية في بادية الشام (ص ٤٢) .

أن جبل سَيْس يقع على الطريق الروماني الأقصر بين بصرى وتدمر وقد استعمله أرباب الرحلات من التجار يوم كانت بصرى وتدمر مدينتين تجاريتين خطيرتين . وفي نقطة جبل سَيْس بئر وحصن لحراسة البئر . وبين هذا الموقع وموقع سبع أيار مواقع أخرى فيها تل صناعي وبرج روماني وبركة من العهد الروماني واسم الموقع تل ( سَدَشِيه ) ، ويمر الطريق بعدها بتل التساعي إلى سبع أيار ومنه إلى حصن العليانية وحصن الملكية ، ثم يضرب شمالاً إلى تدمر . أما الطريق الأقصر من سبع أيار إلى ضمير فيمر بسفح جبل رواق الجنوبي وفيه أيضاً معقل وحصون كحصن سَيْجَل وحصن خان الشامات وحصن ضمير . وفي أطراف ضمير أقيم سور لحماية أرض المرعى . لقد درس المؤلف هذه المواقع وثبت صورها ورسومها في ملحق كتابه وأثبتها في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام .

ذكر موصل في كتابه « البادية العربية » أن في شرقي مرج راهط ( في جوار عذراء ) معسكر الرومانيين المستحكم ، الواسع ( ضمير العتيقة ) . . لم تشر الروايات العربية إليها ولعلها كانت وقتئذٍ خالية أو لعل حاميتها انضمت إلى جيش الروم للدفاع عن الباب الأول في بصرى أو فلسطين . وهذا محتمل جداً لأن الفرس كانوا دُحروا في حرب هرقل . . فلم يبق من خطر يهدد بلاد الشام بالمجوم عليها من الشمال الشرقي ، ويلاحظ من جهة أخرى فقدان جنود الروم في الباب الثاني ، وفي مرج راهط اجتمع مرتزقة الفسائيين فقط .

ويتراءى لنا أن خالداً في زحفه من سوى إلى مرج راهط اعتمد بالأساس على أمام ضمير العتيقة وسار بعيداً عنها . ويتضح من كل ما ذكرناه أنه لا بد لخالد أن يسير بعيداً عن المواقع الرومانية المذكورة خشية الاصطدام بها .

وإذا بلغ خالد خبر اجتماع الفسائيين في مرج راهط قبل مسيره من سوى أو في طريقه إليها كان يقتضي أن يتغلب عليهم ليستطيع التفرّد إلى الشام لأنه



لا يوجد أمامه طريق آخر دون لقاءهم . ذكر ياقوت مرج راهط وقال انه موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء اذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك وقال عن مرجه هو أشهر المروج في الشعر . أما عذراء فوقها ثابت في الخريطة وهي واقعة على طريق دمشق - ضمير - شمالي شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً ، غربي منفرد الطريق الممتد الى ضمير وخان ابي الشامات وطريق نيك - حمص .

ويبدو مما كتبه ابن عساكر ان مرج راهط هو مرج عذراء ، ويتبين مما كتبه ياقوت انه في شرقي عذراء . والمسافر من دمشق الى بغداد بالسيارات يرى هذا المروج الواسع على يمينه بعد عذراء . وكانت المروج والمراعي في شرقي دمشق خاصة بالفسانة وفيها منازلهم وقراهم .

ولعل الروم حين حشدوا الجيوش لمقاتلة المسلمين في فلسطين لم يهتموا كثيراً بالناحية الشمالية والناحية الشرقية لدمشق . لأن الطريق التي تربط العراق بالشام والتي تمر بوادي الفرات وتجتاز بادية تدمر تلتقي في وجهها معاقل وحصوناً ومرابط كما قلنا . لهذا لم يتوقعوا هجوماً من هذه الناحية . واذا سارت قوات المسلمين عليها تصل أخبارهم الى حكام الروم في الشام فيتخذوا الحيلة لسد الطريق بوجه المسلمين . أما طريق البادية من الشرق فلا يمكن أن تسلكها قوة ذات شأن . ويتبين من رواية سيف بن عمر أن خالداً أغار على القسائين في مرج الصفر بينا الروايات الأخرى جميعها تشير الى قتال خالد للقسائين في مرج راهط . أما موقع مرج الصفر فلم تثبت منه بالضبط ، ذكره ياقوت وقال انه بين دمشق والجلولان صحراء كبير . ويلاحظ لنا انه واقع الى جنوبي دمشق الى الغرب أو الى الشرق منها . لقد انتصر فيه العرب على الروم بعد معركة أجنادين في سيرهم نحو دمشق وهو بلا شك مرعى للقسائين ، وعلى ما يظهر انه مرعى كبير . ويبدو أن الفسانة كانوا نازلين فيه مع عيالاتهم لارعي به

ولعل بعضهم كان في مرج راهط يرعى ماشيته ويراقب طريق الصحراء . فلما بلغهم خروج خالد الى سوى أخبروا الروم بذلك وطلب هؤلاء اليهم أن يمنحوا القادمين من الدخول الى أرض الشام . فأمرع من كان في مرج الصفر الى مرج راهط واجتمعوا فيه لحماية مواشيهم وصد المسلمين . يستنتج ذلك من انسحابهم الى مرج الصفر بعد هزيمتهم في مرج راهط .

وبعد فليس في الأخبار ما يشير الى وقت اغارة خالد على القسائين والى صورتها . وبما ان أسلوب خالد في أكثر حروبه المباغتة ، بترأى لنا أنه باغت القسائين في مرعاهم وقت الصبح والاشارة الى ثنية العقاب في رواية الواقدي وروايات أخرى تخالف ما ذكرنا . ويؤخذ من رواية الواقدي أن خالداً وصل الى ثنية العقاب بعد اغارته على بني غسان . وهذا لا يتأتى لأن غوطة دمشق تبدأ بعد عذراء وليس فيها ثنية ، والثنية في اللغة طريق العقبة . والثنية التي صار اليها خالد وركز فيها رابته ينبغي أن تكون في نهاية الجبل الذي يمتد من الشرق الى الغرب في شمال ضمير ويطل منتهى الجبل المذكور على مرج عذراء وغوطة دمشق . وتمر بقربه الطريق بين دمشق وحمص ، بعد أن يتسلق الجبل ويتضح مما أورده ابن الأثير ان خالداً وصل ثنية العقاب بعد مصالحته لبني مشجعة في "قصم" ثم سار الى مرج راهط . ويستدل من ذلك انه بطريقه من حوارين الى دمشق مر بقصم . والطريق من النبك الى دمشق تمر بأراض جبلية وقبل أن تصل الى السهل الذي فيه مرج راهط تتسلق الجبل وتهبط منه الى السهل ، والثنية هذه في هذا الجبل كما بينا . واذا كان خالد قد قدم من سوى الى مرج راهط لمباغتة القسائين لماذا يبرج الى الجبال ويرفع رابته فوق الثنية ويكشف عن محله ؟ هل علم أنه لا يقدر على مباغتة القسائين اذا قدم من البادية ، لأن عيون عدوه كانت تترقبه ، لهذا عرج بعد ضمير الى الجبل وأغار على القسائين من الشمال بعد أن أخفى حركته في الأرض المتموجة ؟ أم أن حادثة الثنية وقعت بعد فتح دمشق ؟

ويظهر من رواية سيف أن خالدًا أغار على الغسانيين في مرج الصفر وكان عليهم الحارث بن الأثير ولم يشر سيف في روايته الى قتال وقع في مرج راهط على حين أجمع الرواة على وقوع هذا القتال . ويتضح من هذا أن رايه احتفظ بذكريات قتال مرج الصفر الرئيسي وأهم قتال مرج راهط الثانوي . وإذا كانت عيالات الغسانيين وماشييتهم في مرج الصفر ، كان ينبغي لهم بعد خزييتهم في مرج راهط أن يسرعوا الى مرج الصفر للدفاع عن عيالاتهم وماشييتهم . وفي هذه الحالة لا بد ان خالدًا لم يعلمهم ، بل طاردهم الى مرج الصفر . والمسافة بينهما على ما يبدو قصيرة . فهزمهم شر هزيمة ثم توجه الى بصرى . ليس في الروايات ما يشير الى عمل قام به خالد في طريقه الى بصرى . ويبدو من ذلك أنه بعد أن ظهر في أطراف عاد فأضاع أثره وظهر من جديد أمام بصرى . أما الأخبار التي تروي اغارة خالد على قرى القوطة وتزوله على أحد ابواب دمشق واعطائه عهداً لأستقيا وغير ذلك فيصعب تصديقها . ومع هذا فإن المدينة دمشق من شهرة ومكانة قد بعث أطباع خالد فجذبته الى المدينة . . لهذا جاز لنا أن نزعّم ان رجاله أغاروا في طريقهم على بعض قرى القوطة وان خالدًا مرّ بباب دمشق مر الخاطف .

### الخلاصة :

والذي يتلخص من بحثنا هذا ان خالدًا بعد استلامه أمر ابي بكر بالشخص الى الشام ، قرّر المسير اليها بطريق دومة الجندل ، فترك الحيرة بعد منتصف شهر آذار سنة ٦٢٤ فبلغ دومة الجندل وبدلاً من أن يسير على طريق وادي البر تقدم من الشمال محاذياً للوادي حتى وصل قراقر ومنها اعتزم اجتياز المفازة بين قراقر وسوى ، ثم تقدم رأساً الى مرج راهط فهزم الغسانيين في عيد فصهم في ٢٤ نيسان سنة ٦٢٤ ثم تقدم مسرعاً الى بصرى .

وبيّذه المناسبة تنشر فيما يلي ما كتبه الجنرال جلوب قائد الجيش العربي في الأردن في كتابه « قصة الكتيبة العربية » :

« وبينما كانت الجيوش العربية تقاتل الروم في السهول الفارسية ( العراق ) كان خالد بن الوليد يفرز مسلح الامبراطورية الفارسية . ولما ورد اليه أمر الخليفة يلح عليه بالكف عن حرب فارس ويطلب اليه الاسراع لتجدة جيش المسلمين امام دمشق ، وكان خالد قد فتح مدينتين من مدن العراق . وكانت خالد على بعد خمسمائة ميل عن زملائه في الشام ، تفرقهم بادية الشام التي لم يقطعها جيش في الحرب قبلاً ، ماعدا مرة واحدة ( يقصد بها حركة الكتيبة العربية من شرقي الأردن الى العراق في حوادث سنة ١٩٤١ ) ترك خالد العراق حالاً وسار عبر الصحراء الى واحة دومة الجندل ( تدعى الآن الجوف ) ومنها فتح وادي سرحان بوجهه الطريق الى الشام ، والوادي بطن طويل حافل بالآبار طالما قطعتة القوافل . وكانت الحصون الرومية تسيطر على انتهاء الشمالي . وبعد ان استق خالد الماء من قراقر دلف الى الشرق وتوغل في البادية بعيداً عن أنظار حاميات الروم في الشام . وبينما كان جيش الروم يقاتل العرب في السهول الواقعة الى جنوبي دمشق ظهر خالد من البادية بقتة وراء ظهرهم . وكانت هذه الحركة السريعة فوق طاقة جنود الروم المجهزين بالسلح الثقيل . لهذا بعث الروم مناصريهم العرب ، الأمراء الفسائين لطرد خالد من خطوط مواصلاتهم ، ولكن بني غسان منوا بهزيمة متكررة شرقي دمشق على بعد خمسين ميلاً . »

دلف خالد البادية وأخاع أثره للمرة الثانية وبعد أن التف وراء جبل الدروز ، انضم الى جيش المسلمين في السهول الممتدة جنوبي دمشق <sup>(١)</sup> .

بغداد : طه الهاشمي



# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع تكملة وتعليق

- ٥ -

## ٧ - ابن سراج :

وبأقرب ابن سراج ( ٤١٠ ) فيؤلف كتاباً في الإعجاز ليس له أثر الآن وإنما ذكره حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بين كتب الإعجاز وقال إنه في الإعجاز من حيث الأعداد ذكر فيه من واحد إلى ألف ولا ندري ما يقصد بهذه العبارة المقتضبة « من حيث الأعداد من واحد إلى ألف » وقد تساءل الراقمي أيضاً عن المقصود منها وحار في تعليلها .

وذكر السيوطي رأي ابن سراج في الإعجاز فقال ( الاتقان للسيوطي ص ١٩٨ ) : وقال ابن سراج : « اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشرين معشاره » ثم بعد ذلك أقوال الناس المختلفة في الإعجاز وأكثرها يتعلق بالبلاغة والفصاحة والنظم بصورة عامة ومعاني القرآن والنيب .

وتحسّن ترى من عبارة ابن سراج : « فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب » أو نستطيع أن نستنتج أنه كان يرى أن القرآن معجز بكل ما فيه فكل وجهات النظر والتواحي المختلفة التي قيلت في إعجازه صحيحة وهو لا يمتص الآراء المختلفة فيأخذ ببعضها ويتأى عن بعض وفيها التناقض كالقول بالصرفة والقول بالإعجاز الياضي فكلها عنده حكمة وصواب أو - كما يقولون - « خير وبركة » .

## ٨ - ابن حزم الأندلسي :

ويتكلم ابن حزم الأندلسي المتكلم في كتابه «الفصل في الملل والنحل» عن الإعجاز فيذكر أقوالاً عدة من مسائله ويرد عليها ثم يذكر رأيه فيها وفي وجه الإعجاز ويتلخص ما أورده في أمور :

أ - ذكر رأي الأشعري في أن المعجز هو القديم الذي لم يزل مع الله تعالى ورد رأيه لأن الإعجاز يطل حينئذ فلا يمكن تحدي الناس بشيء لم يروه ويرجع قول الجمهور في أن المعجز هو الذي بأيدينا .

٢ - يتعرض لزمان الإعجاز هل يقف عند حياة الرسول ، كما يقول بعض أهل الكلام الذين يرون أنه لو عارض في زمنهم لما بطلت المعجزة لأنها إنما قامت الحجة بها زمن النبي بعجز العرب عن معارضته ، أو إنه باق إلى يوم القيامة كما يقول جمهور أهل الاسلام وفيهم من كلامه أنه يرجع رأي الجمهور .

٣ - يذكر المعجز من القرآن فيقول إن قومًا يرون أن المعجز منه نظمه وقومًا يرون أنه إخباره بالغيوب ، وإن سائر أهل الاسلام قالوا كلا الأمرين معجز نظمه وإخباره بالغيوب .

٤ - يذكر قولين في وجوه إعجازه وهما القول بأنه في أعلى مراتب البلاغة والقول بالصرفه وهو يرفض الرأي الأول لأنه لو كان في أعلى درجات البلاغة لكان لا حجة فيه لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعبود ، وبأن الله لا يُسأل عما يفعل ولا يُقال له لِمَ عَجَزْتَ بهذا النظم دون غيره ، ولأنه يلزم من ذلك أن ينزل الله القرآن في جميع اللغات ليكون معجزاً للأعجم إعجازه للعرب لأن المعجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بأخبار العرب ويبدو من خلال تناوله الموضوع أنه يؤيد الثاني إلى جانب قوله بأن القرآن معجز لأنه قرآن فهو ينقد من يستشهدون ببعض الآيات دون

بعض على إعجاز القرآن كآية « ولكم في القصص حياة » فيقول إنهم لا حجة لم فيها لأنها إما أن تكون وحدها معجزة ويكون باقي القرآن غير معجز وإما أن يكون كله معجزاً فيكون الاستشهاد بها دون سواها موهماً بأنه ليس كله معجزاً ثم يتساءل عن الإعجاز في مثل هذه الآية : « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وموسى وأتينا داود زبوراً » كيف يظهر وكيف يبرهن عليه وهل احتوى شروط هؤلاء الجماعة في أن يكون الكلام في أعلى درجات البلاغة ثم يقول لو أن كل كلام جاء في أعلى درجات البلاغة معجز لكان كلام الحسن وسهل بن هارون و... و... معجزاً ولا يصح هذا لأنه يجوز أن يؤتى بما يائله وشرط الإعجاز عدم إمكان المماثلة ولأنه لو كان إعجازه كما يقولون لما اشترطوا أن يكون المعجز ثلاث آيات فأكثر ولكانت الآية أو جزء منها كافية في الإعجاز .

وهو يستند بأن القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث أن الله قد بلغ به ما أراد فهو في هذا المعنى في النهاية التي لا شيء أبلغ منها وليس هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من متوسطه ويرى القرآن معجزاً لأنه كلام الله تعالى والبرهان على ذلك أنه استعمل الحروف المقطعة في أوائل السور فلم يزل ذلك من بلاغته ولو استعمل رجل ذلك لبيب عليه لأنه خارج عن البلاغة المعهودة ويعقب على ذلك بما يفهم منه أنه يقول بالصرفة فيقول : « فصيح » أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق ثم يذكر أن القرآن حكى كلاماً قاله المخلوقون فكان معجزاً لأنه ورد في القرآن وصار قرآناً وليس معجزاً في كلام المخلوقين .

هـ - القرآن كله قليله وكثيره معجز في رأيه ولذلك يخطبهم رأى الأشعرية القائل بأن أقل المعجز مقدار أصغر سورة محتجين بقوله تعالى : « فأتوا بسورة

من مثله « بأن الله لم يقل بأن ماهو أقل من السورة ليس معجزاً ويذكر أن سائر أهل الاسلام على هذا الرأي ويقول : « ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز » .

وبفصل في تقد من يحملون أقل المعجز مقدار سورة فيتساءل عن المقصود بالسورة ماهو ؟ عدد آياتها أو عدد كلماتها أو عدد حروفها فإذا كان المعجز سورة كاملة كانت سورة البقرة إلا آية منها غير معجزة وإن قالوا مقدار السورة آيات وأقلها ثلاث كانت آية الدين غير معجزة وكان « والفجر وليال عشر والشمع والوتر » معجزاً مثل سورة البقرة وكان « والضحى والفجر والعصر معجزاً » ؛ فأثبت قالوا من متفرقات فلا يكون فيهن إعجاز سقط الإعجاز عن ألف آية متفرقة وإمكان المجيء بثلاثها وذلك يطل الإعجاز عن القرآن وكان « ولكم في القصص حياة » غير معجز وهذا تقض لقولهم إنه في أعلى درجات البلاغة وإن قالوا إن المقصود بذلك عدد الكلمات أو عدد الحروف بطل احتجاجهم لقوله تعالى : « فأتوا بسورة من مثله » لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس سورة ولم يقل تعالى مقدار سورة وبذلك يلوح تنويعهم ، ثم يناقض ابن حزم قول من يقول إن المعجز عدد السورة حروفاً بنفس الطريقة ويرده ويتابع المناقشة فيقول : إذا كانت الآية منه أو الآياتان غير معجزة وكانت مقدوراً على مثله فكل القرآن يكون حينئذ مقدوراً على مثله وهذا كفر فإن قالوا إذا صارت ثلاث آيات صار غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم إن إعجازه هو من طريق البلاغة لأن طريق البلاغة في الآية مثله في الثلاث .

وخلاصة رأيه أن القرآن معجز لأنه قرآن فكل كلمة فيه معجزة وكل حرف فيه معجز إذا عد من القرآن فإذا لم يعد منه لم يكن معجزاً كما لو ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً وأن القرآن استعمل أشياء تخالف البلاغة فيما لو كانت في كلام الناس وعدت فيه معجزة مثل ادخاله معنى دخيلاً بين معنيين لا يكون بينهما في العادة .



وعلى هذا فإن ابن حزم لا يرى القرآن معجزاً ببلاغته وأن في استطاعة الناس أن يأتوا بمثله بلاغة مع اعترافه بأنه في أعلى طبقات البلاغة . ونراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين فهم يجعلون إعجاز القرآن وسيلة إلى إثبات أنه منزل من عند الله وإثبات النبوة وهو يعكس الأمر فيجعله معجزاً لأنه كلام الله وقد سبقه إلى هذا بشار الفارسي فيما رواه التوحيدي ( الاتقان للسيوطي ، فصل الإعجاز ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٢ ) . ومن سميات ابن حزم أنه يستعمل حججاً قوية في الرد على من يقولون بالإعجاز البلاغي . وأرى أنه عرض رأيه عرضاً حسناً قوياً وإن كنت أرى أن القرآن يمتاز في جملة ما يمتاز به بأنه في الدرجة العليا من البلاغة .

### ٩ - الخفاجي :

ومن له رأي في الإعجاز في هذا العصر ابن سنان الخفاجي الحلبي ( ٨٤٦ هـ ) وقد أورد آراءه في الإعجاز في كتاب « سر الفصاحة » في علوم اليان وهو يرى فيه أن علم الفصاحة ضروري للأديب ليحسن قول الكلام وتقده . ( سر الفصاحة للخفاجي ص ٣ و ٤ ) كما أنه ضروري للعلوم الشرعية لأن المعجز الدال على نبوة محمد هو القرآن ويقول إن هناك قولين في الخلاف الظاهر فيما به كان القرآن معجزاً القول الأول خرق العادة بفصاحته وعلم الفصاحة ضروري للقائل بهذا حتى يعلم بجم خرق العادة . والقول الثاني هو أنه معجز بصرف العرب عن معارضته مع أنها في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم وهو يرى أن مسئلة لم يأت بما يصح أن يسمى معارضة للقرآن لأن كلامه خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص .

وهو يذكر تقسيم الروماني لتأليف الكلام إلى ثلاثة أصرب متافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا وينكر عليه هذه التسمية ويجعلها

قسمين متافراً ومتلائماً وبذكر أن بعض المتلائم أكثر تلاؤماً من بعض كما يخالفه في قوله بأن القرآن متلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى وهو يعني بذلك جميع كلام العرب فليس الأمر على ذلك ويرى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في ناحية الفصاحة وأن في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه وهو ينكر على الرماني لجوءه إلى هذه الحجة ليثبت للقرآن الإعجاز . والوجه الصحيح عنده هو الصرفة وفي هذا يقول : « وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك » وهو تفسر رأي الشريف المرتضى في الصرفة الذي قلنا إنه يخالف رأي النظام قليلاً .

ويكمل الرد على رأي الرماني بأن القرآن يتألف من ألفاظ مفردة جاءت في كلام العرب سواء إذا ادعى أن القرآن في الدرجة العليا أو في الدرجة الوسطى منها ولا يرى للقرآن ميزة من حيث تلاؤم الكلم وبورد رأيه الخاص في تنافر اللفظ فيقول قد يحصل من تقارب مخارج الحروف كما يحصل من تباعد مخارجها ويضرب لذلك أمثلة عدة .

وينكر الخفاجي قول القائلين بأن كل أقسام القرآن معجزة ومتساوية في الفصاحة ويقول إن بعض القرآن أفصح من بعض ويقدم أمثلة مؤيدة لرأيه عدة آيات ثم يمثل لرأيه هذا بقوله متسائلاً : « وليت شعري أي فرق بين أن يخلق الله وجهين أحدهما أحسن وأصبح من الآخر وبين أن يحدث كلامين أحدهما أبلغ وأفصح وهل يفرق بينهما إلا مقترح » .

ولا يرى مانعاً من أن يكون بعضه أفصح من بعض لأن التوراة والإنجيل والزبور وهي كلام الله لم تكن معجزة لخرقها المادة بالفصاحة ويقول إنما منعهم عن القول بهذا أنهم جعلوا إعجازه في خرق المادة بفصاحته فكيف يكون بعضه أفصح من بعض . وهو ينقض رأيهم هذا بأنه لا مانع حتى في

هذه الحالة من أن تتفاوت المعجزات في العظم ويرجع الى القول بأن إعجاز القرآن إنما هو بالصرقة وليس يلوغ الغابة في الفصاحة .  
 وخلاصة ما أتى به الخفاجي أنه لا يرى فصاحة القرآن كافية لإبرهات على إعجازه ويقول بالصرقة على طريقة المرتضى ويرى أن بعض القرآن أفصح من بعض وهذا الرأي الأخير صحيح في اعتقادي وقد ذهب إليه ابن حزم كما رأينا حين عرض رأيه .

### ١٠ - عبد القاهر الجرجاني :

ويأتي عبد القاهر الجرجاني فيتزعّم نظرية النظم في إعجاز القرآن فقد فصل فيها وعرضها عرضاً مستفيضاً وانتقل بها من حيز الألفاظ الى حيز المعاني .  
 وهو متكلم وأديب . ويمتدح كثيرون بأنه أول من ألفت في علم البلاغة . والجرجاني أول من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي .  
 وكتابه دلائل الإعجاز دليل على أن البلاغة في شكها العلمي ظهرت من فكرة إعجاز القرآن . فهو إنما كتبه إذن لغرض ديني . ويناقش عبد القاهر مسائل في البلاغة والنحو ويقول بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها وقد ألفت الجرجاني كتاباً آخر في البلاغة هو كتاب « أسرار البلاغة » . وبه يتم ما بدأه في دلائل الإعجاز إلا أنه يهتم بصفة خاصة في بيان قيمة البلاغة وسموها من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس ومن حيث مراعاة أحسن الطرق لفهام النفس الإنسانية ما يريد أن يؤديه المتكلم .

وقد سبق أن ذكرت أثناء عرض آراء الخطابي أن للجرجاني شرحين على كتاب الخطابي كبيراً سماه المتخذ وصغيراً وأنها كانتا مقدمة لوضع كتابيه المشهورين : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ويمكن تلخيص آراء الجرجاني :

أ - لا يقوم إعجاز القرآن في رأيه على الأغراض الأدبية المقصودة في وضع الكلام من حيث معانيها العامة كوصف الكريم بأنه كالبحر أو وصفه بالكريم بصورة مجردة بل بالصورة الجميلة التي تنقل المعنى من السذاجة إلى الحلية في التعبير والجمال في الأداء وحسن العرض للمعنى ببيان ثانوية فرعية تكمله وتضفي عليه جمالاً وخلابة فيحسن فيه التصوير ويقوى المعنى بما يستعمله المنشي من أساليب النظم البلاغية من تقديم وتأخير واستعارة على ما تبحث فيه علوم المعاني والبيان والبديع . وليس الكلام عنده معجزاً لأنه حكمة . وليس الإعجاز أيضاً في تلاؤم الألفاظ مفردة أو مركبة ( دلائل الإعجاز ص ١٩٦ ) فانها موجودة كذلك في كثير من كلام العرب وإنما هو في حسن النظم . وهو يرى النظم قائماً على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود بجمال وقوة . ويتم نظم هذه المعاني نظماً متلائماً بالاستعانة بعلم النحو في معناه الواسع في مفهوم عبد القاهر وهو يشمل علي النحو والبلاغة . فنحن لا تقدم ونؤخر في الكلام أو نقوم بعمل فيه فنستعمل المعاني والقواعد النحوية إلا لخدم المعنى وتحسن سبكه فتجيد التلاؤم بين معاني الألفاظ . فالنحو بمعناه الواسع إذن خادم لنظم المعاني وليس خادماً للألفاظ ( ص ٣٥ من دلائل الإعجاز ) وقد كسر عبد القاهر الجرجاني كل كتابه دلائل الإعجاز على شرح هذه الأنظار وعرضها والرد على مخالفها وتقض ماسواها وقد أحسن في عرضها كل الإحسان وإن كان قد أهمل ناحية موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركبة إهمالاً لا يفتقر له ولعله إنما بالغ في نصرة المعاني لمبالغة غيره في نصرة الألفاظ بمجرد رد الفعل النفسي الذي يقابل المبالغة بمبالغة مثلها أو أشد منها تعاكساً في الاتجاه .

ب - يذكر عبد القاهر أن التي قد تحدى العرب الذين عرفوا المقصود من هذا التحدي ولكنهم عجزوا عنه .



٣ - ليس الإعجاز بمعاني الكلمات المفردة وإنما هو باجتماعها منظومة لتؤدي معنى شاملاً كما قلنا وليس كذلك في الموازنة بين كلمات وكلمات القرآن حركة ومسكوناً وإلا كان ميسلة قد قلد القراءات .

٤ - ليس إعجاز القرآن في مراعاة القواطع والفواصل فليس ذلك بأصعب من مراعاة الوزن والقافية في الشعر ويذكر أن العرب كانوا قادرين على مثل ذلك كما يذكر أن أحدهم ألف كلاماً له فصول وربما كانت يقصد المعري (ص ٢٩٦ - ٢٩٧ من دلائل الإعجاز للجرجاني) .

٥ - يذكر قول الجاحظ (ص ٢٩٨ من الكتاب المذكور) الذي يستفاد منه أن العرب أدركوا بالحدس وفي سريرة نفوسهم بلاغة القرآن وعجزوا عن مجاراتها ثم يقول الجرجاني إن العرب لم يفهموا من الإعجاز الفواصل والسكنات والحركات بدليل أنهم لما قارنوا بين : « ولكم في القصص حياة يا أولي الأبصار » وبين « قتل البعض إحياء للجميع » لم ينظروا إلى ذلك بل إلى بلاغة المعنى . وأنا أشك في أن هذه المقارنة قد حصلت فعلاً زمن النبي وأميل إلى أنها حصلت بعده بزمان طويل في عهد الترجمة وإلى أن الجملة الأخيرة « قتل البعض إحياء للجميع » قد ترجمت عن كتب أجنبية .

٦ - يشنع على القائلين بالصرف (ص ٢٩٩ من الكتاب نفسه) وينقض رأيهم بأنه إذا كان الأمر كذلك فلماذا يهرم القرآن إذن . أولست دهمتهم أشي . وجدوه فيه غريباً وفوق طاقتهم ؟

٧ - لا يمكن أن يكون الإعجاز في الاستعارة وما يتعلق بالبدیع لأنها ليست موجودة في كل آيات القرآن وهو يسير في هذا على غرار القاضي الباقلاني .

٨ - - يعني عبد القاهر على من يجعل الإعجاز في استعمال غريب الألفاظ

كما يعني على من يجعلونه في استعمال الألفاظ السيئة الخالية من الثقل على اللسان (ص ٣٤ من دلائل الإعجاز) .

- ٩ - إنما كانت معجزة النبي بلاغة القرآن لأن معجزة كل نبي كانت في الناحية التي اشتهر بها قومه . ( ص ٣٦٥ منه ) .
- ١٠ - ينكر أن يكون القرآن معجزاً لمجرد كونه كلام الله - وهو رأي ابن حزم وبندار الفارسي - ( ص ٣٩٨ منه ) .
- ١١ - لا ينكر في موضع ( ص ٤٠١ ) من كتابه شأن خفة الحروف في النطق في فضيلة الكلام وإنما ينكر أن تجعل وحدهما سبيلاً الى الإعجاز .
- ١٢ - يؤمن بأن عمدة إدراك البلاغة في النظم والإعجاز فيه هو الذوق والاحساس الروحي وكثرة الإطلاع على كلام العرب . ( ص ٤١٨ من دلائل الإعجاز ) .
- وهنا لا بد لنا من القول بأن عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كان قدوة من جاء بعده من المؤلفين في البلاغة وإعجاز القرآن ببيانه وأنه بعد مرن الفكر في جملة الإعجاز في شيء غير محسوس تماماً . وليس لنظريته قوة البرهان الرياضي الذي ينفي أو يثبت بالأدلة العقلية المشتركة بين كل الناس . وإنما يقوم الإعجاز في نظره بالمعاني وبدرك الذوق . وذلك بوضعه نظرية مرنة اذا تأملناها أدركنا أنها تساعد المؤمن بإعجاز القرآن على دعم إيمانه ولكنها لا تقنع المنكر أو الملحد وذلك لأث الاتناع فيها قائم على الذوق الأدبي الفني وعلى شيء من الشعور الديني ومحال أن يجد الملحد أو الشاك في القرآن من الروعة والجمال ما يحده المؤمن وقد يكون كتاب آخر يؤيد عقيدته وأفكاره أروع عنده من القرآن . ولا يتيسر أن يتفق الناس في تقدير الجمال في القول كما أنهم لا يتساوون في تقدير الجمال المدرك بالحوس . ونرى أن مقاييس الجمال ، حتى ما وضع منها في عصرنا معها بلغت من الدقة ، لا توحد أذواق الناس .
- فنظرية عبد القاهر إذا لا تحسم اختلاف وإن كان ما جاء به يبدو مسلماً به في تصور الكلام البليغ لاسيما وأنه قد أحسن عرض نظريته . ونستطيع أن نلمس من كلامه أنه مفكر استفاد مما ذكره سابقوه وما كان مقلداً أو جامعاً لأرائهم

بل هو مبتكر ليس نظرية النظم ثوباً قشياً وتقلها من حيث الألفاظ إلى حيز المعاني . ومع أن قواعد البلاغة التي جاء بها ليست بقاطعة كما قلنا في حسم النزاع فانها على كل حال محاولة جدية مجدية تساعد على تذوق الأدب وفهمه وكتابته وصراغة الصحة والجمال فيه . وقد أفرغ هذه القواعد التي جاء بها عبد القاهر من جاء بعده من علماء البلاغة في قوالب جامدة جافة ذهبت بعلم البلاغة عن غايته وأبعدته عن التجديد والابتكار وأخضعت للمنطق والتعنت الفلسفي العقلي وأهملت ما يساعد على تنمية الذوق الأدبي كما أنها لم تكمل ما أنقصه عبد القاهر ولم تكن إلا عالة عليه وعلى من عاصروه أو سبقوه .

ولم تكن مهمة السكاكي أول من صنف وبوّب هذا العلم بالشكل الذي نعرفه الآن إلا اختصار ما جاء به عبد القاهر وتبويبه والاسترسال في إخضاعه للبراهين المنطقية والنأثيرات الفلسفية .

وبالانتهاى من الكلام على عبد القاهر أنهى من الكلام على من درستهم من ألفوا في فكرة الإعجاز في هذا العصر وكان لهم بحث أو اجتهاد فيها .

### تلخيص وتقد :

إذا أردنا أن نعرض فكرة عامة عن هذا العصر قلنا : إن كثيراً من الباحثين في الإعجاز كانوا مجرد جامعين لآراء من سبقهم أو مقلدين وإنه قد ظهر القول بصورة أصرح في نظرية أن القرآن معجز لأنه كلام الله على لسان ابن حزم وظهر قول داعي الدعاة بأن القرآن معجز بما فيه من معاني الحكمة ويبدو واضحاً في زمن عبد القاهر الجرجاني أن التيار الفكري كان متجهاً نحو الإعجاز بالألفاظ فخشي من ذلك عبد القاهر على فكرة الإعجاز أن تزول إذا وجد بين الأدباء من يستطيع معارضة هذه الصنعة اللفظية فتأخر فكرة النظم القائم على تلازم المعاني في خدمة العرض العام المقصود تلازماً يراعى فيه التصوير وحن التعبير والصياغة . وظهر القول بأن بعض القرآن أفصح من بعض على لسان ابن سنان الخفاجي .

## القرن السادس

أشهر من تكلم في قضية الإعجاز في هذا العصر مشكلمان : أحدهما له أبحاث واسعة في الفلسفة وهو الغزالي والثاني مؤلف في السيرة النبوية وهو القاضي عياض ، ومفسران أحدهما من المعتزلة وهو الركني والثاني ابن عطية ، وفيلسوف كان يسعى الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية ومبادئ الدين الاسلامي وهو ابن رشد . وسأتحدث على كل واحد منهم على حدة فيما يلي .

## ١ - الغزالي :

يرى الغزالي أن القرآن موق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين ( الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها ) وكان يذهب الى أن في القرآن جميع العلوم الدينية والدينية وأنها كاملة في مطابقه لا يدركها الا العالمون فكأنه يرى أن هذا وجه من وجوه الإعجاز لأنه انما ذكره قاصداً به أن يبين عظمة القرآن . قال الأستاذ أمين الخولي بعد ان ذكر فكرة اتساع القول في احتواء القرآن «جمل العلوم جميعاً واشتماله الى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية وظاهرة وخفية سائر علوم الدنيا : « والغزالي الى عهده كان أكثر من استوفى بيان هذا القول ( الإحياء الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ) وأن في القرآن رموزاً ودلالات على كل ما اختلفت فيه الخلائق في النظريات والمقولات والقرآن يشير الى مجامع العلوم كلها ويعد أن يذكر الغزالي العلوم ويذكر أن منها ما سوف يوجد ومنها ما اندرس يذكر أن اوليات العلوم كلها في القرآن فإنها جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ..... ويشير أخيراً الى أنه لو ذهب بفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة الى مجامعها » .



وبلاحظ أن الغزالي بين المؤلفين الذين تكلمنا عنهم حتى الآن هو أول من يعرض لهذه الفكرة القائلة بأحواء القرآن على جميع أوليات العلوم الدينية والدينية ومنرى كيف يتوسع فيها المتأخرون .

## ٢ - القاضي عياض :

وللقاضي عياض ( ٥٤٤ ) في كتابه « الشفاء » ص ٢١٦ - ٢٣٧ ط دار السعادة سنة ١٣١٢ ) رأي في الإعجاز أورده السيوطي في الاتقان ( ج ٢ فصل الإعجاز ) وخلاصته أن إعجاز القرآن في الإعجاز والبلاغة والأسلوب الغريب والإخبار بالمفنيات والإخبار عن الأمم الماضية على أمة التي وتعجزه أيضاً لقوم في قضايا لم يفعلوها كقوله لليهود : « فتمتروا لموت ان كنتم صادقين » ومن فضائله الروعة في قلوب السامعين - ويذكر بهذه المناسبة اسلام جبير بن مطعم حين سمع النبي يقرأ في صلاة المغرب سورة الطور - وأنه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه وأنه لا يخلق على كثرة الرد وجمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب وذلك في كلمات قليلة وأحرف معدودة .

وتبين من رأي القاضي عياض في الإعجاز أنه لم يأت بجديد وإنما خلاص تقريباً رأي الباقلاني وزاد عليه جمع القرآن علومًا ومعارف لم يجمعها كتاب قبله على إعجازه . ويعرض لرأي الصرفة أثناء كلامه فلا ينكر هذا القول بل يثبت إثباتاً مبعاً ضعيفاً ويقول إنه على هذا القول أيضاً معجز .

## ٣ - الزمخشري :

يبني الإمام الزمخشري ( ٥٣٨ ) فكرة الإعجاز في الكشف على خصائص الكلمات والنظم في التعبير ويوافق رأي الجرجاني قليلاً فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتكثير وتقديم وتأخير ثم على ما يتصل بعلم اليان ويذكر الدكتور محمد خليل الخطيب في مقدمة حسن الصنيع للبسيوني - وأدافقه على رأيه -

أن الامام الزمخشري ينبغي أن يعدّ بعد عبد القاهر في صدر الواضعين لفن البيان ويذكر بهذه المناسبة رأي ابن خلدون في «أن ثمرة فن البيان فهم الإعجاز من القرآن وأن المفسرين أحوج الناس الى هذا الفن وأن أكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير» .

ومن الحق أن تقول إن الامام الزمخشري يعدّ بين المفسرين أول أو أكثر من اهتم يبحث البيان في القرآن وإلى جانب تطبيقه العملي فن البيان في إظهار إعجاز القرآن نراه أثناء تفسير آية التحدي في سورة الإسراء : «قل لئن اجتمعت الانس والجن ... الخ الآية» يقول بضرورة كون القرآن مخلوقاً حادثاً حتى يكون معجزاً ويصح به التحدي فإن كان قديماً كان محالاً على البشر ولا يصح أن يتحداهم النبي به فيقول : «والعجب من النوابت - بقصد بهم نوابت أهل السنة - ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثنائي القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال - فان رأس ما لهم المكابرة وقلب الحقائق» .

وقد ردّ عليه في هذا الشيخ ناصر الدين احمد بن محمد الاسكندري المالكي (٦٨٣) وقال بأن اعتقاد أهل السنة يقوم على أن مدلولات العبارات قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن كما أن الألفاظ الدالة التي بين أيدينا يطلق عليها قرآن ايضاً والتحدي به والمعجز هو الدليل أي الألفاظ الدالة لا المدلول وإنما يتحرز العلماء من اطلاق هذا القول لسببين الأول أن اللف كفوا عنه

فاقتفى الخلف آثارهم والثاني أن هذا القول ربما أوهم الضعفاء بأن مدلول القرآن حادث لا قديم . ( تعليقات الاسكندري على كتاب الكشاف في الحاشية ) .  
وكذلك علق الشيخ محمد عليان المزدوقي في الهامش المطبوع مع الكشاف على قول الزمخشري بكلام له نفس معنى كلام الاسكندري . وكلام الزمخشري يدلنا على أن مسألة خلق القرآن كانت ولا تزال قيد بحث علماء الكلام حتى عصره .

ويذكر الزمخشري أثناء تفسير آية سورة البقرة « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » أن الله جاء في هذه الآية بما هو الحجة على إثبات النبوة وذلك حين يتحداهم فيدركون عجزهم ويعلمون أنه من عند الله .

ويقول الزمخشري في مقدمة تفسيره ما معناه إنه لا بد من علم اليان والمعاني لا إدراك معجزة رسول الله ومعرفة لطائف حججه وأن يوجد ذوق في الفكر والادراك ودراية بأساليب النظم والنثر ويقول إن القرآن معجز على وجه كل زمان ودليل إعجازه سكوت العرب عن معارضته مع كثرة عنادهم وتوفر دواعيهم واشتهارهم بالآفة .

وآراء الزمخشري جاءت في تفسيره ولم أعرف أنه وضع في هذا البحث كتاباً خاصاً أو أفرد له باباً .

( يتبع )

نعيم الحمصي

# تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية

( في العهود التالية لأيام العباسيين )

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة ١٢٣٥ هـ - ١٩١٢ م

- ٢ -

## ٢ - عهد الجلائرية

وفي عهد الجلائرية ، وهم مغول أيضاً ، ظهر عدة علماء الا ان العناية كانت أقل لما طرأ على الدولة من ضعف وان لم ينقطع الاتصال بعلم الفلك وانما مضت على اطرافها ، وأبقت الدولة الوضع على حاله .

ومن العلماء المشهورين :

١ - صفي الدين بن عبد الحق :

هو ابو الفضائل عبد المؤمن بن كمال الدين البغدادي . وكان معروفاً بالفرائض ويعلم حجة . وكان يعرف الهيئة والحساب معرفة جيدة . كان في عهد المغول وأدرك دولة الجلائرية . ومن مؤلفاته :

١ ( المعرفة بدلائل القبلة . وظهرت بعد ذلك مؤلفات عديدة في هذا الموضوع .

وتوفي سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨ م <sup>(١)</sup> .

٢ ( شمس الدين بن الأكفاني :

هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري ( السنجاري ) المعروف

---

(١) الشذرات والدرر للكامنة وطبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ٦٠ .

وتاريخ العراق ج ٢ ص ٣٢ .

م (٧)



بـ (ابن الألفاني) . كان من أبرز العلماء في الفلك والرياضيات والتنجيم .  
ومن مؤلفاته :

- ( ١ ) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد . وهذا الكتاب يتن فيه أموراً مهمة .  
في هذه العلوم خاصة وعين الكتب المعتمدة في الرياضيات والفلك والاختيارات .
- ( ٢ ) الباب في الحساب . منه نسخة في أياصوفيا . توفي سنة ٧٤٩ هـ بمصر <sup>(١)</sup> .

### ٣ — جمال الدين الباصري

هو ابو العباس جمال الدين احمد بن علي بن محمد الباصري البغدادي الحنبلي  
الفقيه الفرضي الأديب . ولد سنة ٧٠٧ هـ . برع في الفرائض والحساب .  
وتوفي سنة ٧٥٠ هـ <sup>(٢)</sup> .

### ٤ — عبد الصمد النجم التبريزي :

توفي أيام السلطان أويس من الجلائرية . له في فن الحياة وأحكام النجوم  
اليد الطولى . وما قال فيه يرمان الدين المدني :

« نظام الدين عبد الصمد بن ابي البركات النهشلي الشافعي التبريزي . . .  
له اليد الطولى في علم الفلك وأحكام النجوم وما يتعلق بذلك على الدين والأمانة .  
ولد سنة ٧٠٣ هـ وحج سنة ٧٦٢ هـ وفي آخر الوقت ولي قضاء قضاء تبريز » اهـ <sup>(٣)</sup> .

### ٥ — المولى شمس الدين العصار :

هو شمس الدين الحاج محمد العصار . من المشهورين في عصر السلطان أويس  
من الجلائرية . ويعدُّ من علماء الفلك والرياضيات والاسطرلاب . وهو من تلاميذ  
عبد الصمد النجم . توفي في أيام السلطان أحمد الجلائري سنة ٧٩٢ هـ <sup>(٤)</sup> .

(١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ١١٥ والوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٦٦ .

(٣) دانتندان اقريجان ص ٢٥٦ .

(٤) » » ص ٢٧٥ .

هذا وعلوم الفلك مضت على اطرافها في هذا العهد الا ان المدونات قليلة جداً . وكانت علاقة الجلاثرية ببغداد كبيرة . وبعد علماء هذه الدولة من علماء بغداد أو الواردين اليها .

### ٣ - الدولة التيمورية

استولت هذه الدولة على بغداد سنة ٧٩٥ هـ - ١٢٨٣ م . واختارت جماعة من علماء بغداد ورجالهم في الفن والعلم والمهندسة والبناء . وكانت علوم الفلك نشأت في بلاد الترك أيام المغول . وظهر الأستاذ الجفميني . والفضل الكبير في تقدم هذا العلم يرجع الى أحد أحفاد تيمور وهو أولوغ بك ابن شاه رخ ابن تيمور . وكان تيمور قد ركن اليه غالب رجال البلاط الجلاثري . وبينهم الفلكيون والمتجمنون . فاستفاد أولوغ من ثقافة هؤلاء .

رعى هذا العلم ، وجمع علماءه . وبينهم ايرانيون وترك . وبني رسداً مدة سلطته بمرقند أو بالتعبير الأصح كانت امارته في مرقند مستمدة من والده شاه رخ . ولها بعد وفاة جده ودام الى أن ملك بعد والده . ولد في حدود سنة ٧٩٠ هـ . وتوفي سنة ٨٥٣ هـ <sup>(١)</sup> . وكان من تصانيفه :

(١) النزل المنكوس السني .

(٢) الزيج الأولوغ يكي . وسماه ابو الثناء الأتومي بـ (سلطان الاثرياج) . ولقد صرفت عناية كبرى بهذا الزيج ودام العمل به أكثر من الزيج الايلخاني ومنه نسخ عديدة في بغداد والشام وغيرهما . شرحه علي القوشجي وميرم جلي ، واختصره محمد بن ابي الفتح الصوفي المصري . وعرب باسم (تذكرة الفهم في عمل التقويم) ، و (التسهيل) لهذا الزيج من تأليف عبد الرحمن الصالح الموقت بالجامع الأموي وهو محلول أولوغ بك . وشرحه البرجندي في سنة ٩٢٩ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس . وعندني نسخة منه .

(١) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٦ وغيره .

عني به حق العناية واشتريكت فيه رجالات العلم من مختلف الأقطار ،  
ولم يحل محله الزيج الهندي الا بعد حين ثم حل محله الزيج المعروف بالكاسيني  
ثم (زيج لالاند) . وهذه ظهرت في الغرب ونسخت سائر الأزياج .

والدر-النظيم في علم التقويم على أصول رصد أولوغ بك . منه نسخة لدى  
الأستاذ احمد عبيد وأخرى في الخزانة الشرقية . ومؤلفه محمد بن عبد الرحمان  
العقيقي الشافعي . ورد ذكر مؤلفه في المشرق ج ٣ ص ١١٢٩ .

ومن العلماء في الفلك أيام الدولة التيمورية :

١- غياث الدين جمشيد الكاشي ، وله :

(١) تزمة الخدائق في كيفية صنعة الآلة المسماة بالطبق الناطق . رسالة باللغة  
العربية طبعت على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في آخر مفتاح الحساب وعليها ذيل ألحق بها  
وطبع معها . ألفه في شعبان سنة ٨٢٩ هـ .

(٢) رسالة الوتر والجيب .

(٣) الزيج الخاقاني بالفارسية . قدمه الى أولوغ بك حين قدم الى سمرقند  
وقبل أن يكتب الزيج الأولوغ ييكي . وعندني نسختان منه احدهما كاملة  
والأخرى ناقصة الورقة الأولى . ومنه نسخة في اياصوفيا .

(٤) سلم السماء في الهيئة . طبع على الحجر .

(٥) مفتاح الحساب بالعربية . منه نسخة في (خزانة يكي جامع) . وطبع  
على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في ايران وفي آخره تزمة الخدائق مع ذيلها . وتلخصه  
مصنفه وسماه (تلخيص المفتاح) . ومنه نسخة مشروحة في خزانة المتحف العراقي .  
وذكره صاحب كشف الظنون في مادة (أسمان المفتاح) .

(٦) زيج التسيلات .

٢- السيد الشريف الجرجاني :

هو الشريف علي بن محمد الجرجاني . ومن مؤلفاته :

(١) شرح ملخص الهيئة للجفميين . منه نسخة في خزانة الظاهرية بدمشق  
كتبت سنة ٨٧٠ هـ . وفي خزانة الأوقاف العامة وفي خزائن أخرى عديدة .

(٢) حاشية على التحفة الشامية . الأصل لقطب الدين الشيرازي .

(٣) شرح التذكرة للطوسي . توفي سنة ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م .

٣ - قاضي زاده الرومي :

هو موسى بن محمد بن محمود القاضي بپروسة المعروف بـ ( قوجه ملا محمود ) .  
نال حظوة كبيرة لدى أولوغ بك . أخذ عن المولى الفناري ومن مؤلفاته :

(١) شرح الملخص للجفميين . أكمله سنة ٨١٤ هـ . وهو من كتب الدرس .

منه نسخة بخط يده في خزانة أياصوفيا . وعليه حاشية للبرجندي .

(٢) رسالة في القوس قزح .

(٣) شرح أشكال التأسيس . والأصل للعلامة شمس الدين محمد بن أشرف  
السمرقندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ ( كذا ) . وعليه حاشية لمير ابوالفتح  
المتوفى سنة ٩٧٦ هـ . وحاشية لعبد البر العوفي كتبه باسم محمد صادق بن محمد افندي  
المعروف بـ ( شيخ زاده ) . وهذا من كتب الدرس أيضاً .

(٤) رسالة في استخراج الجيب . ولعبد الوهاب من أهل قواله مؤلف بهذا  
الاسم . وطبع مع حاشية محمد الحاج بن أبي نصر العراقي سنة ١٢٦٨ هـ .  
(٥) سمت القبلة . ذكره صاحب كنه الأخبار .

مات في ما وراء النهر في منتصف المائة التاسعة . وعلى قول سنة ٨١٥ هـ .  
ولم يبين لنا وجه الصواب من هذه الأقوال في تاريخ وفاته (١) .

(٦) رسالة في الحساب . وعليها شرح في خزانة الشهيد علي باشا باستنبول .

٤ - علي القوشجي :

هو المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بـ ( القوشجي ) . كان من تلامذة

قاضي زاده الرومي . وعرف بأكمال رصد سمرقند ومن رجال أولوغ بك .

(١) الآثار الباقية لصالح زكي . والتران السلي م ٢٣٢ .



ومن مؤلفاته :

- ( ١ ) فتحة في الحياة . ألفها لما ذهب السلطان محمد لمحاربة حسن الطويل .  
وقد اشتهرت شهرة عظيمة . شرحها أحد تلامذته العلامة سنان المتوفى سنة ٨٩٨ هـ  
ولعله مصلح الدين اللاري المعروف بـ ( عجم سنان ) . وشرحها ميرم چلي المتوفى  
سنة ٩٣١ هـ . وترجمها الى التركية سيدي علي رئيس المتوفى سنة ٩٢٠ هـ وسميت  
ترجمته ( خلاصة الحياة ) . وترجمها المولى پرويز بالتركية سنة ٩٨٧ هـ . وسميها  
( مرعاة السماء ) .

( ٢ ) رسالة في حل أشكال القمر .

- ( ٣ ) شرح التحفة الشامية . شرحها بقال أقول . وصل به الى بحث الدوائر .  
وله تعلية على المتن الى الباب التالي .

( ٤ ) الرسالة المحمدية . منها نسخة في خزانة الأشهر .

( ٥ ) شرح زيج أولوغ بك .

( ٦ ) مجموعة في النجوم . منها نسخة في الخزانة الحميدية باستنبول .

( ٧ ) مسرة القلوب في دفع الكروب .

وتوفي سنة ٨٧٩ هـ -- ١٤٧٤ م .

ولم تنقطع العناية بالفلك بوفاة أولوغ بك . فان ركن الدين بن شرف الدين  
الحسيني الآملي كتب ( الزيج الجامع السعدي ) . تقع به الزيج الايلخاني .  
كتبه بالفارسية لأميرزاده ابي القاسم بايرپادشاه وجعله باسم السلطان ابي سعيد  
كوركمان سنة ٨٦٠ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس الايراني كتبت سنة ٨٨٩ هـ  
كما ان له ( پنجاه باب سلطاني ) في كليات الأعمال ومعركة الاسطراب .  
ومما كتب ( زيج ملخص ميرزائي ) تأليف عبد القادر بن حسن الروياني .  
كتبه بالفارسية وقدمه الى السلطان ميرزا علي .

ومن الأزياج (زيج هندي محمد شاهي) • تأليف محمد علي الشهير به (ميرخان) •  
كتبه سنة ١١٣١ هـ • ثم ان الشاه محمد عمل رسداً • وأرسل جماعة من العلماء  
لمراجعة أزياج أوروبا وتحقيق الزيج فقاموا بما عهد اليهم وكتبوا زيجا حديثا مصححا  
لا يزال معروفا بهذا الاسم <sup>(١)</sup> •

ومن هذا كله علما ان الثقافة الفلكية تمكنت في آل تيمور في ماوراء النهر  
وفي الهند • وان الهنود تأثروا بالعرب والايوانيين وأشهر من عني بعلم الفلك من  
الهنود المهرابا جاي سينك الثاني (١٦٨٦ م - ١٧٤٢ م) وكان أمرا بتقل المجسطي  
من العربية الى السنسكريتية وأقام المراصد في بعض المدن المختلفة • جهزها  
بآلات الرصد المعروفة آنشد أولها الاسطرلاب <sup>(٢)</sup> •

ومن هنا علما اتصالات الأقطار بنا وبمجايرينا • وان الدولة التيمورية لم تكن  
متصلة بنا باستمرار وإنما تحلل ذلك فترات عديدة دامت الى سنة ٨٠٨ هـ •  
ثم عاد الجلائرية فلم ترسخ لم قدم • بل اقرضوا من بغداد سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١ م  
ونزلوا البصرة • والثقافة لم تكن دولية لتزول بزوال الدولة الحاكمة • وإنما  
كانت ترعاها المدارس العلمية • وهي قائمة بموقوفاتها • وتمدها خزائن الكتب  
بالمعرفة • والروح العلمية راسخة في النفوس •

#### ٤ - دول التركمان في العراق

من سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١ م الى سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٢ م

قلت العناية بالعلم في هذه العهود أيام قراقوينلو وآق قويونلو الا أن المدارس  
كانت دائبة في عملها • والرغبة الشخصية ماضية في طريقها • ولم نستطع أن  
نسجل حوادث ذات شأن في الفلك والظواهر أن الحال اطرد على ما كانت •

(١) خزائن المجلس ص ١٠٢ •

(٢) الاسطرلاب عند العرب محاضرة للأستاذ أحمد مختار صبري ص ٢٧ طبعه جامعة  
فؤاد الأول سنة ١٩٤٧ م •

وظهر عندنا في التنجيم ( ابن فهد الحلبي ) • ومثله ( المشعشعون ) • استخدموا  
الشجدة أو الشعوذة لاستغلال البسطاء •

ولم ينفك العلماء عن الاهتمام بالعلوم ومنها الفلك بل لم تخل هذه العهود من  
مشتغلين وتغلّبت الدراسات الفارسية لما رأت من الاهتمام بها في ايران وفي ماوراء  
النهر والمند والأناضول •

ومن الفلكيين المعروفين عندنا :

١ - الغياثي • مؤرخ وفلكي • وبراعته في الفلك غالباً • وفي تاريخه يتعرض  
لأمور فلكية • ومن مؤلفاته :

١ ( تاج المداخل • من أجل الآثار في الحياة • نقل به الى اللغة العربية  
تاج المداخل للحكيم الفاضل ابي جعفر محمد بن عبد الله الشربيني • وأصله باللغة  
الایرانية قدمه الى السهالار تاج الدين المعز بن محي الدين طاهر الخوارزمي  
من أمراء الدولة السلجوقية ببلاد الروم • وابنه أمير شاه كتب له قطب الدين  
الشيرازي كتابه المسمى بالتحفة الشاهية • والكتابان ثروة غنية • والغياثي نقله  
الى العربية باسمه الأصلي • وبهذا حصل الاتصال العلمي فقد نقلت الأزياج الفارسية  
مثل زيج أولوغ بك وغيره مما روعي فيه تجديد العلم • فتجددت مباحث علم الفلك •  
والغياثي متصل بالتنجيم والطالع ومطالب القرائات • فهو عالم بالاختيارات • أخذ  
عن علماء الشام • وكتب كتابه هذا بخطه ومعه ( مختصر تزهة النظر ) في مجموعة  
في خزانة الآثار القديمة ببغداد • وتوفي بعد التسعمائة من الهجرة •

### ٥ - الدولة الصفوية في العراق

من سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٢ م الى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م

هذا العهد كان عهد حروب ومناضلات ، فما كان للعلوم حظ من العناية •  
ولا شك أنها سارت سيرتها الطبيعية في المدارس ، وفي الرغبة العلمية • ومن  
علماء هذا العهد ( البرجندي ) و ( مير ابو الفتح ) ويأتي الكلام عليها •

## العلاقات بالأقطار الإسلامية

هذه العلاقات قديمة ترجع الى أوائل اتصال الاسلام بالشعوب ثم لم تنقطع .  
وانما تأثرت بنا . والعلاقات في الفلك والرياضيات قديمة . وزاد الاتصال بسبب  
الفتح المغولي . وبسر احصاء هذه الصلات . وما عرف يشير الى ما وراءه .

### ١ - العلاقات بإيران

وهذه من أقوى العلاقات . كتبوا علومهم بلغتنا . وقلما كتبوا باللغة  
الایرانية لشدة الارتباط والمجاورة والاختلاط أحياناً . دام الى عهد المغول واستمر  
الى ما بعده . والعلوم الفلكية هذا شأنها . وفي نهفتها أيام المغول عند بناء  
الرصد استعانت بالثقافة العربية وبرجالها . والاسماعيلية في ايران أكثر اشتغالا  
بالفلك لصلة بذهبيهم . ومن أبرز علمائهم الخواجه الطوسي . وحصل الانتفاع  
بما غنم المغول منهم من آلات فلكية . ويهنا الآن ذكر العلاقات الى سنة  
٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م . ومن علمائهم :

١ - الأبهري : هو أنير الدين المفضل بن عمر الأبهري . وآثاره متداولة .  
ومن مؤلفاته الفلكية :

( ١ ) المجسطي في الحياة . وهو من الكتب المختصرة .

( ٢ ) ثلاث رسائل في علم الفلك .

( ٣ ) الزيج المقتن . ألفه على مقتضى أوساط صحيحها ابو الوفاء محمد بن أحمد

البوزجاني بعد الرصد المأموني . وأصلح الزيج العلائي .

توفي سنة ٦٦٢ هـ . ومنهم من قال غير ذلك .

٢ - الشريفي : هو ابو جعفر محمد بن عبد الله الشريفي وله من المؤلفات :

( ١ ) تاج المداخل . فارسي . نقله الى العربية الغياثي . ولم أعرف مكان

النسخة الأصلية . والترجمة العربية في خزانة متحف الآثار القديمة ببغداد .



قدّم المؤلف كتابه الى أحد أمراء السلجوقيين في بلاد الروم . وهو تاج الدين السهبالار المعترف بن طاهر كما أت القطب الشيرازي قدّم الى ابنه امير شاه محمد كتابه ( التحفة الشاهية ) . وكان تاج الدين أميراً أيام سليمان شاه الپروانة .  
 ( ٢ ) شرح النذكرة للخواجه الطوسي نقل منها الخفري في شرحه لتذكرة الخواجه .  
 ٣ - السكاني القزويني : من العلماء الأفاضل في الفلك والحكمة . وكان من اشترك في رصد مراغة . وتوفي سنة ٦٢٥هـ - ١٢٧١ م . ولم تقف له على تأليف في الفلك .

٤ - قطب الدين الشيرازي : من أكابر العلماء لاسيما في الفلك وما يتعلق به . وكانت شهرته عالمية . ومن مؤلفاته :

( ١ ) نهاية الادراك أو ادراك الأفلاك . قدمه الى شمس الدين محمد الجويني . وعليه حاشية لسان باشا . ومنه نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد من خزانة السيد نعمان خير الدين الألوسي . كتبت سنة ٧٦٦ هـ .

( ٢ ) التحفة الشاهية في علم الحياة . كتبت باللغة العربية . قدمها الى أمير شاه محمد بن تاج الدين المعترف بن طاهر . ومنها نسخة في خزانة مدرسة السهبالار . وأخرى في خزانة الأوقاف ببغداد . ونسخة منها في برلين .

( ٣ ) الاختيارات المظفرية . فارسي في الهيئة . ألّفه المظفر الدين يولقي أرسلان من سلاجقة الروم . كتبه بعد نهاية الادراك .

( ٤ ) الزيج السلطاني . ومنهم من نسبه للوابكيني البخاري . عدّل به الزيج البتاني .

( ٥ ) درة التاج للملك دوباج . كتبه للملك كيبلان بالفارسية . منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد . وطبع في ايران .

توفي في شهر رمضان سنة ٧١٠هـ - ١٣١١ م .

٥ - النظام الأعرج : هو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري . وكان

من علماء الفلك المعروفين . وله من المؤلفات :

- (١) الزيج العلائي . فارسي . صححه تلامذته بعد وفاته . ألفه لعلاء الدولة .
  - (٢) تفسير التحرير . فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ هـ .
  - (٣) شرح التذكرة . ويسمى ( توضيح التذكرة ) .
  - (٤) الشمسية في الحساب .
- وتوفي سنة ٧٢٨ هـ على ما هو الأظهر . وليس بصواب ما ذكر في كشف  
الظنون من أنه توفي سنة ٨٢٨ هـ .

٦ - عبد الصمد النجم التبريزي .

٧ - شمس الدين الحاج محمد العصار .

وغالب هؤلاء لم يخل من علاقة بالعراق . وتنتهي بهم الدولة الجلائرية .  
وفي أيام الأمير نيمور وأخلافه استخدم علماء إيران . لاسيما في رصد سمرقند  
أيام أولوغ بك . وهم من ذكروا . وبينهم غياث الدين جمشيد . وأثروا كثيراً  
في التدوين بالفارسية . ويقال ان ( الزيج الخاقاني ) قد أثر على زيج أولوغ بك .  
وفي أيام التركمان وأوائل الصفويين ظهر :

١ - البرجندي : وهو عبد الحلي بن محمد البرجندي . وله من المؤلفات :

- (١) شرح التذكرة . باللغة العربية .
- (٢) بيست باب . ألفه سنة ٨٩٣ هـ .
- (٣) شرح تحرير المجسطي .
- (٤) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .
- (٥) حاشية على ملخص الميأة . شرح قاضي زادة .

وهذه مؤلفات تعليم لم تزد في الثقافة . ولا شك أن هذه الجهود قد طرأ  
عليها توقف في أيام التركمان وأيام الصفويين . لم تتجاوز الوجهة التعليمية .

## ٢ - العلاقات بالترك في ما وراء النهر

الترك ثقافتهم اسلامية من أوائل اتصالهم بالاسلام وقد تكلمنا على ماضيهم في أيام المغول والتركمان ، ومن اشتهر منهم وبيننا بعض مؤلفاتهم . ومنهم العلماء البخاري ، والچغتيني . ثم ظهر آل تيمور في سمرقند ، فتكاثرت المعرفة بالوجه المبين .

## ٣ - العلاقات بالترك في الأناضول

١ - سلاجقة الروم . وهؤلاء زها علم الفلك في أيامهم في عهد المغول . وظهرت مؤلفات خدمت الثقافة . بذلوا البذل اللائق للحصول عليها . ومكنوا هذا العلم عندئذ بما رعوا من علماء ورددوا اليهم .

( ١ ) تاج المداخل في الحياة الشرقي بالفارسية قدمه لأحد أمراء الأناضول تاج الدين السهسالار . نقله الى العربية الفياثي سنة ٨٨٧٩ - ١٤٧٤ م .

( ٢ ) تحرير المجسطي . للخواجه الطوسي . قدمه الى حسام الدين بن محمد السيواسي .

( ٣ ) التحفة الشامية - لقطب الدين الشيرازي . قدمه الى ميرشاه محمد بن

تاج الدين السهسالار المذكور .

( ٤ ) الاختيارات المظفرية ( له ) كتبه لمظفر الدين يولقي ارسلان المتوفى سنة

٨٦٩٠ - ١٢٩١ م .

وهذه من صفوة المؤلفات . وتتكون منها ثروة عليّة في الحياة .

٢ - الترك العثمانيون . وهؤلاء جاءتهم الثقافة من سلاجقة الروم فبنوا على

أساسها . وظهر فيهم جماعة العلماء ولم يقصروا في رعاية هذا العلم . ويقال لم

( علماء الروم ) . وبعد فتح استنبول رعوا العلم . وتوسعوا في الفلك خاصة

لما رأوا من ضرورة السير في البحار وعمل السفن الحربية . ومن مشاهير علمائهم :

( ١ ) قاضي زاده . أصله من بلاد الروم . استخدم لرصد سمرقند . من الكلام عليه .

- ( ٢ ) علي القوشجي . وهذا أيضاً من علماء الروم عمل في مرصد سمرقند أيضاً .  
سبق أن ذكرناه .
- ( ٣ ) افه زاده . هو محمد بن سليمان . وله شرح يست باب في الاسطرلاب  
للخواجه الطوسي .
- ( ٤ ) ميرم چلي . هو الملا محمود بن محمد قاضي زاده . ابن بنت القوشجي  
وكان قد عمل في رصد مراغة . وله من المؤلفات :
- ١ - دستور العمل وتصحيح الجدول . شرح به زيج أدولغ بك .
  - ٢ - رسالة في ربع المقنطرات .
  - ٣ - رسالة في الربع المجيب
  - ٤ - رسالة في الحساب .
  - ٥ - رسالة في سمت القبلة . وذكرها كاتب چلي مرتين .
  - ٦ - شرح الفتحة للقوشجي .
  - ٧ - رسالة في الربع الشكازي .
  - ٨ - رسالة في العمل به .
  - ٩ - رسالة الزرقالة ( فارسية ) أخذها من عرب الأندلس .
  - ١٠ - رسالة في الربع الجامع . وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ .
- ( ٥ ) المولى عطاء الله المعجمي . له رسالة في الربع المجيب . وعليها شرح  
أخوين المولى محيي الدين محمد بن القاسم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ .
- ( ٦ ) محمد بن سنان الكاتب القنوي . وله تحفة الفقراء في علم الميقات .  
هو لاء عرفوا في بلاد الروم . وبعد الاتصال بالآقطار العربية عظمته النهضة  
ولهذا البحث محله .

( يتبع )

عباس المزاي



أقدم تأليف في الحديث النبوي  
صحيفة همام بن منبه ومكانها في تاريخ علم الحديث  
- ٢ -

صحيفة همام بن منبه

المولود سنة ٤٠ ( ٣ ) ، والمتوفى سنة ١٣١ أو ١٣٢ للهجرة ؛  
تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه المتوفى سنة ٥٨ من الهجرة

مخطوطة دمشق

ورقة الأصل المثنى ( ١ ب )

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم  
الحمد لله رب العالمين . والصلوة على  
رسوله محمد وآله أجمعين .

حدثنا الشيخ الامام الأجل الأوحـد  
الحافظ تاج الدين بهاء الاسلام بديع  
الزمان ابو عبيد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن  
مسعود المسعودي البغدادي وفقه الله  
وبقره بصيرته بقية بقراته علينا  
من أصل سماعه المنقول منه في المدرسة  
الناصرية الصلاحية خلد الله ملك واقفها

في السادس والعشرين من ذي القعدة  
سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، قال :  
أخبرنا الشيخ الثقة الصالح  
أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمرو  
المقدر الإصيهاني قراءة عليه وأنا أسمع ،  
قال :

أخبرنا<sup>(١)</sup> الشيخ أبو عمرو عبد الوهاب بن  
أبي عبد الله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن  
منده الإصيهاني ، قال :

أخبرنا والذي الإمام أبو عبد الله  
محمد بن إسحق ، قال :

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن  
الحسن بن الخليل القطان ، قال :

حدثنا أبو الحسن أحمد بن  
يوسف التميمي ، قال :

حدثنا عبد الرزاق بن مَتَّام بن  
نافع الحميري ،

عن مَعْمَر ،

عن مَتَّام بن مَتَّاب ، قال :

هذا ما حدثنا أبو هريرة ،

عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

قال :

(١) من هنا يبدأ سند النسخة البريلية بد البسطة .

١ - نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم - فهذا يومهم الذي فرض عليهم . فاختلفوا فيه . فهدانا الله له . فهم لنا فيه تبع ؛ فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد .

٢ - وقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنتي يوتناً ، فأحسنها وأجملها وأكلها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها . فيجعل الناس يطوفون ، وبمعجبهم البنيان . فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة ، فتم بناؤه ؟ فقال محمد ﷺ : فأنا البنة .

٣ - وقال رسول الله ﷺ : مثل البخيل والمتصدق (٢ آ) كمثل رجلين ، عليهما جبتان - أو جبتان - من حديد إلى ثدييهما ، أو إلى تراقيهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بشيء ، ذهبت عن جلده حتى تبين بانه ويعنو أثره . وجعل البخيل كلما اتقى شيئاً ، أو حدث به نفسه ، عشت كل حلقة مكانها ، فيوسمها ولا تتسع .

٤ - وقال رسول الله ﷺ : مثلي كمثل رجل استوقد ناراً . فإذا أضاءت ما حولها ، جعل الفرائش وهذه الدواب التي يقمن في النار ، يقمن فيها ، وجعل يحجزهن ، ويغلبهن ، فيتحجمن فيها . فذاك مثلي ومثلكم : أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها .

٥ - وقال رسول الله ﷺ : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها .

٦ - وقال رسول الله ﷺ : إياكم والظن ؛ إياكم والظن ؛ إياكم والظن ! فان الظن أكذب الحديث ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا ولا تدايروا ، وكونوا عباد الله إخواناً .

(٢) بهامش المشقة : سقط من أصل السام كلمة « بناء » .

(٥) لا يذكر هذا الحديث في رواية ابن حنبل .

- ٧ - وقال رسول الله ﷺ : في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه .
- ٨ - وقال رسول الله ﷺ : الملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؛ ويمتصون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج اليه الذين بانوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم بهم ؛ كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون .
- ٩ - وقال رسول الله ﷺ : الملائكة تعلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، وتقول : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » ، ما لم يحدث .
- ١٠ - وقال رسول الله ﷺ : إذا قال أحدكم آمين ، والملائكة في السماء [ آمين ] فوافق أحدهما الأخرى ، غفر له ما تقدم من ذنبه .
- ١١ - وقال أبو هريرة : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، فقال له رسول الله ﷺ : اركبها . فقال : إنها بدنة ، يا رسول الله . فقال : وبلك ، اركبها ؛ وبلك اركبها .
- ١٢ - ( ٢ ب ) وقال رسول الله ﷺ نازكم هذه ، ما يوقد بنو آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . فقالوا : والله ، ان كانت لكافيتنا يا رسول الله . قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كهن مثل حرها .
- ١٣ - وقال رسول الله ﷺ : لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فوق العرش ، « إن رحمتي غلبت غضبي » .
- ١٤ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم ، لبكىتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً .

(١٢) في المخطوطتين : « بنو آدم » .

(١٤) وهو بين ١٤ و ١٥ - زاد ابن حنبل هنا حديثاً لا يوجد في المخطوطتين وهو :  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » .

م (٨)



١٥ - وقال رسول الله ﷺ : الصيام جُنَّةٌ . فإذا كان أحدكم يوماً صائماً ، فلا يجهل ، ولا يرفث . فإني امرؤٌ قاتله ، أو شاتمته ، فليقل : إني صائم ، إني صائم .

١٦ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي محمد بيده ، خلوف في الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ يذر شهوته وطعامه وشرابه من جرائي ؛ فالصيام لي ، وأنا أجزي به .

١٧ - وقال رسول الله ﷺ : تزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة . فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ؛ فأمر بها فأحرقت في النار . فأوحى [الله] إليه : فهلا نملة واحدة ؟ !

١٨ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي محمد بيده ، لو أن أشق على المؤمنين ، ما قعدت خلف سرية تنزوا في سبيل الله . ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي .

١٩ - وقال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة تستجاب له . فأريد ، أن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة .

٢٠ - وقال رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن لم يحب لقاء الله ، لم يحب الله لقاءه .

٢١ - وقال رسول الله ﷺ : ( آ ٣ ) من أطاعني ، فقد أطاع الله ؛ ومن عصاني ، فقد عصى الله ؛ ومن يطع الأمير ، فقد أطاعني ؛ ومن يعص الأمير ، فقد عصاني .

٢٢ - وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكتر فيكم المال ، فيفيض ، حتى يهيم رب المال من يتقبل منه صدقته . قال : ويُنْبِضُ العلم ،

(١٩) بهامش الدمشقية : « خ أدخر » . وفي البريلينية : « ادخر » في اللتن ، وفي « ادخر » بالهامش .

ويقرب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر المخرج . قالوا : المخرج ، ما هو ، يا رسول الله ؟ قال : القتل ، القتل .

٢٣ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مثلة عظيمة ، ودعواهما واحدة .

٢٤ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله .

٢٥ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فاذا طلعت وراها الناس ، آمنوا أجمعون . وذلك حين لا ينفع تقا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

٢٦ — وقال رسول الله ﷺ : اذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان ، له خراط ، حتى لا يسمع التأذين . فاذا 'قفي' التأذين أقبل ، حتى اذا 'توب' بها أدبر ، حتى اذا 'قفي' التثويب ، أقبل يخطر بين المرء ونفسه ، ويقول له : « اذكر كذا ، اذكر كذا » لا لم يكن يذكر من قبل ، حتى يظل الرجل ان يدري كيف صلى .

٢٧ — وقال رسول الله ﷺ : بين الله ملائ ، لا يفيضها ثقة سبحانه الليل والنهار . رأيتم ما أتقى منذ خلق السماء والأرض ؟ فانه لم ينقص مما في يمينه . قال : وعرشه على الماء . ويده الأخرى القبض ، يرفع ويخفض .

٢٨ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ليأتين على احدكم يوم لا يراني ، ثم لأن يراني أحب اليه من مثل أهله وماله معهم .

٢٩ — وقال رسول الله ﷺ : يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده ، وتبصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده ، ولبنقن كنوزهما في سبيل الله .  
سوى الحرب « خدعة » .

٣٠ - وقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قال : أعددت (٣ ب)

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٣١ - وقال رسول الله ﷺ : ذريني ما تركتكم . فانما هلك الذين من

قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا نيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .

٣٢ - وقال رسول الله ﷺ : إذا نودي للصلاة ، صلاة الصبح ،

وأحدكم جنب ، فلا يصوم يومئذ .

٣٣ - وقال رسول الله ﷺ : لله تسعة وتسعون اسماً ، مائة إلا واحداً .

من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر ، يحب الوتر .

٣٤ - وقال رسول الله ﷺ : إذا نظر أحدكم إلى من هو فضل عليه في

المال والخلق ، فلي نظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه .

٣٥ - وقال رسول الله ﷺ : طهور إناء أحدكم ، إذا ولغ الكلب فيه ،

فليغسله سبع مرات .

٣٦ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لقد هممتُ

أن آمر فتياي أن يستعدوا لي بحزم من حطب ، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق بيوتاً على من فيها .

٣٧ - وقال رسول الله ﷺ : نصرتُ بالعرب . وأوتيت جوامع الكلم .

٣٨ - وقال رسول الله ﷺ : إذا انتطح شع نعل أحدكم ، أو شراكه ،

فلا يمش في إحداهما بنعل واحدة ، والأخرى حافية : ليخفها جميعاً أو لينعلها جميعاً .

(٣١) في المخطوطتين بالهامش : « خ تركتم » ( أي بدل : تركتكم ) . د بالهامش : « خ فاجتنبوا » .

(٣٥) بهامش البرلينية : « خ طهر » ( أي بدل : طهور ) .

(٣٧) بهامش الدمشقية : « خ الكلام » ( أي بدل : الكلم ) .

٣٩ - وقال رسول الله ﷺ : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته ، ولكن يلقه النذر وقد قدرته له ، استخرج به من الخيل ويؤتيني عليه ما لم يكن آتاني من قبل .

٤٠ - وقال رسول الله ﷺ : إني الله قال : « أتفق أتعق عليك » .  
وسمى الحرب « خدعة » .

٤١ - وقال رسول الله ﷺ : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق . فقال له عيسى : [ سرقت ؟ ] فقال : كلا ، والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنتُ بالله وكذبتُ عيني .

٤٢ - وقال رسول الله ﷺ : بأدوتكم من شيء ولا أنعمكموه .  
إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت .

٤٣ - وقال رسول الله ﷺ : ( ٤ آ ) إنما الإمام ليؤتم به . فلا تختلفوا عليه . فاذا كبر ، فكبروا ؛ واذا ركع ، فاركعوا ؛ واذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : « اللهم ربنا لك الحمد » ؛ فاذا سجد ، فاسجدوا . واذا صلى جالساً ، فصلوا جالساً أجمعين .

٤٤ - وقال رسول الله ﷺ : أقيموا الصف في الصلاة . فان اقامة الصف من حسن الصلاة .

٤٥ - وقال رسول الله ﷺ : تحتاج آدم وموسى . فقال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس فأخرجتهم من الجنة الى الأرض ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال : نعم . قال : أتولمني على أمر قد كتب علي أن أفعل من قبل أن أخلق ؟ فخرج آدم موسى .



٤٦ - وقال رسول الله ﷺ : بينما أيوب يغسل عرياته ، خر عليه رجل جراد من ذهب . فجعل أيوب يحثي في ثوبه . قال : فتداه ربه : يا أيوب : ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى بي عن بركاتك .

٤٧ - وقال رسول الله ﷺ : خفف على داود القرآن . فكان يأمر بدوابه تسرج . فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته . وكان لا يأكل إلا من عمل يديه .

٤٨ - وقال رسول الله ﷺ : رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

٤٩ - وقال رسول الله ﷺ : يسلم الصغير على الكبير ، والمارة على القاعد ، والليل على الكثير .

٥٠ - وقال رسول الله ﷺ : لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . فاذا قالوا لا اله الا الله ، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنتسبهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

٥١ - وقال رسول الله ﷺ : تهاجرت الجنة والنار . فقالت النار : أوثرت بالكافرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فمالي ، لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرهم . فقال الله للجنة : إنما أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي : أعذب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تعالى فيها رجلاً فتقول : قطر قطر . فهناك تمتلي ويزدي بعضها الى بعض . ولا يظلم الله من خلقه ( ٤ ب ) أحداً . وأما الجنة فان الله عز وجل ينشي لها خلقاً .

٥٢ - وقال رسول الله ﷺ : إذا استجمر أحدكم فليوتر .

٥٣ - وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : اذا تحدثت عبيدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ، ما لم يعملها ، فاذا عملها فأنا أكتبها له

بشر آثاماً . واذا تحدثت بأنت يعمل بيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ،  
فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها .

٥٤ - وقال رسول الله ﷺ : والله ، لقيد صوط أحدكم من الجنة خير له  
بما بين السماء والأرض .

٥٥ - وقال رسول الله ﷺ : ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة ان هي له  
ان يقال له : تمن . فيتمنى ويبتنى . فيقال له : هل تنيت ؟ [ فيقول : نعم .  
فيقول له : فإن لك ماتت ومثله معه .

٥٦ - وقال رسول الله ﷺ : لولا الهجرة ، لكنت امرأاً من الأنصار .  
ولو يندفع الناس في شعبة ، أو في وادٍ ، والأنصار في شعبة ، لاندفعت  
مع الأنصار في شعيب .

٥٧ - وقال رسول الله ﷺ : لولا بنو اسرائيل ، لم يخبث الطعام  
ولم يخبز الخبز . ولولا حواء ، لم تخن أنثى زوجها الدهر .

٥٨ - وقال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته : طوله ستون  
ذراعاً . فلما خلقه ، قال : « اذهب فسلم على أولئك النفر » - وهم قعر من  
الملائكة جلوس - « فاستمع ما يحبونك . فانها تحبك وتحية ذريتك » . قال :  
فذهب ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوا  
« ورحمة الله » . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم : طوله ستون  
ذراعاً . فإي زل اخلق ينقص بعد حتى الآت .

٥٩ - وقال رسول الله ﷺ : جاء ملك الموت الى موسى ، فقال له :

( ٥ ) « [ علامة انتهاء السطة في ب .

( ٥٧ ) في التطولين : « بنو اسرائيل »

( ٥٨ ) بهامش البرلينية : « خ ما : يحبونك » ( اي بدل : يحبك ) . وفيه أيضاً

« خ ما فزادوه » ( اي بدل : فزادوا ) .

أَجِبَ رَبُّكَ . قَالَ : فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ ، فَفَقَّأَهَا . قَالَ : فَارْجِعْ  
 الْمَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ : إِنَّكَ أُرْسِلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ ؛  
 وَقَدْ فَقَّأَ عَيْنِي . قَالَ : ( ٥٠ آ ) فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ ؛ قَالَ : ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي  
 فَقُلْ لَهُ : الْحَيَاةُ تَرِيدُ ؟ فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْحَيَاةَ ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ؛  
 فَمَا وَارَتْ يَدَكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُوتُ .  
 قَالَ : فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ . قَالَ : رَبِّ ادْنِني مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ .  
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ ، لَا أُرِيكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ  
 عِنْدَ الْكُثِيبِ الْأَحْمَرِ .

٦٠ - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْتُلُونَ عِرَاءَ يَنْظُرُ  
 بَعْضُهُمْ إِلَى سَوَاءِ بَعْضٍ ، وَكَانَ مُوسَى يَقْتُلُ وَحْدَهُ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا يَنْتَعِ  
 مُوسَى أَنْ يَقْتُلَ مَعًا إِلَّا أَنَّهُ آدِرٌ . قَالَ : فَذَهَبَ مَرَّةً يَقْتُلُ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ  
 عَلَى حَجَرٍ ، فَنَزَعَ الْحَجَرَ بِثَوْبِهِ . قَالَ : فَجَمَعَ مُوسَى فِي أَثَرِهِ ، يَقُولُ : « ثَوْبِي ،  
 حَجَرٌ ؛ ثَوْبِي ، حَجَرٌ ! » حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوَاءِ مُوسَى ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ ،  
 مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ . قَالَ : فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدَ مَا نَظَرَ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ ، وَطَفَقَ  
 بِالْحَجَرِ ضَرْبًا . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ ، إِنَّهُ نَدَبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ ضَرْبٍ  
 مُوسَى بِالْحَجَرِ .

٦١ - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ الْغَنَى مِنْ كَثَرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنْ  
 الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ .

٦٢ - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ مِنْ الظُّلْمِ مِثْلُ الْغَنِيِّ . وَإِنْ اتَّبَعَ  
 أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ .

٦٣ - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَعْظَمُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ  
 وَأَعْظَمُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلاكِ ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

- ٦٤ - وقال رسول الله ﷺ : بينا رجل يتبختر في بُردين وقد أعجبه نفسه ، خسف به الأرض : فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة .
- ٦٥ - وقال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي .
- ٦٦ - وقال رسول الله ﷺ : من يولد ، يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه ، ينصرانه ، يمجسانه . كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدونها ؟ قالوا : ( ب ) يا رسول الله ، أفرايت من يموت ، وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .
- ٦٧ - وقال رسول الله ﷺ : إن في الانسان عظماً ، لا تأكله الأرض أبداً . فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أي عظم ؟ قال : عجم الذنب . وقال أبو الحسن : إنما هو « عجب » ، ولكنه قال بالميم .
- ٦٨ - وقال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال ، إياكم والوصال ، قالوا : فانك تواصل يا رسول الله . قال : اني لست في ذلكم مثلكم : اني أبيت يطعني ربي ويسقيني ، فاكفلوا من العمل ما لكم به طاقة .
- ٦٩ - وقال رسول الله ﷺ : اذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على الوجه حتى يغسلها . إنه لا يدري أحدكم أين باتت يده .
- ٧٠ - وقال رسول الله ﷺ : كل سلاحي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس . قال : تعدل بين الاثنين ، صدقة . وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه ، صدقة . والكلمة الطيبة ، صدقة . وكل خطوة تمشيها الى الصلاة ، صدقة . ونحيط الأذى عن الطريق ، صدقة .

الركنور محمد حميد الله

( يتبع )



# التعريف والنقد

## اللغة العربية

### أصولها النفسية وطرق تدريسها

تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ( دار المعارف بمصر )

هذا الكتاب انما هو خلاصة تجارب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد وقراءته ومباحثه ودراساته في ميدان تدريس اللغة خلال اثني عشر عاماً .  
أصبح التدريس علماً وفناً بعد أن كان فناً على نحو ما أشار اليه المؤلف في المقدمة وأصبحت له قواعد ثلثة كشف عنها علم النفس وقد ذكر المؤلف هذه القواعد في مؤلفه على قدر ما وصل اليه العلماء في مباحثهم وتجاربهم وأضاف الى هذا كله نتائج تجاربه الخاصة في تدريس اللغة العربية على اختلاف مراحل هذا التدريس .

قد يطول الكلام على الموضوعات التي خاض فيها صاحب الكتاب وأكثرها حديث لم تشر اليه كتب اللغة في قديم عصورنا وانما هو من مستحدثات هذا العصر وقد استشهد المؤلف بأراء كثير من العلماء في تعريف اللغة وفي الصلة بينها وبين الفكر وفي المراكز العصبية للغة وغير ذلك من الموضوعات الدقيقة ولئن اهتم علماء اللغة بمعرفة تكوين اللغات وما لتركيب الأعضاء وعلم النفس والاجتماع من أثر في هذا التكوين فانما نهتم معاصر الأدباء باللغة من حيث أنها أداة تنقل بها الى الناس أفكارنا وشعورنا وحسنا وذوقنا وينقل الناس بها اليها هذه الأمور كلها وعلى ما به فلا بد لنا في بحثنا هذا الاهتمام من معرفة أصول تدريس هذه اللغة والاهتمام الى ذوق محاسنها والأستاذ المؤلف مارس

هذا التدريس وتدل على براعته في هذه الممارسة نظراته الثابتة في تدريس البلاغة أو في فهم الشعر ومن هذه النظرات اشارته المختصرة الى آيات البحري المشهورة في وصف الربيع فبعض أساندة الأدب اذا بلغوا الى هذه الآيات وامثالها اقتصروا على شرح ألفاظها ومشتقاتها وعرضوها عرضاً جامداً لا حياة فيه فذهبوا بنصرتها وروعتها وقضوا على محاسنها لأنهم لم يدركوا حقيقة أصوات الطبيعة فيها وحركاتها وإشاراتنا وألوانها ومن نظراته الثابتة اشارته الى بعض آيات المعري وارشاده الى أسلوب تدريس هذه الآيات .

أجل ! انا لا نهتم معاصر الأدباء بفهم اللغة من ناحية الأعضاء أو علم النفس والاجتماع بقدر اهتمامنا بهذا النهم من ناحية التدريس فقد يمر بنا في خلال التدريس لفظ محسوس يكاد يكون صورة نابضة بنفسه أو قد يمر بنا لفظ شديد التناسب بينه وبين معناه فنهتما في التدريس الاشارة الى هذا اللفظ واستخراجه من مدفنه وعرضه على الأذهان حتى تثمر بمحاسنه وحتى تذوق هذه المحاسن فاذا لم تفهم حسن الألفاظ حق النهم فقد تخفق في نقل أفكارنا وشعورنا الى الناس وما يقال في مفردات اللغة يقال في الجمل فالبلاغة لا تدرس مجردة والتعريفات الجامدة لا قيمة لها وانما البلاغة تدرس في قطعة من القطع الأدبية فالأستاذ الذي يفسر نصاً أدبياً يشير الى ما اشتمل عليه هذا النص من وجوه البلاغة وعلى هذا الشكل يكون ادراك الطالب للبلاغة ولسر الألفاظ والجمل أتم .

هذا كله أشار اليه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد في كتابه وهذا هو الذي يهمننا معاصر الأدباء من كتابه الحديث في آرائه ومذاهبه ، انا في حاجة شديدة الى أساليب حديثة في فهم لغتنا وأدبنا واذا كنا نمر في كثير من الأحيان بقطع أدبية تكاد تكون آية في البلاغة وحسن التسيق فقد نمر في بعض الأحيان بفصول كاملة تكاد تكون فوضى ولا سيما فصول التراجم

فقد يشير المؤلف الى وفاة الرجل قبل الاشارة الى ميلاده ويذكر مؤلفاته قبل ذكر ثقافته وأساتذته وينقد طائفة من هذه المؤلفات قبل الاشارة اليها وهذا كله يؤثر في تفكيرنا أسوأ تأثير ويجعل هذا التفكير قوضي لا نظام له ، نبدأ من حيث يجب أن تنتهي ، وننتهي من حيث يجب أن نبدأ .

فاذا كان فضل الدكتور عبد العزيز عبد المجيد عظيماً في تعريفنا باللغة من حيث صلتها بتركيب الأعضاء أو بعلم النفس أو بالاجتماع فان فضله أعظم من حيث ارشادنا الى تدريس اللغة والأدب على أحدث الأساليب .



### طبقات قول الشعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحي

شرحه محمود محمد شاكر ( دار المعارف للطباعة والنشر )

صدر الأستاذ محمود محمد شاكر كتاب طبقات قول الشعراء بمقدمة بسط فيها أول عهده بهذا الكتاب وبين كيف عثر على نسخته المخطوطة وأشار الى طبع كتاب طبقات الشعراء لأول مرة ووضح الاختلاف بين نسخته التي ظفر بها وبين النسخ المطبوعة ثم دون ترجمة راوية الكتاب أبي خليفة الجمحي وهو ابن اخت محمد بن سلام صاحب الطبقات كما دون ترجمة ابن سلام نفسه ورد على المستشرق الألماني يوسف هيل وجمع من كتاب الأغاني لأبي الفرج كل ما وقف عليه مما فيه ذكر ابن سلام وتولى شرح الديوان وخالف في بعض شرحه بعض ما ذهب اليه الأئمة .

من هذه المخالفات ما جاء في شرح آيات التوردد المشهورة :

وركب كأن الريح تطلب عندم لما ثرة من جنبها بالمصائب  
مردوا يركبون الريح وهي تلقهم الى شعب الأكرار ذات الحقائق

قال الأستاذ في الشرح : وأجود الروايات : يجبطون الليل ويركبون الليل ٠٠٠  
فلو قال : وفي رواية : يجبطون الليل أو يركبون الليل ٠٠٠ لما كان لنا اعتراض ،  
أما أن يقول : وأجود الروايات ٠٠٠ فهذا كلام قد يكون لنا رأي فيه فان  
كلمة الريح في بيت الفرزدق تكاد تكون صورة شعرية ناطقة بسبب هذه المناسبة  
الشديدة بين السرعة وبين الريح ، فضلاً عن أن العصر الذي نعيش فيه إنما  
هو عصر الطائرات ، فإذا أحببنا أن نقول الشعر في طيار من الطيارين أقرى  
أصلح من قولنا : ياراكب الريح ! على أن المسألة مسألة ذوق في اختيار الألفاظ  
ولا جدال في الأذواق .

وإذا أحبب أن أجمل خصائص مقدمة الأستاذ محمود محمد شاكر وخصائص  
شرحه فاني لا أرى منديحة عن الاعتراف بظهور آثار التحقيق والتدقيق على  
هذه المقدمة وهذا الشرح ، دع أن الأستاذ منصف كل المنصف فقد رغب  
الى كل من يعنى له رأي في شيء مما ذكره وأشار اليه أو في نقد ما قاله أو فعله  
أن يرسل اليه هذا الرأي وهذا النقد .

أما كتاب طبقات فحول الشعراء فقد فصل فيه الجمعي الشعراء من أهل  
الجاهلية والاسلام والمخضرمين قترلم منازل واحتج لكل شاعر بما وجد له من  
حجة وما قال فيه العلماء ومضى له قول في الشعر واختلاف العلماء فيه وفي مناعته  
وثقافته وذكر أول من تكلم بالعربية وأول من استنبا وفتح بابها وأنهج سبيلها  
ووضع قياسها وهو أبو الأسود الدؤلي وذكر من جاء بعده ثم رجع الى الكلام  
على الشعر في الجاهلية والاسلام وعلى ذهابه وسقوطه ثم ذكر بعض ما روي من  
قديم الشعر وأشار الى بعض الزيادات التي زادها الرواة والى بعض التوليدات  
التي ولّدها .

إذا كنا نطالع كتاب طبقات فحول الشعراء ليكون لنا رأي في طبقة



كل شاعر في الشعر فهذا أمر غير يسير ، فمن كلام يونس بن حبيب : ماذا كر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، معنى هذا أن الأذواق تختلف اختلافاً عظيماً في تقدير نتاج الخواطر وثمرات القرائح ومعها نشأ أن تضع قواعد عامة في النقد فقد تكون قاعدة هذا الاختلاف أعمّ القواعد لأن لكل ناقد رأياً خاصاً وذوقاً خاصاً وشعوراً خاصاً ومن الصعب أن نجد اجماعاً في أمور الفن يشبه الإجماع في أمور العلم .

أما إذا كنا نطالع كتاب الجمعي لنرى فيه أثراً من آثار الشعور والعاطفة والوصف في شعر بعض أهل الجاهلية والإسلام وانخفصرمين فقد نظهر من هذا كله بأشياء كثيرة حتى إذا أراد ناقد الشعر على مختلف أزمانه وأطواره أن يقابل ويوازن ويقايس فانه يرى مجال هذه المقابلات والموازنات والمقايسات ذا صفة وكذلك إذا أراد عالم اللغة أن يشهد حياة الألفاظ التي تعيش في عصر من العصور ثم تموت في عصر آخر فانه يشهد من هذا الشكل أموراً غريبة تدل على أن الألفاظ تولد فتعيش وتموت على نحو المخلوقات الحية .

شهاب مبري

مصر

### تصحيح خطأ مطبعي

وقع خطأً في الصفحة ( ٢٤ ) من مقال : « تعريف الاصطلاحات العلمية » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

« مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً » وصوابه « مع تبديل معناه وتحديد معناه تحديداً جديداً » .

وجاء في الصفحة ٢٧ من المقال نفسه « Hypothèse » وصوابه « Hypothèse » .

## تهذيب الصحاح

معجم (الصحاح) للجوهري أشهر معاجم اللغة وأوثق مصادرها . وانظر الصحاح يجوز فيه كسر الصاد جمعاً لصحيح وفتحها وصفاً مفرداً بمعنى الصحيح . وإنما سمي به لأن مؤلفه رحمه الله توخى أن يدون فيه ما ثبتت عنده صحة استعماله في كلام العرب . ولا سيما الذين سكنوا ديار مصر منهم . ووقع في (الصحاح) عنات : من مثل تكرار الكلام في شرح بعض المواد اللغوية واستطرادات قليلة لا فائدة فيها ووهم في تفسير بعض كلمات اللغة - كل ذلك حمل الفضلاء والغريب على اللغة العربية وعلى مصدر يعتبر في طليعة مصادرها - حملهم على العناية بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً واستدراكاً . ومن جملة خدمتهم له تهذيبه بحذف ما لا يعلق بصلاحه الطالب المستفيد . وأشهر تهذيبه وأقدمها نشرًا وطبعًا كتاب (مختار الصحاح) . ومن أمتها فائدة وأجزؤها عائدة (تهذيب الصحاح) تأليف (محمود بن أحمد الزنجاني) الذي استشهد في فتنة التاريخ بغداد سنة ١٠٢٥ هـ وقد وجدت مخطوطة من هذا الكتاب نادرة في خزانة كتب الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان فأحب نشرها بالطبع ليرتوي النشء من منهلها العذب . ويحتجوا من أدواها اثر الرطب . فمهد بذلك الى أستاذين فاضلين من أشهر رجال الثقافة اللغوية العربية وأنشطهم في نبش آثارها والكشف عن أسرارها : أحدهما حجازي وهو أحمد عبد الفقور عطار والآخر مصري وهو عبد السلام محمد هارون . فقاما بهذه المهمة خير قيام . وأحكموا صنعها أحسن إحكام . وطبع الكتاب في (دار المعارف) مهدي الى صاحب الجلالة (عبد العزيز آل سعود) ومزيناً برسمه الكريم ومفتحاً بثلاث مقدمات بقلم صاحب النسخة ومحققها الفاضلين ومفرداً بثلاثة أجزاء أو ثلاثة أقسام بلغ عدد صفحاتها أكثر من ألف ومئة صفحة . وقد طبع مع القسم الثالث ملاحق وفهارس تصلح أن تكون جزءاً قائماً بنفسه . والمهم من ذلك كله التعليقات التي

طبعت في ذيل الصفحات شرحاً وبياناً لموضع الحاجة في الكتاب وهي التي جعلت الكتاب أجزاء فخمة ولو اقتصر فيه على ما قاله المؤلف الزنجاني وانتقاداً وهداية لما تحظى أن يكون الكتاب جزءاً لطيف الحجم كمختار الصحاح مثلاً . فيكون ناشر الكتاب تجاوزوا غرض المؤلف وعادوا على موضوعه بالنقض : هو أراد أن يخفف مؤنة اللغة على طالبها فيكون ( الصحاح ) كتاباً خفيف الحمل قريب التداول والناشرون أبى حرصهم على العلم ونشر فوائده إلا أن يجعلوا من الكتاب بحراً خفياً .

هذه بادرة أو خاطرة عابرة - كما يقولون - والآن لنأخذ بحظي محب اللغة والحريص على شواردها وفوائدها بمثل هذا الكتاب جمعاً وتحقيقاً وحسن إيراد ولطيف مأخذ . والكلام على ما ألف في اللغة من كتب ومعاجم والمقارنة بينها ومنزلة ( الصحاح ) منها وتهذيبه والموازنة بينها والمؤلف وشيء من سيرته وصائر ما له علاقة بالتعريف بهذا الكتاب - كل ذلك أتى عليه الأستاذ ( أحمد عبد الغفور العطار ) في مقدمته الثالثة للكتاب . والنفس تنازعني أن أثقل بعض التعليقات على ذلك الكتاب لكن رأيت أن الأمر يطول وأن الأجدر بي أن أثقل إليه بعض ما كتبه ( الأستاذ العطار ) في مقدمته لتعريف بهذا الكتاب :

قال : ان نسخة تهذيب الصحاح هي نسخة فريدة نادرة في خزائن العالم جميعاً ، كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري ، وليس على النسخة اسم الكتاب ولا مؤلفه ، ولم نجد فيما لدينا من المراجع نصاً صريحاً يدلنا عليه ، وأما اسم مؤلفه فقد اهتمدنا إليه بما ورد في مقدمة الكتاب التي نقل بعضها السيد محمد سديق حسن خان بهادر ، ملك مملكة جهوبال في صفحة ١٢٩ من كتابه « البلغة في أصول اللغة » في الفصل الذي عقده عن صحاح الجوهري ، وذكر أنها مقدمة محمود بن أحمد الزنجاني للكتاب الذي اختصر فيه كتابه الآخر « ترويح الارواح ، في تهذيب الصحاح » -

وهذا نص « البلقه » : « واختصره محمود بن احمد الزنجاني المتوفى سنة ...  
قال : لما فرغت من كتاب ترويح الأرواح ، في تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه  
موقع الخمس من كتابه بتجريد لغته من التحو والتصرف الخارجين عن فقه ،  
واسقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد أوجزته إيجازاً ثانياً حتى وقع  
حجمه موقع العشر » .

قال : وقد فكرنا في اختيار اسم لهذا الكتاب الذي لم يسم على نسخة الأصل  
ولا في المراجع التاريخية ، فأبينا أن نقبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف ،  
وهو « ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح » فاسمينا « تهذيب الصحاح » .

\*\*\*

### رحلة « ريج Rich » في العراق

عام ١٨٢٠ م

من يوم أن التحقت البلاد العربية بالدولة العثمانية وأصبحت جزءاً منها ( أي منذ  
أربعمائة سنة ) تزلت آية الحجاب عليها : فلم يعد أحد من كتابنا معشر العرب  
يدون أثارها ويبلو أخبارها . وإذا ذكر شيء من وقائعها التاريخية فلتما يذكر عرضاً  
في تضاعيف ما يكتب عن تاريخ العثمانيين ومختلف أخبارهم . وكما أنه لم توضع  
كتب تاريخ مستقلة لبلادنا كذلك لم ينحصر أحد برحلة فيدون في رحلته ما رأى  
وسمع من تراجم أشخاص أو وصف آثار أو حكاية وقائع وأخبار . كما فعل  
( الشيخان المغربيان ابن جبير وابن بطوطة في تدوين أخبار رحلتهما إلى الأقطار  
المشرقية قبل ظهور الدولة العثمانية ) اللهم إلا الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي  
فإن رحلاته كشفت عن شيء من حالة البلاد التي زارها منذ ٢٥٠ سنة . ووصفت  
جانباً من ثقافة سكانها وأطوار حياتهم الاجتماعية . لكنه وصف ممزوج بقليل من  
التحقيق وبكثير من البحوث الدينية التي قد يلزمها قراء زمانه وميالقات في تحلية

م (٩)



الأشخاص واطراء الحكام اقتضتها طبيعة ذلك العهد وطريقة أهله في ايراد الحوادث  
ومرد الوقائع مفرغاً ذلك كله في قالب مسجع . وأسلوب مسهب متكأف .  
ولم ننظر بصورة كاملة عن حياة أسلافنا المتأخرين ومستوأم الاجتماعي والاخلاقي  
الا في ما كتبه سياح الافرنج في رحلاتهم الى الشرق العربي : فان من علق بشيء  
بما كتبوه عن بلادنا في تلك الحقبة ظفر بفائدة لا توصف . وشعر بلذة لا تنسى .  
وخاصة ما كان من تلك الرحلات محلى برسوم الأماكن وصور الأشخاص  
كالرحلة التي أهدبت الى مجعنا أخيراً وهي ( رحلة ريج Rich في العراق عام ١٨٢٠ م )  
وريج هذا هو ( كلود لويس جيمس ) ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم البريطاني  
في بغداد في أوائل القرن ١٩ كتبها بالانكليزية وطبعها أرملته سنة ١٨٣٦  
أي بعد وفاته ونقلها الى اللغة العربية الأستاذ جيه الدين نوري أحد فضلاء العراق  
وطبعت الترجمة في مطبعة السكك الحديدية ببغداد سنة ١٩٥١ م . والمطبوع من  
ترجمة الرحلة هو جزؤها الأول وقد أُلحق به الفصل ١٢ من الجزء الثاني وستة  
ملاحق أخرى بلغت نحو ٣٥٠ صفحة . والكل يدور الحديث فيه حول  
وادي دجلة وما عليه من العمران وقديم البنيان ومن فيه من السكان : عرب ،  
ترك ، إيرانيين ، نسطوربيين ، أكراد ، يزيدية ، يتخلل ذلك رسوم أثرية  
وصور أشخاص مختلفي الجنسية : جنديان كرديان . زوجان نسطوريان . زوجان  
يزيديان . سيدات كرديات يرقصن . وغير ذلك من الوقائع والحوادث بقصها  
( ريج ) على قاري رحلته فيجعله كأنه معه بعينه وأذنه : فيسمع عن ( أمجاد الأكراد )  
و ( تحت سليمان ) و ( الصلاة الشرقية ) و ( شهر رمضان ) و ( تقوى محمود باشا )  
و ( مغالطات مضحكة ) و ( لعبة غريبة ) و ( اليهود ) و ( حفلة عرس )  
والأكراد : نساؤهم ، جنائزهم ، أخلاقهم ، مقارنة بينهم وبين الأتراك والإيرانيين  
الى غير ذلك من شؤون شتى : إدارية وسياسية واقتصادية واثوغرافية وعلاقات  
ديبلوماسية بين تركيا وإيران .

وهل كان المؤلف ( ربيع ) موضع ثقة في ما قال ومرد من الحوادث والأخبار ؟  
سأل المترجم الفاضل المستر لونكريك ( مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ  
العراق الحديث ) عن رأيه في مادونته ( ربيع ) في رحلته هذه فلم يجده مبالاً  
إلى الأخذ بكل ما جاء فيها عن الأكراد . بينما نرى المستر مينورسكي أحد أعلام  
الدراسات الشرقية يستشهد في بحث له عن ( القرآن ) بما قاله ( ربيع ) عنهم  
في رحلته المذكورة .

ذكر المترجم كل هذا في مقدمته للكتاب وارتأى أن لا يؤخذ بما في الرحلة  
من دون تمحيص : لأن ربيع لم يرحل إلى العراق لدراسة دراسة مؤرخ محقق  
بل ما كان الوقت الذي قضاه فيها كافياً للدراسة العميقة لو أرادها . وكل  
ما أرادته الراحة والاستجمام . ومما يكن فان في كثير مما جاء في هذه الرحلة  
جلاء لكثير من غموض غشي تاريخ بلاد العراق والأكراد وحالة سكانها .  
هذا ملخص ما جاء في مقدمة المترجم الأستاذ بهاء الدين نوري . وقد نُشر بعدها  
مقدمة لناشرة الكتاب زوجة ربيع . ثم ترجمة مسية لربيع نفسه ضمنها كثيراً من أطواره  
ومختلف أخباره ، واليك نماذج من الكتاب تصف بعض ما فيه من مفاجآت  
تاريخية يحرص على مثلها عشاق المطالعة ورواد الأخبار :

( السلجانية عاصم بلاد الأكراد منذ مئة وعشر سنوات ) تحتوي على التي دار  
للمسلمين و ( ١٣٠ ) لليهود و ( ٩ ) للكلدانيين الذين لم كنيسة صغيرة كنيّة .  
وخمسة دور للأرمن ومؤلا لا كنيسة لم ولا قيس . وخمسة خانات . وخمس  
حمامات منها واحد جيد وخمسة جوامع منها واحد جيد .

( وصف حمام ) : قال ( ربيع ) : ذهبت صباح اليوم إلى الحمام فألفيته جيلاً  
جداً وكانت إضاءته جيدة والخدمة فيه حسنة . ووجدته أرقى من كل حمام  
شاهدته في المملكة التركية عدا حمامات الشام واستامبول والقاهرة بل ويتماز  
على هذه في بعض النواحي . مُلِطت جدراته ببلاط خافقي وحُصِبَ على الطراز

العربي وزوّق بالأحواض ذات النافورات - شيد به باشا السلجانية على نفقته مستخدماً  
معماريين إيرانيين - يقال انه قلد فيه حمام كرمانشاه - والمسلم يتفق الممال بسخاه  
على الحمام وبعد ذلك نوعاً من التقوى - والجيش في الحروب لا تتعدى على  
الحمامات وقد يحميها مالكمها بوقفها -

( وصف الصلاة الاسلامية ) قال : أتيت لي فرصة لرؤية أمر كثيراً ما استرعى  
انتباهي : ألا وهو أن الصلاة الشرقية ليست إلا أمراً غطياً رتيباً ( روتينياً ) .  
ثم وصف ( ريج ) تهيؤ مضيئه الكردي للصلاة وخشوعه وإصداره الأوامر إلى خدمه  
خلال الصلاة إلى أن قال : ( وكثيراً ما لاحظت عدم المبالاة من المسلمين  
اذ يتكلمون أو يتعاطبون أو ينظرون إلى ما حولهم وهم ركع - والواقع ان هذه  
الصلاة صلاة أسلوية لا تتغير بل تتردد وتتكرر إلى حد أن أصبحت تحاكي  
التثيل الصامت المضحك ) .

كذا قال ( ريج ) ولعمري ان جهله في وصف صلاتنا مضحك صارخ لاصامت .  
والا فان الأكراد شوافع وعرفوا من بين المسلمين بالتمسك بالدين - وهل يعقل  
أن يتكلموا في الصلاة وهم راكعون - وبذكركنا هذا بما تقلناه في المقدمة عن  
المستر لوناكريك من أنه لا يستحسن الأخذ بما قاله ( ريج ) عن الأكراد .  
أما قوله عن صلاتنا انها صلاة صموت وانها لا تتغير : يعيها بذلك ، فهو لعمري  
نعم المدح لها والاعتراف بحسنها ولا يتسع المقام لما يجب أن يقال في هذا الموضوع  
فان الوم - وسوء الفهم - ظاهران في كلام المستر ( ريج ) .

( شهر رمضان ) : المسلمون فيه يعملون ليلاً نهاراً فينامون في النهار ويقضون ساعات  
الصيام بالاعتكاف وتلاوة القرآن ويكرسون الليل للأكل واستقبال الزوار .  
( وصف رقص نساء الأكراد ) : أطلال ( ريج ) في هذا الوصف وجاء فيه  
قوله : ( ثم بدأت الموسيقى تعزف لحن الدبكة ( الجورجي ) فتقدم رتل من نحو

ثلاثين امرأة متمسكات الأيدي بخطى وثيدة رشيقة . وهن على أتم ما يكون من التزين بالزرا كش الذهبية وأثواب الحرير الملونة دون أي حجاب . لقد كان منظراً بديعاً حقاً بل كان أمراً جديداً بالنسبة اليّ . إذ لم أر حتى الآن النساء في الشرق مختلطات بالرجال مثل هذه الحربة . ثم وصف احتزازهن في رقصهن وتقدمهن وتأخرهن ( ولم يقمن بأية حركة نائية في رقصهن ) قال ( ثم انقطعت الموسيقى فانسجبت الراقصات الى بيوتهن بعد أن تحجبين من القصة الى الأخمص ) ولاحظ ( ربيع ) على التحجب بعد التبذل قائلاً : إن الرجال الذين شاهدوا هؤلاء الراقصات في الحفلة كانوا أكثر ممن يحتمل أن يراهن في شوارع السلمانية قال ( وأغلبين جميلات فائتات ) .

( كردية رجلة ) : قال : زارني فيض الله أفندي رئيس ديوان باشا بغداد وحينما أراد الانصراف وجاء خدمه يجوده قال لي أريد أن أربك شيئاً طريفاً لم تشاهده في حياتك ونادى خادماً من خدمه وسألني عما اذا كنت ألاحظ شيئاً غير اعتيادي في هذا الخادم . فأجبتة بالنفي وانما أرى فتى قوباً . فقال كلا بل فتاة كردية بلباس الفتى . ( وعلى رأسها شال حريري وهي ذات قامة هيفاء وعمرها بين ٢٥ — ٣٠ سنة ذات ملامح كردية أصيلة وقد لوتحتها الشمس ) ثم وصف من أخبار شجاعته وأنقذتها وبكارتها وحسن سلوكها ما يعجب ويغرب . هذا نموذج مما في الكتاب وكله على هذا النمط من حيث دقة الوصف وتنبع جزئيات الأخبار والأطوار فالكسر الجزيل لترجمه ومهديه .



## المدخل الفقهي العام

الى الحقوق المدنية في البلاد السورية

تأليف الشيخ مصطفى الزرقاء (طبع الجامعة السورية في ١٩٥٠ مئذعة)

بعد هذا الكتاب ، في نظرنا ، خير كتاب في التوطئة لدراسة مجلة الأحكام  
المدلية - القانون المدني العثماني القديم - وهو الى ذلك دفاع مجيد عن عظمة  
الفقه الاسلامي ، وقد نقل لنا مؤلفه ثلاثة نصوص دولية خطيرة تشيد بمزايا فقهاءنا  
ويسرنا أن نثبتها في هذه المجلة :

**القرار الأول :** اتخذ مؤتمر الحقوق المقارنة المنعقد بمدينة لاهاي في شهر  
آب من عام ١٩٣٧ وهو يتضمن ثلاثة مبادئ :

- ( ١ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .
- ٢ - اعتبارها حية قابلة للتطور .
- ٣ - اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته ليس مأخوذاً من غيره ) .

**القرار الثاني :** اتخذ مؤتمر المحامين الدولي عام ١٩٤٨ وهذه ترجمته :

« اعترافاً بما في التشريع الاسلامي من مرونة وماله من شأن يجب على جمعية  
المحامين الدولية أن تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع وبالتشجيع عليها » .

**القرار الثالث :** اتخذ مجمع الحقوق المقارنة الدولي المنعقد في باريس ١٩٥٢  
واليك ترجمته :

« ان المؤتمرين ، بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء  
« أسبوع الفقه الاسلامي » وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

١ - أن مبادئ الفقه الاسلامي لما قيمة لا يمارى فيها .

ب - وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى يتطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، وهي مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ، يعلنون رغبتهم في أن يظل ( أسبوع الفقه الاسلامي ) يتابع أعماله سنة فنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر وضع قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساساً للبحث في الدورة القادمة .

ويأمل المؤتمر أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه فيكون معلمة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقاً للأساليب الحديثة » .

.. وكان الأستاذ الزرقا قد استجاب لهذا الأمل ، حين ألف كتاباً في الفقه الاسلامي على الأسلوب الحديث !

بدأ كتابه بتعريف الفقه الاسلامي ، ثم ذكر مصادره الأولى الأربعة الأساسية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ومصادره التبعية : الاستحسان والمصالح المرسلة والعرف ، ثم بحث في أدوار ( أو أطوار ) الفقه الاسلامي ، فجعلها سبعة ، أولها عصر النبوة ، وآخرها عصر المجلة - ولنا معه في هذا التقسيم ، وإن يكن لعدد ( ٧ ) مره وسحره ! - ثم دخل في صميم موضوعه ، وهو : « النظريات الفقهية الأساسية » كنظريات الملك والعقد والأهلية والضمان الخ .. لم ينسج فيها على منوال من سبقوه ، من شراح المجلة ، الذين جعلوا الفقه « فتاوى » و « قضايا » و « جزئيات » ... وإنما حاول أن يدرس المجلة كما يدرس الأساتذة الفرنسيون في كلية الحقوق يبارز مادة القانون المدني ، فجمع من أحكام القرآن والحديث وآراء الفقهاء ، من مختلف المذاهب ، ما يؤلف نظريات عامة تشبه النظريات الأوربية الحديثة ، وقد وفق في محاولته توفيقاً كبيراً ، فمن قرأ

كتابه خرج منه بفائدتين : النظريات الفقية الجديدة ، وله فضل إخراجها ، وآراء الفقهاء التي خلصت للقاري فأغنته من قراءة عشرات من كتب الفقه ، وعلى إعجابنا بهذا الكتاب الجليل تشير الى ناحية صغيرة ضئيلة منه كانت بمثابة « الخرزة » الزرقاء .. أو التيمعة ... من العين ، وهذه الناحية هي ان الأستاذ الزرقاء لا يتقن لغة أجنبية ، ومن أجل هذا النقص يقول دائماً ان آراء علمائنا خير من آراء الغربيين ، وأما معه ، فقد بينا أفضل من قديمهم ، ولكن قديمنا ليس دائماً ، أفضل من جديدهم !

هذه ملاحظة ! والملاحظة الثانية هي أن الأستاذ الزرقاء حمل بعض النصوص أكثر مما تستطيع أن تحمل ، في سبيل بناء نظريات عامة تشبه النظريات الغربية ، خذ لك مثلاً احتجاجه بالآية الكريمة : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ » لإثبات مبدأ « سلطان الإرادة » وليس في هذه الآية شيء من ذلك ! فبدأ سلطان الإرادة أعلن تحرر الناس من المراسم والأشكال التي كانت تفقد المتعاقدين ، في ظل الشريعة الرومانية القديمة ، كثيراً من حريتهم وتفسد كثيراً من عقودهم وتمتبرها لغواً بمجرد أنها لم تستكمل بعض « الشكليات » . . . فما هي الصلة بين هذا المبدأ وبين الآية الكريمة ؟

إن هاتين الملاحظتين لا تنقصان من قدر كتاب يستحق صاحبه أبلغ الثناء وأعظم التقدير ، وهو كتاب قوي بمادته ، وصاحبه رجل متوقد الذكاء ، جمع بين الثقافتين الدينية والقانونية ؛ قوي ببلغته ، فالأستاذ الزرقاء فقيه أديب ، وأسلوبه في الكتابة يكاد ينسبك صموية المادة التي يدرسها وجفافها . . .

## الثقافة العربية

في رعاية الشرق الأوسط

عنوان محاضرة القاها في خزانة الكونغرس الأميركي كية المنشرق جورج سارطون ، ونقلها الى العربية الدكتور عمرو فروخ ، في كتيب صدر عن مكتبة المعارف ببيروت ، في نحو ثمانين صفحة .

المحاضرة ، في حقيقتها ، حديث عن الاسلام ، وما كان يجوز أن يختار لها عنوان آخر ، لولا أن المحاضر مهد لها بكلمة قصيرة - ولكنها قوية - عن الشرق ، قرر فيها أن تاريخ العلم بدأ في الشرق الأوسط لا في يونان ، كما يتوهم كثيرون ، وأن فلاسفة يونان أنفسهم أخذوا عن مصر وما بين النهرين الحكمة والمعرفة . كتبت المحاضرة لجمهور أميركي يجهل أصول الاسلام او يعرفها معرفة يسيرة ، فكان لا بد للمحاضر من أن يذكر لم أشياء كثيرة يعرفها كل مسلم ولا جديد فيها ، ولكنه ، مع هذا ، لم يُخلِ محاضراته من آراء شخصية في أسباب انتشار الاسلام واللغة العربية ، وما قاله :

« . . . قسم السيوطي الكلمات الدخيلة في القرآن أحد عشر نسمياً : الكلمات الحبشية والفارسية واليونانية والمندية والسريانية والعبرية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية . أما ( جفري ) فيشير الى ما لا يقل عن خمس وخمسين لغة ولهجة دخل شيء من كلماتها في القرآن الكريم .

.. إن خزائن المفردات في الله العربية غنية جداً ويمكن لتلك المفردات أن تزداد بلا نهاية ، ذلك لأن الاشتقاق المتشابه والألفاظ يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه الانسان .

.. لم يتح لي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كاتصار محمد . إن الاصراء على تفوق اللغة العربية - خاصة - أو على حاجة الدين اليها هو الذي



جعل لها انتشارها الحاضر ثم حفظ لها هذا التفوق قروناً عديدة ولولا هذا الدفاع الضمني لبقيت اللغة العربية لغة قَبَلِيَّة بلا قيمة عامة ولا ضُمَّحت تماماً ولكن شأن العرب في ذلك شأن نصارى الشرق الأوسط الذين تركوا لغتهم المقدستين السريانية والقبطية حتى زالتا .

أما انتشار الاسلام فيرده المحاضر الى ضعف الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية ، وهذا الرأي - وهو رأي جمهور المؤرخين الغربيين - إنما يفسر في الواقع سرعة الانتوح الاسلامية ، أما انتشار الدين الاسلامي فان له أسباباً أخرى تتعلق بجوهره ، ولولاها ما دخل بلاداً لم يدخلها جيش اسلامي قط .  
... وأخيراً ، يقول لنا المؤلف :

« .. لم يكن ثمة علم في المدينة أو في مكة أو في دمشق . ومعجزة النهضة العربية لم تكشف عن نفسها قبل تأسيس الخلافة العباسية في بغداد . ولكن ماذا حدث هناك ؟ لقد نشطت العبقرية العربية بفعل الخيرة الايرانية . إن محاسن الأمتين العربية والفارسية (ومساوئهما) كان بعضها يتم بعضها . وهكذا نرى أن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر الى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الاسلامي في الفضول والجدل الفارسيين ، أو بكلمة أعم ان العلم العربي كان ثمرة للعبقرية السامية التي نخرت بالعبقرية الفارسية » .

هذا الرأي له أشياخ كثيرون في الشرق وفي الغرب . وفي اعتقادنا أن الاسلام دعا الى التعلم دعوة قوية ، وأنت العلم الكوني بدأ في دمشق ، حين تهيأت للعرب أسبابه ومواده ، ولم يكن العرب محتاجين الى فارس لتكون لهم حضارة ، فقد أسوا في الأندلس حضارة عظيمة لانصيب لفارس فيها . القضية قضية وقت . ولو دام ملك دمشق ، لعظمت منتها على العلم والعالم .

## الاتجاهات الأدبية

في العالم العربي الحديث

كتاب في نحو ( ٤٠٠ ) صفحة ، ألفه الأستاذ أنيس الخوري المقلعي ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وطبعته له جامعة بيروت الأميركية ، في « سلسلة العلوم الشرقية » -

اتفق الأستاذ في تأليف هذا الكتاب جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً ، وقرأ لأجله من الكتب والمجلات والمصحف ما لا يكاد يحصى كثرة ، وفي اعتقادنا أنه وفق توفيقاً عظيماً ، ولكن عملاً ضحاً كهذا ، كان ينبغي أن تجتمع عليه عصبة من الرجال ، لا يخلو ، حين ينتدب له رجل واحد ، من هنات معدودات ، فقد كنا ، مثلاً ، نستحب للمؤلف أن يقتل ، في كتابه ، ذكر أسماء كثيرة لم نجد لأصحابها فضلاً ولا فضيلة - وإن يكن هو قرأ لمقالة أو قصيدة مترجمة في إحدى المجلات فوجدناها كافية للتويه بأسمائهم - وكنا نستحب له كذلك ألا ينعت بعض المفكرين بأنهم شعراء ( كبار ) من أجل آيات نظموها ، وما نظن حتى العلامة فارس الخوري ، يرضيه أن يقرأ في كتاب الأستاذ المقلعي أنه من « كبار الشعراء » !

وبعد .. فإن هذا الكتاب من « أغنى » الكتب التي أخرجتها لنا مطابع بيروت ، وهو يتألف من أربعة أبواب :

الباب الأول - الاتجاه القومي - وهو سرد موجز لتاريخ الحركات القومية في سورية ولبنان ومصر من خلال الأشعار والمقالات . وقد بدأ المؤلف بالكلام على الجامعة العثمانية وأثبت لنا أن الأدب العربي بقي مدة طويلة عثماني الروح ، فإن وجد رجلاً مثل إبراهيم باشا كان يقول : « ما أنا بتركي ، بل أنا ابن مصر ؛ إن شمسها قد غيرت دمي فجعلني عربياً حقاً ! » فإن عامة الأدباء ورجال

الفكر من العرب كانوا متمسكين بالخلافة الاسلامية ، مخلصين للجماعة العثمانية ، حتى أن مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر ، كان يقول : « ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها » .

ثم كان الاستبداد الحميدي ، فظهرت الحركات المناوئة للجماعة العثمانية ، وقد وقف إعلان الدستور ، الذي تباشرت به العرب ، هذه الحركات ، ولكن غلو الترك بقوميتهم قضى على آمال العرب فعادت الأفكار القومية والاقليمية الى الميدان وامتزجت بالدعوة الى الحرية والاصلاح ، دسر عليها رواد ممتازون ، من طراز عبد الرحمن الكواكبي .

الباب الثاني - الاتجاه الاجتماعي - وقد مهد له المؤلف بكلمة قارن فيها بين الأدب القديم ، الذي كان يعيش « في كنف الملوك والأمرء أو من يتصل بهم من أرباب الثروة والجاه » وبين الأدب الجديد ، الذي يعيش « على موائد الشعب ومن عطائه وهباته » لأنه « أدب ديموقراطي » . ثم أبرز لنا خمسة « اتجاهات » في هذا الأدب الاجتماعي الحديث ، وهي :

- ١ - الدعوة الى العلم والحضارة .
  - ٢ - الحملة على المفاصل الناشئة عن التطرف في الحياة المصرية .
  - ٣ - المعطف على الطبقات البائسة .
  - ٤ - المطالبة بالحقوق الانسانية والعدالة الاجتماعية .
  - ٥ - مناصرة القضية النسائية ورفع المستوى العائلي .
- الباب الثالث - الاتجاه الى التأمل الفكري - التأمل في الحياة الروحية ، والتأمل في الموضوعات المجردة ، والتأمل في الطبيعة والريف .

الباب الرابع - الاتجاه الفني - وهو خاص بتأثير الأدب الغربي في الأدب العربي الحديث ، فان العرب القدامى ، فيما يقول المؤلف ، لم ينقلوا عن الغرب

سوى العلم والفلسفة ، أما أدباء العصر ، فقد تقلوا عن القرب الأدب والشعر ، وكان من آثار ذلك أن الأدباء الجدد انصرفوا عن السجع والصناعة اليدوية الى البساطة ، وأخذوا في تأليف الروايات والقصص والمسرحيات ، وكلها ألوان جديدة في أدبنا . أما شعراؤنا فقد أفادوا من اتصالهم بالغرب وحدة القصيدة والفنن اليباني وحرية الاخراج .



### المادات والأخلاق البنانية

تأليف أديب لحود

طبع مكتبة صادر بيروت في ٢٤٠ صفحة

كتاب يصف لنا فيه الأستاذ أديب لحود ، شيئاً من عادات البنانيين ، في ولاداتهم ومناحيهم وأفراحهم وأحزانهم وزياراتهم ولهمومهم وما تحسب هذه العادات الا آخذة بالتحول - وقد يكتب على كثير منها الزوال ! - ومن المفيد كثيراً تسجيلها قبل أن تحول أو تزول ، فانها قطعة من حياة وطننا ، ومرحلة من مراحل « تطوره » ، وما ينبغي لها أن تهمل ، فقد تعنى بها الأجيال التي تأتي بعدنا أشد من عنايتنا .

أعجبتني في بداية هذا الكتاب وصف الأسرة البنانية ، فهو وصف جد موفق ، في بساطته ، وقد وجدت فيه للطفل البناني معجماً لا يختلف عن معجم أخيه الطفل الميثقي فالطعام عنده « زن » والشرب « نبو » والمشي « دادي » والخروج « تش تش » والوجع « واوا » والمشي الجميل « دح » والمشي القبيح « كخ » وهكذا ... ولكن نهاية الكتاب لم تعجبني ، فقد ملاها المؤلف نصائح وأغراضاً وألعاباً لاصلة لها بالوضوح ، وكان يحسن به استبعادها من كتابه ، حتى لا يظن أنه إنما كتبها للعوام والبسطاء .



وما بلغت النظر حقاً في هذا الكتاب الطريف - ويزيد في قيمته عندنا - أن كثيراً من العادات والمعتقدات والخرافات والأغاني التي ذكرت فيه لا يختلف في شيء عما نعرفه في الشام ، فوحدة الوطن التي تحجبها السياسات السطحية ، تكشف عنها هذه الأخلاق التي تعبر عن عبقرية الأمة العريقة .

\*\*\*

## خطرات

تأليف محمد مهدي البصير

١٩٠ صفحة . مطبعة للمارف ببنداد عام ١٩٥٢

(خطرات) : كلمات ، بل جوامع كلم ، تلخص فيها مؤلفها تجاربه في السياسة والاجتماع وآراءه في الأدب والفن ؛ وهو ، إجمالاً ، يدعو الى الفكرة الديمقراطية الصحيحة في السياسة ، والى الحق والجمال واخير في حياة الناس الاجتماعية ، ويرى إقصاء المرأة عن الميادين العامة . . . ولكن هذا الوصف لا يطعم بتلخيص أبحاث الكتاب ، ففي الكتاب موضوعات لا حد لها ، وهي كلها ملخصة ، وأكاد أقول « مقطرة » و « مكرونة » ؛ فليرجع الى هذا الكتاب من يطلب المعنى الكثير في الكلام القليل ، فانه واجد فيه ألواناً كثيرة من الحكمة ، تبدو على بعضها مسحة من تشاؤم ، واليك طائفة من أقواله :

( - لا أدري كيف تصلح أمور قوم هم بين عارف لا يقدر ، وقادر لا يعرف ، ومسكين لا يعرف ولا يقدر !

- يبلغ بعض الرجال بالطاعة ما لا يبلغ غيرهم بالكفاية والاخلاص -  
- من الصعب أن تستقيم أمور دولة يديرها موظفون في شكل وزراء ، ووزراء في شكل موظفين -

- من وضع نفسه فوق حوادث الزمن ، لا تستخفه اذا واتته ولا تهزمه اذا تنكرت له وكان عبيد عقله وسيد هواه دائماً فذلك هو الرجل الحق .
- البيت حجر الزاوية في بنيان المجتمع والمرأة عماده فاذا آثرت أن تحيا خارجه ، فمن يأخذ مكانها فيه ؟
- قال لي قائل في أحد مقامي مونيليه ذات يوم : « إنكم تبيعون المرأة ، أليس كذلك ؟ » فأجبت : نعم ياسيدي ، ولكن على أن يكون قلب الرجل ثمنًا لها !
- الدعابة الساخرة ، جد العارفين بالحياة !
- إن بخيلاً يملك ثروة لكيف يحمل مصباحاً .
- أقل الناس عملاً أولئك الذين لا يرضيهم عمل !
- كن حلواً في أفواه الناس ، ولكن على أن يكون فيك من المראה ما يمنع من أكلك !
- لا يتسحق الصبر بأشد من بلادة ترافقها عجرفة .
- قد تهدم العاطفة في لحظة ما يبني العقل في سنة .
- اذا عملت بوجي عقلك دون أن تقولها فأنت حكيم ، واذا قلته فقط فأنت أديب ، واذا جمعت بين القول والعمل جمعت بين الرجلين .
- اذا استمت الى سمفونية بتهوفن السادسة فكأنني أنتزه في غابة شجرية وأستمع بمحدث رجل مثقف وأنعم بزيارة امرأة جميلة في وقت واحد .

## ديوان النبط

مجموعة من الشعر العامي في نجد : جمعه وفسر بعض ألفاظه السيد خالد بن محمد الفرج  
طبع في مطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٥٢

يتألف هذا الديوان من أشعار أربعة شعراء عاميين من نجد ، وهم : « حميدان  
الشويعر » و « محمد بن لعبون » و « عبد الله بن ربيعة » و « عبد الله بن سبيل » ،  
ونشهد لوجه الله شهادة خالصة أننا قرأنا هذا الديوان من باب إلى محرابه ،  
وتحملنا في ذلك مشقة كبيرة ، ولكننا لم نجد فيه شيئاً يقتسم به الفكر أو القلب .  
وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته : « وبعد فلا بد لمن  
يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد  
في الوقت الحاضر ، لأنه صورة صادقة على ما كان عليه أدب اللغة العربية  
في العصر الجاهلي » ! ..

لا والله ! ليس هذا الأدب أدب التطور ، ولكنه أدب التدهور .. وحرام  
أن يشبه به شعر الجاهلية ، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل  
الفث للفخر ... فما أجدر لطبعه إلا فضيلة واحدة : العلم به ، للتحذر منه .  
إنه أدب العامة ، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر ، ولم توجد  
الجامع اللغوية إلا لتقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب .



## كتب صغيرة

فلسفة غاندي الاقتصادية

كتيب في خمس عشرة صفحة صغيرة ، ملخص فيه مؤلفه السيد أحمد الحسيني  
فلسفة غاندي الاقتصادية في ستة أصول ، وهي : البدء الأخلاقي ، البساطة

في المعبشة ، الانتاج الاستعمال وليس لأجل الربح ، عدم العنف ، تقدير العمل وتقديره ، تحديد استعمال الآلات وفقاً بالمال ( طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ) .

### الملكية في الاسلام

كتب في ٦٠ صفحة صغيرة ، تسبقه مقدمة كبيرة ، وتنبه فهارس كثيرة ، في مثل عدد صفحاته ، مع أن فهرساً واحداً في صفحة واحدة يكفيه ويزيد . . . ألفه السيد أحمد الحسيني ، ليثبت فيه أن الاسلام يحمي الملكية ، ولكنه يكره التوسع فيها وإهمال استغلالها .

ينقل المؤلف تعاريف وآراء لبعض علماء الاقتصاد الغربيين في الملكية ويوازن بينها وبين أقوال فقهاء مسلمين ، ويركي أقوال المسلمين ويسند أقوال الغربيين ، وهذا شيء يرضي غرور القارئ ، ولكنه أسلوب غريب عن العلم ، لأن المؤلف لم يحسن ترجمة ما نقله من نصوص الغربيين وما أحسن ترجمته لم يحسن فهمه . أما لغة الكتاب فحثة ، لولا أغلاط مشورة هناك هناك ، كقوله في صفحة ٢٧ : ( ما دام ولدوا بعضهم حائزين موقف التمتع بها وولدوا غيرهم وهم كثيرون فاقدين ذلك الموقف ) وهي لغة ( أكلوني البراغيث ) ، وقوله في صفحة ٢٩ : ( . . . وهو الذي كان لآرائه وأفكاره أثراً بليغاً ) فجعل ( أثراً ) خبراً لكان ، وقد وقع في مثل هذا الخطأ كثيراً . . .

الدكتور منير المعجلاني



## — بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن —

بقلم هنري غيز وتعريب الأستاذ مارون عبود

من منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة اللبنانية ، ونشر هذا الكتاب في جزئين الأول في ( ٢٩٤ ) صفحة والثاني في ( ٢٤٠ ) صفحة من قطع المتوسط . طبع في بيروت سنة ١٩٦٩ .

وهو من المباحث الأجنبية في تاريخ لبنان ويمتاز عن أمثاله من المباحث بدقه الوصف وأمانة النقل رغم ما جاء فيه من هفوات وأوهام التي لا يتخلو منها مصدر أجنبي . إن المؤلف هو أفرنسي الأصل ومن مواليد الشرق العربي . نشأ فيه وأتقن لفته . ثم عين وقتئذ قنصلاً بلاده في لبنان ، وقد أتاح له منصبه وطول إقامته الوقوف عن كثب على أمور قد لا يتيسر الوقوف عليها لغيره من عابري السبيل ممن كتبوا عن الشرق مستمدين أخبارهم من مصادر لا يركن لصحتها ، حتى إن كثيرين منهم تحدثوا عن أشياء لم يعرفوها إلا بالسماع وحكموا على ذمة غيرهم في أمور كثيرة حكماً سطحيًا وجائراً . وإن بعضهم نعتد التشويه والتشهير . وأما مؤلف هذا الكتاب لم يذكر على زعمه شيئاً لم يره بأمر عينه ولم ينقل إلا ما أجمعت عليه الآراء .

ويجد القارئ في هذا الكتاب وصف آثار اندرست معالمها وذكر عادات وتقاليده تطورت مع الزمن وعالج أبحاثاً سياسية وقضايا إدارية واقتصادية أهمها مدونو العرب . وكان الأستاذ مارون عبود موفقاً في ترجمته هذا الكتاب القيم فلم يخرج عن الأصل كما تقتضيه الأمانة العلمية ، غير أنه أسقط منه متممات بعض الفقرات التي رأى فيها ما لا يحتمل ذكره ولا إطلاق وجبنا لو اتسمت لما رحابة صدر الأستاذ وأثبت ما أسقط حتى ينقل إلينا الكتاب كما وضعه مؤلفه لا كما نريده . ولماذا نكتم ما كبه عنا أو اختلقه الأغيار ؟

وقد ترفع الأستاذ المترجم عن الرد على المؤلف في بعض ما ذهب اليه وتوهمه  
لثلا يضيع القارئ في أودية الحواشي ، ولكن هناك بعض التحريف لا بد من  
الإشارة اليه ، كما جاء في الجزء الثاني ص : ( ٢٥ ) سنة ١٨٠٣ صوابه ١٠٨٣ ،  
وتوتوخ وصوابه تنش ، ومجير الدين عبس وصوابه مجير الدين ابق وفي ص :  
( ٥١ ) : تاجاته Tyané وصوابه Teyamné .

نشكر للأستاذ مارون عيود جهوده الموقفة وحن صنيعة .

### فلسطين : وصفها الجغرافي وتطورها التاريخي

لمؤلفه نخري الدين الميدي ومحمد خالد الطائي

في ( ٢٥٦ ) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد سنة ١٩٤٨

بحث المؤلفان في هذا الكتاب أحوال فلسطين الطبيعية والاقتصادية وتاريخ  
اليهود فيها وبحثا فكرة الصهيونية وأساليب زعمائها لتحقيق أهدافها واستعرضا  
جميع المراحل التي اجتازتها القضية الفلسطينية منذ اعلان الوطن القومي اليهودي  
في ظل الانتداب البريطاني الى أن حلت بالعرب النكبة المشؤومة في عام ١٩٤٨  
وانتهت بتأسيس دولة اسرائيل .

وشرح المؤلفان القضية شرحاً عميقاً مجرداً عن العواطف والأهواء وعززا  
دراسهما يوثائق رسمية قلما جمعت في كتاب واحد ، وقد حققا فيه الغاية التي  
وضع من أجلها فهو بحق : « سفر لمن يريد معرفة وضع فلسطين ودليل لمن  
يبتغي النجاة والعمل خلاصها » . وسجل لمن يقدم تقصي أحوالها ، فكان تنفيذاً  
لفكرة واظهاراً لعقيدة » .

نسى أن نجد جمهرة العرب في موضوع الكتاب العبرة واليقظة بعد غفلتهم  
الطويلة ، والماعل من انعط والصادق من عمل وأخلص

*Textes géographiques arabes sur la Palestine, recueillis et traduits par le R. P. Marmardji, Paris 1951.*

يقع الكتاب في ( ٢٦٨ ) صفحة من قطع الوسط طبع في باريس سنة ١٩٥١ وينطوي على ترجمة كتاب بلدان فلسطين العربية الى الافرنسية الذي وعد الأب مرمرجي في مقدمته بتحقيقها خدمة لدوي التخصص من أبناء الغرب ممن لا يتسنى لأكثرهم الاطلاع عليها في مصادرهما العربية .

وقد جاءت الترجمة بمحملتها صحيحة يركن اليها . وإن الملاحظات التي نبينا اليها في الأصل العربي تكرر أكثرهما في هذه الترجمة ويضاف اليها زيادة فصل في الصفحتين ١١٠ و ١١١ منقول من ( زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ) للظاهري غير وارد في الأصل العربي ، كما أنه سقط من الترجمة ( ص : ١٩٥ ) جميع مادة وصف بحيرة المنتنة أو بركة لوط .  
تشكر حضرة الأب مرمرجي على ما يبذله من جهد في خدمة تاريخ بلاده .

\*\*\*\*\*

### *Fossatum Africae*

لأولف جان براديز ( Jean Baradez ) ومن مطبوعات مديرية الفنون الجميلة وديوان الآثار القديمة في الجزائر ، ويبلغ عدد صفحاته ( ٣٦٠ ) صفحة من القطع الكبير بوردق صقيل وطبع أنيق يتخللها عدد كبير من الصور والمخططات . طبع في باريس سنة ١٩٤٩ .

تناول المؤلف في هذا الكتاب سلسلة أبحاث في التداير الادارية والعسكرية التي اتخذتها السلطات الرومانية لتوطيد دعائم سلطاتها في الجزء المعصور من الجزائر وحمايته من خطر غزاة الصحراء . وقد حصر المؤلف دراسته في منطقة الحدود

الجنوبية التي يبلغ طولها ( ٧٥٠ ) كيلومتراً ويختلف عرضها بين ( ٦٠ ) و ( ٨٠ ) كيلومتراً باحثاً عن مواقع الحصون والمخافر التي أقامها الرومان على ثغور هذا الخط لدفع عدوان يريرة الصحراء ومنع تسربهم الى ماورائها .

ولم تكن محاولة المؤلف الأولى في بابها فقد سبقه اليها منذ احتلال الجزائر عدد من المشتغلين بتاريخ افريقية الشمالية في العهد الروماني ومن أبرزهم (رينيه كانيا) ( René Cagnat ) و ( ستيفان جيل ) ( Stéphane Gsell ) وقد زعما أنهما أحصيا جل الأبنية التي خلفها الرومان في الجزائر . وبذلا في سبيل ذلك الجهد والمال في رحلات طويلة ، مخوفة بالأخطار وفي بلاد مترامية الأطراف ، وعرة المسالك وضيئة بأسرارها .

ان مهمة أمثال هؤلاء الرواد - وكانت تعتبر في الماضي مغامرة وبطولة ولا يقدم عليها الا من تحلى بالشجاعة والصبر على مكاره السفر وانقحام أخطاره - أصبحت اليوم بفضل الطائرة والتصوير متعة تحدث الزمن وتخطت العقبات وكان السيد كريغورد ( Crawford ) أول من استعمل هذه الطريقة الحديثة وجربها في انكثرا عقب الحرب العالمية الأولى ثم طبقها الأب بواديبار ( Poidebard ) على نطاق أوسع في سورية وقد أسفرت هذه التجربة عن أحسن النتائج اذ استطاعت عدسة آلة التصوير أن تلتقط من الجو بارتفاع معين وفي ساعات محدودة من النهار ما تعجز العين المجردة عن ادراكه وصورت الأبنية التي حجبتها عن النظر الأتربة والرمال أو غمرتها الأمواه تصويراً ظاهراً واضحاً .

وقد زينت هذه النتائج لمؤلف هذا الكتاب وهو من قادة سلاح الطيران الافرنسي أن يخلق فوق بادية الجزائر مستطعاً المنشآت الدفاعية من حصون ومخافر وطرفات واقطاعات التي نظمها الرومان في هذه المنطقة الجرداء - استغرق عمله ثلاث سنوات حقق خلالها النتائج الباهرة التي عرضها لنا في كتابه ويعتبر



هذا الأسلوب الحديث في البحث عن الآتية الأثرية مرحلة جديدة في صحة المعلومات واختصار الوقت وحيداً لو تطبق هذه الطريقة في بقية الأعمال الحكومية. الواسعة كالتحديد والتحرير وغيرها من دراسات المساحة والتخطيط كلاً للوقت وتوفيراً للتفقات والجهد .



*Stéfan Zweig - Le Brésil terre d'avenir.  
Traduit de l'allemand par J. Longenille. Paris  
1949.*

### البرازيل أرض المستقبل

لؤلفه ستيفان زوينغ . ترجمه من الألمانية الى الفرنسية جانت لونجفيل  
عدد صفحاته ( ٣٣٥ ) صفحة من قطع الصغير . طبع في باريس سنة ١٩٤٩ .  
أكثر الناس لا يميزون بين البرازيل وغيرها من جمهوريات أميركا الجنوبية ،  
فهي في نظرهم محط رحال خليط من مغامري الأمم ومشرديهم ، فرقتهم المنازعات  
العنصرية والدينية وشغلتهم عن الحضارة والمحران وطاب لهم عدم الاستمرار .  
لبي مؤلف هذا الكتاب دعوة لزيارة البرازيل للتعرف اليها - وكان من هؤلاء  
المخدوعين . وحامل فكرتهم - وهو قانع انه سوف لا يجد في هذا البلد المتخط  
أكثر مما يعرف عنه هو وأمثاله من الأوروبيين وبقية شعوب أميركا الشمالية .  
ويتساوى بالجهل بأحوال هذا البلد الخاصة منهم والعامة ، ومن طريف أوهامهم  
ما وقع فيه أحد كبار أدباء الانكليز الذي أرسل بطل روايته الى عاصمة البرازيل  
ليتلم اللغة الاسبانية مع أن سكانها لا يتكلمون الا البرتغالية .  
لم تكذب تظاً قدما المؤلف عاصمة البرازيل حتى تبددت أوهامه وهبط من  
علياته وتضائل في نظره ما كان يفاخر به أبناء العالم القديم غيرهم من شعوب

الأرض ، فقد شاهد في البرازيل على حداثة عهدها في الحضارة عمرانا يفوق  
عمران أعظم عواصم أوربا ورأى من حسن التنسيق وسلامة الذوق ما يفترئ مثله  
القرب ؛ وقد تضافرت هنا الطبيعة وعبقريّة الانسان فاجدعا أروع نماذج  
العمران الحديث مستمدة من تقاليد البلاد الجميدة ، وصاغ قومها حضارة جديدة  
دون أن يزدروا بثقافتهم القديمة . وقد أكبر المؤلف في هذا الخليط من الناس  
التفاهم حول قوميتهم الجديدة والاعتزاز بها دون تمييز عنصري أو اضطهاد  
ديني . وقد تأخى القوم في اعترايهم ونبذوا أحقادهم وعاشوا في سلام ووثام .  
وكان المؤلف على حق في قوله : ان البرازيل هي : « أرض المستقبل »  
في اقتصادياتها وعمرانها ، ونحن نزيد عليه بأنها ستكون أيضا خير مثال يحتذى  
إذا أراد العالم أن يسوده السلام .

*Henry Valloton - Brésil terre d'amour et de  
beauté. Lausanne 1948.*

البرازيل بلد الحب والجمال لمؤلفه هنري فالوتون . عدد صفحاته ( ٢٩٣ )  
من قطع الوسط تتخللها بعض الصور . طبع في لوزان سنة ١٩٤٨ -  
وصف المؤلف في هذا الكتاب رحلته الى البرازيل فأحسن وصفها ، وأخذ  
بمعة هذا البلد ووفرة ثروته الطبيعية ، وأعجب بنهضة شعبه ووحدته أمانيه على  
تعدد عناصره ومذاهبه ، وأكبر جهود حكومته وبسطها سلطانها على هذا العالم  
الترامي الأطراف وتفرقها في استئثار خيراته .  
أقام المؤلف سنتين في تلك الديار قطع خلالها في رحلاته أكثر من  
( ١٥٠٠٠ ) كيلومتر فأدرك أطرافها ولم يبلغ صميمها لتصر مدة إقامته ، والبرازيل  
كما يقول : « ليست دولة بل هي عالم لم تنته الي اليوم اكتشافات مجاهله ،

ويكاد عمر المرء كله ينكفي للاحاطة بأجوائه» . ويشتم القارىء في قوله ربح الدعاية رغم زعم المؤلف بأنه وفق الى دراسة هذا البلد ووقف على دخائله وعالج مشاكله بنزاهة وإخلاص وتنبيه له بأطيب الآمال . ولم يكن مؤلفنا أول من قن بالبرازيل وسكانها بل هذا هو شعور كل من زار تلك الجمهورية العظيمة وتعرف اليها ، فهو بحق بلد الحب الجمال والتبل وكرم الوفادة . ونحن السوريين أول من يشارك المؤلف عواطفه نحو البرازيل ولنا من جاليتنا أصدق الشهود لما يلقونه فيها من كرم المثوى والتسامح والمعاونة .



*Xénophon - de l'art équestre. édité par  
Edouard Delebecq.*

### الفروسية

تأليف كزينفون . نشره وترجمه من اليونانية الى الفرنسية الدكتور ادوار ليك وعلق عليه . طبع في باريس سنة ١٩٤٠ .

احتل الفرس في العالم القديم مكانة عظيمة ، وكانت منذ أقدم العصور موضع عناية الشعوب واهتمامهم ، وهو أكرم حيوان استصحبه الانسان وانتفع بخصائصه وعقد الخير في ناصيته . وكثر الكتّابون في صفاته وفوائده وتوسعوا في طرق رياضته وتحسين نوعه . وقد عثر في بوغازكوي على كتابة حثية كتبت حول عام ( ١٢٦٠ ) ق . م ذكر فيها كتابها القواعد التي يجب أن يعرفها سائس الخيل ومدرّبها لإتقان مهنته واعدادها لفنون الحرب في الكر والفر ومعالجتها في مرضها . وكانت عناية الحثيين بالخيل التي جلبوها من أواسط آسيا واعتمادهم عليها في هجماتهم الخاطفة في غزواتهم من أهم عوامل تغلبهم على شعوب الشرق الأوسط . وقد أدركت الشعوب المغلوبة خطر هذا الحيوان وفوائده في الحرب والسلم فتنافسوا

باعتنائه والعناية به . وقد عني اليونان بالقرّس وكرموا وأدخلوها أساطيرهم الدينية وأبدعوا بتشيل فرسانهم في فنونهم الجميلة .

ومؤلف هذه الرسالة هو من هواة الخيل في اليونان وفرسانهم ، عاش في القرن الرابع ق . م . وقد دون لولديه في هذه الرسالة خبرته الطويلة في تربية الخيل واتقاء جيادها ، فوصف لها محاسنها وعيوبها وما يلزمها من علف ومأوى وما تتطلبه سياستها من فطنة وحكمة ، وأسهب في تعداد أساليب تدريب هذا الحيوان وتطعيمه للأغراض التي اقتني من أجلها .

كتب المؤلف رسالته بأسلوب بسيط وتغلب السجاجة على أحكامه على كثير الأمور التي يرويها ، فهو شاهد بدلي بمشاهداته دون تحليل أو تنقيح . ومحترف ماهر تعوزه بلاغة البيان في مهته وحن التسيق في بحثه . ولم يكن مؤلفنا من مفكري اليونان ونوابغه المبدعين ممن وضعوا قواعد علمية معينة أو قرروا نظريات عامة . بل كان ممه تخريج فرسان وتدريبهم في فنون الفروسية ونوابغها وارشادهم الى محاسن الجياد وعيوبها وأساليب تطعيمها والعناية بها ، وقد حقق هذا الكتيب غايته وخلف لنا صورة صادقة عن نظر الأقدمين في الخيل ومبلغ اتقاعهم بها . وكان الفضل لترجم الكتاب ونشره في توضيح غوامض النص اليوناني وبيان فوائده .



## المدخل الى تاريخ الحضارة ( الجزء الأول )

تأليف الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية

يبحث الدكتور المؤلف في كتابه هذا في شروط الحضارة ومظاهرها وفي طلائع الحضارة ومصادرها ، وفي تفاعلات الحضارة وما آثرها في بلاد الشرق القديم وفي العالم اليوناني الروماني حتى ظهور النصرانية . وقد استعرض فيه قعة الحضارة والعوامل التي أدت الى ظهور حضارات مختلفة ، وتناول أسباب نموها وانتشارها ثم انمطاتها وقد جمع في هذا الكتاب على صغر حجمه عصارة ما كتبه في هذا البحث علماء أعلام في عشرات المجلدات . وقد بذل جهوداً محمودة حتى قدم الى مواطنه هذا الكتاب وهو الأول من نوعه باللغة العربية .

وكان الدكتور موفقاً بما كثر الألفاظ العربية التي اختارها أو وضعها للاصطلاحات الفنية الأجنبية ، وقد مهد بذلك السبيل لكن من يرغب باقتفاء أثره . وحبذا لو جمعها في مسرد ليسهل الرجوع اليها والافادة منها .

وقد توسع الأستاذ المؤلف في تعريب بعض أسماء الأماكن ، فقال في ص : ( ٥٩ ) تل غورا وتل حصار بدلاً من تبة غورا وتبة حصار مع ان الكتب الأجنبية تحرص على ذكر الأسماء كما اشتهرت بها فقالوا : تل الحريري وتل كوجك وتل العبيد الخ . وجاء في ص : ( ٥٩ ) الترميد التي مع أنه يقابلها لفظة اللبن ، وفي ص : ( ٧٣ ) اكيثوم وصوابها اكيثوم . وفي ص : ( ٨٣ ) منتصف الأول ق . م ولعله أراد منتصف القرن الأول ق . م . وفي ص : ( ٨٥ ) أساس سكان مصر والأفضل أن يقال أصل سكان مصر . وفي ص : ( ٨٦ ) الطوب الجفف يقابها اللبن . وفي ص : ( ١٤٧ ) وقلعتان صوابه وقاعتان . وفي ص : ( ١٦٥ ) الطين المشوي يقابله الآجر .

ويبشر هذا المدخل الذي أنحف به الدكتور اختراقة العربية بأن أبحاثه المتظرة

التي مهد لها سوف لا تقل عنه فائدة وتدقيقاً ينتفع بها الطالب والباحث .



### الديارات

تأليف أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابستي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .  
عني بتحقيقه ونشره الأستاذ كوركيس عواد . عدد صفحاته ( ٣٣٥ ) صفحة  
من قطع الكبير ، طبع في بغداد سنة ١٩٥١ .

أحسن الأستاذ المحقق في اختياره هذا السفر النفيس ، وأجاد في نشره  
والتعليق عليه . وكان يغلب على الظن ان هذا السفر كان نصيبه الضياع كالكثير  
من تراث السلف وما أثرهم . ولكن عناية الأقدار شاءت أن تنجو منه نسخة  
فريدة استقرت في مكتبة برلين العامة ، كتبت سنة ٦٣١ هـ . وعسى أن  
يساعد نشر هذا الكتاب على ظهور نسخ جديدة منه محفوظة في خزائن الكتب  
الخاصة تساعد على اتمام قصده وتصحيح عبث الناسخ وتقويم تصحيحه وتحريفه .  
ان لكتاب الديارات منزلة أكبرها الأقدمون واعتمدوه في كتبهم لما يحوي  
من أنباء البلدان والأحداث التاريخية وسير الرجال وما انطوى عليه من طرف  
أدبية وغرر شعرية أغفلها غيره ، وهو كما قال عنه الأستاذ حبيب زيات :  
« إنه دخر للمؤرخ وغنية لكل أديب وحقيق بالخدمة » . وقد نقل عنه كثير  
من المؤلفين فصولاً أودعوها مؤلفاتهم منهم : أبو صالح الأرميني ، وياقوت الحموي ،  
وابن شداد ، والقزويني ، وابن فضل الله العمري وغيرهم .

قد جاء في الحاشية (٥) من ص : ١٣٠ : فيق من مدن فلسطين القديمة  
وصوابه من مدن سورية وهي اليوم مراكز قضاء الزويرة القرية .  
وجاء في ص : ١٣٧ في فصل دير البخت بأنه بدمشق وعلى فرسخين منها ،  
وقد علق الأستاذ المحقق بما ذكره عنه الأستاذ (دوسو) في خططه بأنه في حوران  
شمالي قرية الصنمين . وأعتقد بأن الدير المذكور في الديارات هو غير القرية  
التي ذكرها الأستاذ (دوسو) وهي على نحو ثمانين فراسخ من دمشق . ان اختلاف  
البعد بين المكانين وتباين الأوصاف تبعاً للباس ينهما ، وصف الأول بأنه

في موضع نزه فيه جنائن وماء جار يابنا دير البخت الحورانية هي موضع موحش  
لا ماء فيه ولا جنائن ، ولذلك يجب البحث عن دير البخت في غوطة دمشق  
وما جاورها في حدود القريتين حيث الماء والحدائق .

وجاء في ص : ٢٤١ : بكلمة مقارنة بدل مطارنة وهي غلطة مطبعية لا تغيب  
عن فطنة القارئ .

وقد ضم الأستاذ المحقق الى هذا الكتاب ذيلاً قيماً بقلمه وفهارس مطولة  
دلت على غنير علم الزميل الكريم وسعة اطلاعه فجزاه الله على خدمة العلم خيراً  
وبارك بحبه وجهوده .

### تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد علي ، يقع الكتاب في مجلدين ويبلغ عدد صفحات  
الجزء الأول ( ٤١٧ ) صفحة والثاني ( ٤٣٠ ) صفحة ، وهو من مطبوعات المجمع  
العلمي العراقي وطبع الجزءان في بغداد في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وزينا بكثير  
من الرسوم والمصورات .

قدم الأستاذ المؤلف في هذين الجزئين القسم السامي من تاريخ العرب قبل  
الاسلام . وهذه الدراسة على ما أعيا هي أوسع ما كتب حتى الآن في هذا  
الموضوع في العربية أو في أي لغة أعجمية . جمع في هذا الكتاب صفة ما كتبه  
الأقدمون والمعاصرون عن أخبار العرب في الجاهلية وأضاف إليها ما وصل إليه  
علمه وثمرات أفكاره ونتيجة أبحاثه ، وكون من كل ذلك نواة لتاريخ العرب  
قبل الاسلام ، وجعل من كتابه هذا نقطة انطلاق لكل راغب بمواصلة البحث  
والتوسع فيه وكشف الكثير من غوامضه وخفاياه التي يعوزها التحقيق والتدقيق ،  
ولا يرجي للطامعين المزيد بعد أن استنفذ المؤلف معظم المصادر المعروفة  
الا اذا أطلق العلماء حرية التجول في بجاهل شبه جزيرة العرب للبحث عن آثارها  
وجمع الجديد من أخبارها ، ويقع العبء الأوفر من هذه المهمة على الأتاربين

الناشئين العرب ومن واجب الحكومات العربية ومعاهدها العلمية مساعدة هؤلاء العلماء على تحقيق هذه الخدمة العلمية والغاية القومية .

وقد بحث المؤلف في الجزء الأول من كتابه عن الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي ، ووصف جزيرة العرب ، وصلات العرب بالساميين ، وطبقات العرب وأنسابهم ، وتاريخ شبه جزيرة العرب ، وخص الجزء الثاني بتاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربية التي عاشت قبل الميلاد وقد استخلص أخبارها من كتابات المسند القديمة ومن مصادر أخرى .

واني لأرجو من المؤلف أن يسمح لي بإبداء بعض الملاحظات وإن لا أشاطره رأيه في حصر أثر العرب قديماً في بادية الشام لأن الاكتشافات الأثرية الجديدة والدراسات اللغوية والدينية أثبتت بأن توغل العرب في مختلف أجزاء الديار الشامية كان قديماً أعمق مما يظن اليوم . وقد فات المؤلف عند بحثه عن حدود بادية الشام في ص : ( ١ : ١٢٢ ) ذكر كتاب : ( Poidebard - La trace de Rome dans le désert de Syrie ) وهو أدق بحث في هذا الموضوع . وجاء في ( ١ : ١٢٥ ) ( قبائل عنيزة ) والمتعارف عليه هو قبائل عنزة . وفي ( ١ : ٢٠٣ ) الجيل وصوابه جيل . وفي ( ٢ : ٢٢٢ ) ( Azalla ) موقع في بادية تدمر بين أرك ودمشق وصوابه : ( Nazalla ) وهي على الأرجح قرية القريتين الخالية بين تدمر ودمشق . وفي ( ٢ : ٢٣٦ ) وجعل عليها ( Satrap ) وأصح أن يقال وجعل عليها ( مرزباناً ) وفي ( ٢ : ٢٦٦ ) « ارتاس » وصوابه « الحارث » وهو الاسم العربي الذي اشتهر به .

نشكر المؤلف على جهوده القيمة كما نشكر المجمع العلمي العراقي الذي أتاح له فرصة نشر ثمره أبحاثه القيّمة ونأمل أن يبر المؤلف بوعده وينشر تمة أبحاثه عن حضارة العرب وحالتهم الثقافية والاجتماعية قبل الاسلام ونحن بأمر الحاجة لمثل هذه الأبحاث الجديدة .

جعفر الحسني





## آراء وأبناء

فجع المجمع العلمي العربي - بعد أن تم طبع هذا المجلد من المجلد - برئيسه العلامة الكبير الأستاذ محمد كرد علي . اختاره الله يوم الخميس في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٢ والثاني من نيسان سنة ١٩٥٣ .

والمصاب بالأستاذ الرئيس إذا خص بمجنا العلمي العربي - وقد كان مؤسسه الأول ورئيسه الدائم ربع قرن كاملاً يتعهد برعايته ، ويرعاه بعنايته ، ويسهر على تقدمه وازدهاره . وينفق عليه من روحه ووقته وعلمه - فقد عم مصابه الشام ، وهو مؤرخه الثبت في واسع اطلاعه ، وصحيح حكايته ، وجري روايته ، مقرأً للعوادث والوقائع ، مستخلصاً للحقائق ، بفكر نقاد ، وقريحة صافية ، وأسلوب أدبي رفيع ، كان نسيج وحده .

هذا الى ما كانت له في العالمين العربي والاسلامي من الشهرة الواسعة والمكانة العالية لا كان يبعثه من كنوزهما . وينشره من حضارتهما . داعياً مخلصاً لنهضة صحيحة . بلسانه محاضراً ، وبقلمه كاتباً ومؤلفاً ، وفي مجالسه منبهاً ومحدثاً ، وفي صحفه داعية ومرشداً ، ما يقفه مرض ، ولا عاقته شيخوخة ، عن هذه الخدمة العلمية الصادقة النصح ، لقومه ولأمته .

رحمه الله عداد حسناته وخدماته .



## الدراسات الاجتماعية

أقام المجمع العلمي العربي في داره مساء السبت الواقع في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ الموافق ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٢ حفلة تكريم لممثلي الدول العربية والإسلامية في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت دورتها الأخيرة في دمشق فألقى العلامة الدكتور أحمد الحكيم أحد أعضاء المجمع الكلمة الآتية :

### سيراني . سارني !

أحبيكم بأحسن تحية . وأرحب بكم أجمل ترحيب ، بلسم هذا الصرح العلمي التاريخي ، الذي هو أول مجمع علمي عربي أنشئ في هذا الشرق الأوسط . فقد مضى على تأسيسه ثلاث وثلاثون سنة أدى فيها وما زال يؤدي رسالته في خدمة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة العربية العامة بصدق وأمانة . وإذا أرف إليكم تحيته فانه يحثي فيكم المبدأ السامي الذي اجتمعتم من أجله ، والعناية الإنسانية المتلى التي ترمي هذه الحلقة إليها ، والحكومات العربية التي عهدت إليكم بهذه الأمانة فأحسنتم أداءها كما ستحسن في العمل بوجوبانكم بعون الله .

ومن يواعث سرور هذا المجمع أن يكون ختام اجتماعات هذه الحلقة الدراسية الاجتماعية في هذه الدار المباركة التي يرقد على مقربة منها ، وقعه مطمئنة ، بانها ، المحقق الأول للمدالة الاجتماعية التي جاء بها صاحب الشريعة الإسلامية . فقد كان للملك العادل في ميدان الخدمات الاجتماعية التي تقصد إلى تحقيقها فخر سبق والحظ الأوفر : مستشفيات في كل بلد للمرضى مفتوحة الأبواب لكل من يؤمها ، وملاجئ للزمنى المتعدين والمعاقين بالأمراض العقلية ، والمجذمين تعد من حيث نظمها وإدارتها وغذاؤها وعدد الأطباء والمشارفين

والخدم فيها كأحسن المستشفيات والملاجئ في هذا العصر - ومكاتب الأيتام تجري عليها وعليهم وعلى معلميهم الجرايات - ومدارس ومساجد ومنازل للغريباء والفقراء لكل منها أوقاف معينة - كما أن هنالك أوقافاً لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ، وأوقاف تجهيز البنات الى أزواجهن ، ومن اللواتي لا قدرة لاهلن على تجهيزهن ( وهذا لم يلاحظ في أعمال هذه الحلقة ) الى غير ذلك من أعمال البر والاحسان غير المنون التي تعد لمشاعها من أجل الخدمات الاجتماعية وتخلد للملك العادل في تاريخ الانسانية والمدالة الاجتماعية أطيب الذكر ، لاسيما وهو القائل لأصحابه عندما تعرضوا لكثرة خروجه في هذه السبل : « إنما أنتم ترزقون وتنصرون بضعفائكم - وهؤلاء القوم لم نصيب في بيت المال - كيف يحل لي أن أعطيه غيرهم ؟ » -

وكأنني بروحه الزكية وقد انتعشت لذكرها الآن فجاءت ترفرف فوق هذا الجمع الكريم تبارك مساه وتذكر له سعيه ، وترجو لتوصياته التحقيق ، والله المستعان - والسلام عليكم - اهـ -

\* \* \*

فأجاب العلامة الأستاذ محمد العشماوي رئيس الوفد المصري على هذه الكلمة بما عرف به من علم وطلاقة وبلاغة وسحر يان فأثنى على الجمع العلمي العربي أقدم الجامعات العلمية العربية وعلى جهود ونتاجه العظيم خير ثناء - وامتدح دمشق بأنها الباقية الى كل ما فيه فخر للعروبة - ثم شكر للأستاذ رئيس الجمع العلمي كريم دعوته وعظيم الحفاوة التي استقبل المدعوون بها متمنياً لهذا الجمع الازدهار والتقدم -



## الألفاظ المكررة

تعرض للكاتب الفاظ تلازمه في كلامه على غير قصد ، وليست غلطاً بل غلط ذوق . وهل الكتابة الا كلام بذوق ؟ وما كانت المكررات يوماً تخلو في الذوق . والمكرر يمكن تناديه لاتساع اللغة وما بالكاتب حاجة الى استعمال لفظة واحدة في صفحة واحدة عشر مرات وأحياناً أكثر . وبما وقع لنا ووقع لغيرنا وكثر استعماله على هذا الوجه لفظ « البلاد » وفي الألفاظ التي تؤدي معناها غنية عن هذا التكرار ، مثل : « الديار » ، « الأرض » ، « الممالك » ، « المملكة » ، « الأقطار » ، « القطر » ، « البلد » ، « الأرجاء » ، « الأقاليم » ، « الأصقاع » ، « الأوطان » ، « الموطن » ، « الوطن » ، « القارة » ، « البر » الخ . يستعمل من كل أولئك ما يناسب المعنى المراد .

وتتصرف كلمة « البلاد » على كلمات كثير تردادها فابتذلت ومجتها النفوس وان كانت لا غبار عليها من حيث اللغة وهي كلمة : « فحسب » ، « اللهم » ، « أجل » ، « أي » . ووقع لأحدهم أن أتى بلفظ « أي » سبع مرات في مقطعين من كلامه . فقال : « أي شعب » ، « أية فلسفة » ، « أية أمة » ، « أية فلسفة » ( مرة ثانية ) ، « أي خلق » ، « أي مبدأ » ، « أية أمة » ( مرة ثانية ) . ووقع لأحد كتاب مصر أثناء كلامه على ديوان نشر حديثاً أن كرر لفظة فحسب نحو عشرين مرة في المقدمة . ومثله ما حدث لكاتب آخر أن كرر في حديث له في المذيع كلمة « اللهم » أكثر من عشر مرات .

واستعمال كلمة بعينها في قصد واحد ينمي على الكاتب عجزه وقلة بضاعته من الألفاظ وهي ميسورة له . وكثيراً ما يقع ذلك في كلام تأديبين فاذا لفت أنظارهم اليها يعتذرون عن تماديهم في ايرادها بانهم يقررون قضايا علمية ولا يهتمون لغير الاقصاد عن المعنى ولذلك كان لم أن يستعملوا من المفردات ما طاب لم ،

وجمال العبارة لا يقدح في جوهر الكلام . أما الحقيقة فعلى غير ما يصورون  
فللقوال رونق وجمال ومن جملة الابداع افراغ الكلام في صورة مقبولة .  
فان كنا نستعجب من مخاطبتنا أن يُعيد في كلامه ويكرر ويحشد بما هو مستغن  
عنه فنحن أحرى أن نشعر من التكرار في الكتابة وبخاصة فيما يفرض فيها  
الخلود أو التداول زمناً .

قد يعذر المضطرون الى الاسراع في كتب ما يكتبون كأرباب الجرائد  
ولكن ما عذر بعض المؤلفين وأرباب المجلات في تسطير ما يعاب وهم في سعة  
من الوقت ، وما اخل معظمهم اذا حدقوا النظر قليلاً فيما ترعى به أقلامهم  
الا عائدین على ما خطوا بالحذف والتبديل . واذا أرجعوا أبصارهم على ما كتبوا  
مرتين في يومين يسقطون على ما يرون من أنفسهم دافعاً لحذفه . وليس من شك  
في أن كل كاتب اذا تأمل قليلاً فيما يكتب يتأني له أن يحدق ألفاظاً وجمالاً  
يستفيض عنها بأجمل منها ويسلم كلامه من المهجة والقثالة . واذا قرأ ما فتح  
على قريحته يادی الرأي ، وصوره لساعته على الورق ، على رجل مرت على  
الكتابة يصحح له المعوج ، وينبهه الى الركيك والمكرر السمج ، يأتي بعد ذلك  
بالجيد من القول ويخرج أحسن ما عنده خصوصاً اذا كانت على فضل ذكاء  
ورغبة في الاتقان . والاتقان في كل شيء يتوقف على الاكثار من العناية  
والأناة . وقديماً كان الكتاب ينقد بعضهم بعضاً فتصفو كتاباتهم في العين والدوق  
وبقبلها جهابذة الكلام ولا يردلونها . وفي أيامنا عمت البلوى بالمكرر البارد  
والذخيل غير الوارد حتى كاد بعض من اعتادوا سماع كلام البلاء أن يعرضوا  
جملة واحدة عن النظر في المنشآت الحديثة ، يتقزون من تلاوتها وان كانت  
تحمل أفكاراً جيدة وعملاً طريفاً .

كان من عادة صديقي الشاعر حافظ ابراهيم رحمه الله اذا نظم قصيدة أن  
يردها على سامع اخوانه ليذكروا له رأيهم في ألفاظها ، وكنت أستكبرته

ذلك على تضلعه من اللغة واستغنائه ببيانه عن كل بيان ، فكان يقول لا بد من أخذ آراء العارفين وإن لم يكونوا شعراء فقد تكون لهم يد في اللغة ويبتدون الى مواقع استعمالها بما لا يبتدي اليه غيرهم . وباحبذا لو تأسى الكتاب بشاعر النيل يحذون حذوه يوم يخطون أسطراً تنشر وتؤثر .

لو كانت جرائدنا وناسروا كتبنا على شيء من النقي لاقتربت على كل جريدة وعلى كل مطبعة أن تعهد الى أستاذ تحرير في البيان يقوم العبارات الضعيفة ويمقلها مقللاً يخرجها عن حد الكلام الفث الثاني ، وبطول الزمن يدرك كل من يكتب ما يعاب على الكتاب فيتوقاه ويكتب الكلام المنقح المستملح .

•••••

### أدب طه حسين

من فيل تحصيل الحاصل الاشارة ببلأ صديقي العلامة الدكتور طه حسين في خدمة الآداب العربية ، وأثره المحسوس في ادخالها في طور جديد وبث أفكاره في جميع طبقات القراء . كان مجلياً في معظم ما خطته يمينه من بحث علمي وابداع أدبي وكان عمله عدل علم ظهر ظهوراً واسعاً في رئاسة الجامعة وفي وزارة المعارف . وما خلا مع هذا من حصاد وأعداء ولكنهم قلائل جداً اذا قيسوا بالمعجبين به والمستفيدين من تفننه ، فهو بلا مرأ حسنة من حسنات مصر في هذا العصر وفضله على الأفراد والجماعة لا ينكره عليه الا مكابر .

ينشر الدكتور هذه الأيام في جريدة «الاهرام» مقالات في الأدب يعرض فيها للكتب الحديثة ولا سيما للقصص والروايات وينفض في تقديمها بلطف ولا يتقل عن الدلالة الى ما فيها من مواضع احسان ، فهو كعلماء الافرنج في هذه الأيام يعلل تعليل حكيم عالم ، ويمحل تحليل نقاد منصف ، يعلم ولا يبرح ويتألف ولا ينفر . ولا يسع المرء معها كان معجياً بنفسه اذا قرأ ما كتبه فيه

ثابتة مصر الا أن يشكره على عنايته ويفيد من نصائحه الثينة ، ويشفع لهذا الأسلوب الجديد في النقد الصدق وقول الحق .  
ولا سراة في أن للآداب خطة سيضطر كل من يمسك القلم ليؤلف للناس أن يحاسب نفسه بعد الآن قبل أن يحاسب غيره ويعلمها قبل أن يدعي مقام المعلم .

كثير التافه في التأليف الجديدة حتى عافت النفوس الكريمة كل ما يطلق عليه اسم الأدب . ورأينا الجرأة على نشر الفث والخفيف الوزن نوازي غرام بعضهم اخراج للناس ما لا ينفعهم . يدادي الدكتور طه فوضى الأفلام بدرياق عمه وصحة حكمه وقد ستم القوم معانعات الخلات والجرائد للمؤلفين والناشرين وبحث الأذواق الكتابات التجارية الرخيصة .  
محمد كرد علي

• مودة •

### ( استدراك آخر )

كتب الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي تعليقا على ما ورد في جريدة الأخبار المصرية بعنوان ( بين الفصحى والعامية ) متصرا فيه لمجمع اللغة العربية المصري ولوزارة المعارف أيضا ، يحرص المجمع على انتقاء كلمات عربية أصيلة ، تحل محل الألفاظ الأجنبية الدخيلة ، على هذه اللغة الكريمة . وقد جاء في آخر كلام الأستاذ محمد زكي عيد القلندر : « ألا يدري البعض اليوم بالعودة الى النظم التي كانت رائدة في عصور الإسلام الأولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعونه كل شيء تتحرد والتقدم ؟ ! » .

يقول هذا في معرض التنظير بين اللغة والدين ، وإن كان منعا بعرض له النسخ والتغيير ، فالأولى بفردائها ، والثاني بأحكامه ومعاملاته ، ولو أخذ هذا القول على إطلاقه لما بقي لنا لغة ولا دين !! ولينه لم يستطرد ولم يتعرض



لهذا الموضوع الديني الذي أوجب علينا بيان الحق فيه ، وإن لم يكن من موضوع مجلتنا العلمية .

وقد علق الأستاذ الرئيس على الأول منها ، وأناي أعلق على الثاني بإيجاز فأقول : إن النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى - وهي العصور العربية الذهبية - هي روح ( الديمقراطية ) الحرة ، ومن مميزاتا على سائر الحكومات المدنية ، أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل : « لا ضرر ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبني كثيرًا من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال . ومن مميزاتا أيضًا الرجوع - عند تنازع أدلي الحل والعقد - إلى ما كان أصح دليلًا ، وأوضح سبيلًا ، وأدنى في حكمه إلى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس ( البرلمانية ) التي كثيرًا ما تحكم الأكثرية فيها بما تملي عليها المصلحة الخاصة والهوى ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الأقلية النصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوقة على أمرها .

ونحن نورد شاهدًا واحدًا على ما سماه الأستاذ ( التحرر والتقدم ) وهو أن علماء الحقوق والاجتماع في هذا العهد قسموا العقوبة إلى أدوار ثلاثة : انتقام وقصاص واصلاح ، والحق إلى شخصي وإلهي وعام ، وجعلوا الاسلام في هذين المطلبين ، وسطًا بين طرفين ، فقوبته قصاص ، أي لا تأديب واصلاح ، والحق فيه إلهي ، أي ما هو حق عام للأمم ، والصواب أن هذا التقسيم الثلاثي ، هو أمور اعتبارية ، لا حقائق ثابتة متغيرة ، فانه لا منافاة بين كون العقوبة حقًا شخصيًا وإلهيًا وعامًا ، وإنما يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ، فالحق شخصي من جهة قرابة صاحب الحق وذويه ، وإلهي من حيث إن الله تعالى قسم الحقوق بين العباد على قاعدة العدل والإحسان ، وشرع القصاص رحمةً بالعباد ، وذريعة لحسم مادة الفساد ، وحق عام من حيث وحدة الأمة وتضامنها ، وإن ما شرع في مصلحتها ، فهي المكلفة بتنفيذ الحكم بواسطة حكومتها .

والانتقام قد يراد به التأديب ، والقصاص تكون غايته الحياة الطيبة والإصلاح ؛ وما يقال في الأثم يقال في الأفراد فإن القتل والقطع والجلد ، يراد منها صلاح الفرد ، والمحافظة على المجموع ، فكم من قسمة أودت نعمة ؛ والعجب بمن ينكر القصاص العادل ، ولا يعظم الذنب ، إن الجريمة هي التي تنفي إلى القصاص ، وهو الذي يأخذ المجرم بذنبه ، فيكون فيه حياة الباقي ، وإذعان القرايين للحكم ، وإزالة الوغر والضيق ، وكف الأذى والمدوان ، « فمن عني له من أخيه شيء فاتباع بمنزلة وأداء إليه بإحسان » .

ثم قال الأستاذ محمد زكي : « ولو دعوا أن الإسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات لأدركوا أي دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة .. ولكنهم يفتقون التفكير ، وضالة الفهم ، يحنون على الإسلام أعظم جنابة » .

أقول : إن من الأحكام الناجمة الخالدة ما لا يغيره الزمان والمكان ، ولا يختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وهي الأصول الحكيم التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالتوحيد والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش ، والشرك والإفك « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » فهل تقبل هذه الأوامر والنواهي تبديلاً أو تعديلاً ؟ وقوله في العدل العام : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » أي لا يجرمنكم بغض قوم لكم أو بغضكم لهم على ألا تقيموا سنة العدل فيهم ؛ ثم أمرهم بالعدل الكامل الشامل للمسلمين وغيرهم على اختلاف طبقاتهم بقوله : « اعدلوا » وحذف الموصول يؤذن بالمعوم كما هو معلوم .

قال حكيم : « الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، فأما الهداية الدينية المنحضة فقد جاء بها تامة أصلاً وفرعاً ، وفرضاً وتقليداً ، وأما السياسة الاجتماعية المدنية ، فقد وضع الإسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للأمة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وتترقى بارتقاء العمران ، وفتون العرفان ، ومن قواعد فيها ان سلطة الأمة لها ، وأمرها شورى بينها ، وأن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية » .

إن الأمة العربية الآن متجهة اتجاهاً قوياً الى أن تعيش في ظلال القوة والوحدة والثروة والنظام ، وهل في الاسلام ما يعارض هذا الاتجاه ؟ لا ، بل الاسلام قد سبق أوروبا بمئات السنين اليه ، وجرى ملوكه العدول أيام حضارتهم عليه ، وقد امتازت حضارته بالعدل والفضيلة على سائر المدينيات التي تبيع الظلم والذائل .

محمد بهجة السطار

•••••

( استدراك )

وقع سهواً في الصفحة ( ٩٧ ) من مقال : « أقدم تأليف في الحديث النبوي » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :  
الآية : « ما كنت تخطه يمينك إذا لارتاب المبطون » وصوابها : « ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطون » .

—•••••—

## كيف تكتب (سورية)

تعددت الروايات عن كتابة (سورية) بالتاء المربوطة أو بالألف . وقد سئل  
المجمع العلمي العربي عن هذا الغرض فأجاب بقوله ان (سورية ورومية وأمناهما  
من أسماء الأقطار والمدن التي عرفها العرب تكتب بالتاء المربوطة . والسبب  
في ذلك يرجع الى أن مؤلفي العرب وكتابتهم كانوا يكتبونها كذلك . أما ما لم  
يكن للعرب به عهد من أسماء البلدان كقزويل و كندا مثلاً فيكتب بالألف ) .  
وقد قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية مثل هذا القرار أيضاً ونشر قراره في سجل  
محاضر جلساته المطبوع سنة ١٩٣٩ .

ولكن من أين لنا أن نعرف الأعلام الجغرافية وكيف كتبها العرب ؟  
ذلك سهل علينا ، ولا سيما على المتخصصين في فن تقويم البلدان ( الجغرافيا )  
والتاريخ : يرجع الى كتب التاريخ وتقويم البلدان وهي كثيرة في خزائننا : منها  
المطبوع ومنها المخطوط . ومؤلفو الجغرافيا العربية الى أواخر القرن الرابع  
كثيرون : منهم ابن خردادبه وابن رسته واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل  
والمقدسي والمسعودي وأبو الفدا . وقد حشّر علماء المشرقيات مصنفاتهم وعنوانها  
وبفهارسها . وقام بعد هؤلاء البكري والمروني وياقوت الحموي والبغدادى  
وأشهرهم كلهم الادريسي الذي ألف كتاب (تزمة المشتاق) لملك صقلية .  
وفي هذا الكتاب خريطة جغرافيا أو أطلس جغرافي وقد أطلق عليه اسم  
(صورة الأرض) . فمن تصفح كتب التاريخ وتقويم البلدان ومصورات الأرض  
التي ألقت في العربية ووقع بصره على أسماء المدن الأعجمية وجد أن العرب  
كتبوا أواخر أسمائها بالتاء المربوطة . فتكتب نحن هذه الأسماء كما كتبها  
المؤلفون العرب . وما لم نظفر به من هذه الأسماء كتبناه بالألف كما يلفظه  
أهل الأعاجم . أو قلدنا فيها السلف فنكتبه بالتاء المربوطة .



أما الوصول الى هذه المراجع فهي كثيرة في خزانة المجمع العلمي العربي وهو مفتوح الأبواب للكتاب والمؤلفين والمراجعين . ولو ألقينا النظر على اسبانيا (الأندلس) مثلاً لوجدنا أسماء مدنها تنتهي بالتاء المربوطة مثل (طليطلة مرقسطة غرناطة طرطوشة جزائر ميورقة منورقة الخ ٠٠٠٠ ) وإذا نظرنا الى صورة اوربا وجدنا قرانسة رومة جنوة الخ ٠٠٠ وهكذا يمكن لنا أن تبين بسهولة ما يكتب بالتاء . وما لا نجد ف نحن أحرار في كتابه .

فوجب والحالة هذه أن نكتب (سورية) كي كتبها العرب بالتاء المربوطة . فقد وردت في تاريخ الامام الطبري ، عقد المؤلف فيه فصلاً خاصاً في الجزء (٤) ص (١٥٥) بعنوان ( ذكر ارحال مرقل الى القسطنطينية ) وذكرت كلمة سورية فيه مراراً . ومنها ما قاله مرقل في وداعها ( عليك السلام يا سورية ) وتكررت هذه الجملة بسبب تكرار الروايات . ولم تختلف كتابتها في كل مرة كتبت فيها : هكذا (سورية) بالتاء المربوطة . ومثل ذلك في معجم البلدان لياقوت الحموي . فلا اشكال بعد هذا !

المعربي

## كتاب تهديد العلم

( لآبي بكر الخطيب البغدادي )

ابو بكر الخطيب البغدادي من أكابر المؤرخين . ولتاريخه مكانة في الأندبة العلمية ، وظهرت عظمته فصار على نهجه جماعة من الأعظم في تدوين أخبار المدن وآثارها وما أنجيت من رجال في الثقافة نسجوا على منواله في ( تاريخ حلب ) ، و ( تاريخ دمشق ) ، و ( تاريخ مصر الكبير ) للمرفق البغدادي ، وتواريخ مدن عديدة . وأثر في ذيل على تاريخه مثل السمعاني وابن التيجار والديلمي وابن رافع والبنداري ، والدعي ، والتقي الفامي . هذا ولم نعمل على احصاء كامل في علماء بغداد وثقافتها الثقافية التاريخية .

وتنهنا ناحية أخرى ( الثقافة التاريخية في الحديث ) . وأعتقد أنها لا تقل شأنًا عن سابقتها وربما كانت أصلاً لتلك أو ركناً من أركانها . وهي ما نعتبر عنه بـ ( مصطلح الحديث ) . منها اقتبس المؤرخون أصول التاريخ . وهي التي ألهمته أصول تاريخه . ومن ثم أوضح عن ( رجال الحديث في بغداد ) وغيرهم تناول صحة الخبر ومطالب أخرى تتعلق بها . فهي أصول الحديث وأصول التاريخ معاً . ومؤلفاته في موضوعها كثيرة . ومنها ( كتاب تقييد العلم ) .

طلع علينا الأستاذ العش بهذا الكتاب ، أوضح ما فيه تطبيقاته ، توصل منها إلى أن العلماء التالين لم يزيدوا على ما قال . وإن أظهاره بهذه الحالة خدمة عظيمة لا تقدر .

وأقول : إن التأثير بكتابه هذا وأمثاله من كتبه الأخرى في فنون الحديث لا تقل ، أو لا تختلف عن درجة التأثير بتاريخه ( تاريخ بغداد ) . حصل ذلك في مجموع مؤلفاته في ( علم الحديث ) . وهي كثيرة ومهمة . ومنها ما طبع ، فلم يزل يحدث من التأثير بها ، بل لم تر مؤرخاً مكيناً إلا تأثر بها من ناحية تدقيق الخبر والوثوق من صحته وطريق الأخذ به .

والخطيب لا ينكر أنه تأثر بمن قبله من المحدثين إلا أن العلماء شهدوا بأنه ناق من تقدمه ، وصار التالون عيلاً عليه ، ولعل النص التالي يؤيد وضعه التاريخي في ( فنون الحديث ) ، ويتميز به على غيره . قال الأستاذ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر السقلافي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه ( نزعة النظر في توضيح نخبة الفكر ) مانعه :

« إن التصنيف في اصطلاح أهل الحديث قد كثرت للأئمة في القديم والحديث . فمن أول من صنف في ذلك القاضي أبو محمد الرامهرمزي كتابه ( المحدث الفاضل ) لكنه لم يهذب ولم يرتب ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب . وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجاً

وأبقى أشياء للمتعقب . ثم جاء بعدم الخطيب أبو بكر البغدادي ، فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه ( الكفاية ) ، وفي آدابها كتاباً سماه ( الجامع لآداب الشيخ والسامع ) . وقلَّ فنٌّ من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه ( كتاباً مفرداً ) ، فكان كما قال الحافظ أبو بكر ابن نقطة : كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه .

ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب فأخذ من هذا العلم بنصيب ، فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً سماه ( الاملاص ) ، وأبو حفص المياجي جزءاً سماه ( ما لا يسع المحدث جهله ) . وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت وبسطت لتوفر عليها ، واختصرت ليتيسر فهمها إلى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشيرازي نزيل دمشق فجمع لما ولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية كتابه المشهور ، فهدب فنونه وأملأه شيئاً بعد شيء ، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب . واعتنى ( بتصانيف الخطيب ) المتفرقة فجمع ثلثات مقاصدها . وضم إليها من غيرها فنجب فوائده فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره . فلهذا عكف الناس عليه ، وساروا بسيره ، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ومستدرك عليه ومختصر ، ومعارض له ومختصر . . . . . ثم كتب الأستاذ ابن حجر نقه كتابه ( نخبه الفكر ) وشرحها باسم ( زهرة النظر ) . ومن مخطوطاتها قلنا النص المذكور . ويطول تعداد ما شغل به العلماء من الشروح والتعليق . ويهمننا يان التأثير والتأثر بكتب الخطيب في ( فنون الحديث ) كما أثر في ( فنون التاريخ ) ، فجلت عظمتها فيها وفي تاريخه . ومنها تكونت ثقافة العصور التالية بما ألهم من آراء سديدة وجديدة . وصح ما قيل من أن المحدثين عيال على كتب الخطيب .

وقد أجاد الأستاذ العش . بما علقه على كتاب ( تقييد العلم ) ، فلم يشأ أن ينقطع عنه . وله الفضل فيما أسدى من هذه الخدمة .

## تصحيح سبعة أسطر

حينما طالعت ( تاريخ داريا لابن الهنا ) وجدت فيه من التحريف والتصحيح غرائب وبخاصة في ص ( ١٢٦ ) فقد ورد فيها من القموض والالهام ما جعلني أرجع الى تاريخ ابن عساكر فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم لثلاثة أشخاص كل واحد منهم غير الآخر ، مخرج الأستاذ سعيد الأفغاني محقق هذا الكتاب بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد .  
وان ما في هذه الصفحة من الخطأ الفادح دفعني الى نشر تصحيحها حتى لا يقع فيه من ينقل عن هذا الكتاب أو يفيد منه .

وهذه صورة ما ورد في ( ص ١٢٦ ) من تاريخ داريا بتحقيق الأستاذ الأفغاني :

### خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن أبي يعقوب الأذري : حدثنا عنه أبو محمد عبد العزيز بن أحمد ابن أحمد بن عمرو بن معاذ أيد [ كذا ؟ ] عبد الله بن أحمد بن عمرو بن معاذ العنسي .

أبو الحسين يروي عن أبي اليمون بن راشد وأبي الحسن بن حذلم ، وأبي القاسم ابن أبي العقب ، وأبي يعقوب الأذري وغيرهم . توفي بداريا<sup>(١)</sup> في شوال سنة أربع عشرة وأربعمائة .

وعلق المحقق على قوله « بداريا<sup>(١)</sup> » ما يلي : ( ١ ) في ترجمة ابن عساكر له أنه كان قاضي داريا - ٢٤٧/٣ أ - وفي ص ٢٤٧/٣ ب منه ان وفاته كانت سنة ٤٠٩ هـ . هذا ما جاء في ص ( ١٢٦ ) ويظهر الاضطراب باديا بين متن الكتاب



من أن محمد بن خلف توفي سنة ( اربع عشرة وأربعمائة ) وبين ما علق عليه الخقق  
من أن وفاته سنة ( ٤٠٩ ) .  
أما صواب ما تقدم فكما يلي :

### خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن أبي يعقوب الأذري . حدثنا عنه أبو محمد عبد العزيز بن أحمد  
[ الكتاني ] <sup>(١)</sup>

### أحمد بن عمرو بن معاذ العنسي

[ روى عن ] أبيه . [ وروى عنه ابنه ] عبد الله بن أحمد <sup>(٢)</sup>

### عبد الله بن أحمد بن عمرو بن معاذ العنسي

أبو الحسين . يروي عن أبي النجيم بن راشد ، وأبي الحسن بن حذلم ،  
وأبي القاسم بن أبي العقب ، وأبي يعقوب الأذري وغيرهم ، توفي بداريا في شوال  
سنة اربع عشرة وأربعمائة <sup>(٣)</sup> .

هذا ما أردنا تصحيحه الآن ، ولعلنا نعود الى تصحيح ما ورد في هذا الكتاب  
في فرصة أخرى .

### محمد أحمد وهمان

- 
- (١) هذه ترجمة مستقلة وقد انتهت راجع تاريخ ابن عساكر اختصار بدران ( ١٧١/٥ )  
ترجمة مستقلة مع تصحيح فيها .  
(٢) وهذه ترجمة مستقلة أيضاً راجع للمصدر المذكور ( ٤١٨/١ ) ترجمة مستقلة مع  
تصحيح فيها .  
(٣) ترجمة تامة مستقلة . للمصدر السابق ( ٢٨٥/٧ ) تحقيق الأستاذ أحمد عبيد .

## المدارس في الجمهورية السورية.

بلغ مجموع المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية في عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ما يأتي:

١ - المدارس الابتدائية : المجموع ٢١٨٤ مدرسة منها ١٥٢٤ مدرسة للذكور و ٣١٣ مدرسة للإناث و ١٣ مدرسة مختلطة ( رسمية ) ٤ و ٩٨ مدرسة للذكور و ٤٦ مدرسة للإناث و ١٥٢ مدرسة مختلطة ( أهلية ) و ١٣ مدرسة للذكور و ١٠ مدارس للإناث و ١٥ مدرسة مختلطة ( أجنبية ) .

٢ - المدارس المتوسطة والاعدادية : المجموع ١٦٤ مدرسة - منها ٣٥ مدرسة للذكور و ٢٠ مدرسة للإناث ومدرستان مختلطتان ( رسميتان ) و ٦٥٠ مدرسة للذكور و ١٩ مدرسة للإناث و ٥ مدارس مختلطة ( أهلية ) و ٧ مدارس للذكور و ٩ مدارس للإناث ومدرستان ( اجنيتان ) .

٣ - المدارس المهنية تدخل فيها المدارس الزراعية : المجموع ١٣ منها ١٠ مدارس للذكور ومدرسة واحدة للإناث ( رسمية ) ومدرسة واحدة للذكور ومدرسة واحدة للإناث ( أهلية ) .

٤ - مجموع مدارس دار المعلمين عشر : منها ٦ للذكور و ٤ للإناث ( رسمية ) .

وقد بلغ مجموع موازنة وزارة المعارف لعام ١٩٥١ - ١٩٥٢ حوالي ٤٩ مليون و ٧٦٩ ليرة سورية وبذلك تكون النسبة المئوية لهذه الموازنة بالنسبة لمجموع موازنة الدولة ١٨ و ٧٨ .

## فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

صفحة	
١٦١	محمد عبده . . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . . . .
١٨١	بعض أسرار اللغة العربية . . . . . » عبد القادر المغربي . . . . .
١٨٧	الحزائن العامة في استانبول وأشهر مخطوطاتها (١) . . . . . للدكتور سامي الدهان . . . . .
٢١٦	من كتاب الأعياء والنظائر للخالدين . . . . . » محمد يوسف . . . . .
٢٢٨	سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (٤) . . . . . للأستاذ طه الهاشمي . . . . .
٢٤٢	تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٥) . . . . . » نعمي الحمصي . . . . .
٢٥٧	تاريخ علم اللك في العراق (٢) . . . . . » عباس المزاري . . . . .
٢٧٠	أقدم تأليف في الحديث النبوي (٢) . . . . . للدكتور محمد حميد الله . . . . .

### التعريف والتقد

٢٨٤-٢٨٢	الغنة العربية - طبقات فحول الشعراء . . . . . للأستاذ شفيق جبري . . . . .
٢٨٦	تصحيح خصة مطبوع . . . . .
٢٨٧-٢٨١	تهذيب التصحيح - رحلة ربيع في العراق . . . . . » عبد القادر المغربي . . . . .
٢٩٧-٢٩٤	المدخل الفقهي العام - الثقافة العربية -
٣٠١-٢٩٩	الانتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث -
٣٠٢-٣٠٤	المداد والخلق اللبنانية - خطرات -
٣٠٤	ديوان النسط - كتب صغيرة
٣٠٧-٣٠٦	بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن -
٣٠٨-٣٠٨	فلسطين وضمها الحفرا في ولعورهما -
٣١١-٣١٠	كتاب بندان فلسطين (بالفرنسية) - حصون
٣١٤-٣١٢	دفاعية رومانيا في ترفقة (بالفرنسية) -
٣١٦-٣١٥	البرازيل أرض المستقبل (بالفرنسية) -
	البرازيل بلد الحب والجمال (بالفرنسية) -
	الفرسية (بالفرنسية) - المدخل الى تاريخ
	الحضارة (الجزء الأول) - الديارات -
	تاريخ العرب قبل الاسلام . . . . .

### آراء وأباء

٣١٩	وفاة رئيس المجمع انطلي العربي الأستاذ الجليل محمد كرد علي . . . . .
٣٢٠	الدراسات الاجتماعية . . . . . للدكتور اسعد الحكيم . . . . .
٣٢٢ ٣٢٤	الألفاظ المكررة - أدب طه حسين . . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . . . .
٣٢٥	استدراك آخر . . . . . » محمد سبعة السطار . . . . .
٣٢٩	كيف تكتب (سورية) . . . . . » عبد القادر المغربي . . . . .
٣٣٠	كتاب عقيد المر . . . . . » عباس المزاري . . . . .
٣٣٣	تصحيح سبعة أسطر . . . . . » محمد أحمد دهمان . . . . .
٣٣٥	المدارس في الجمهورية السورية . . . . .

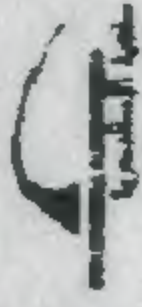




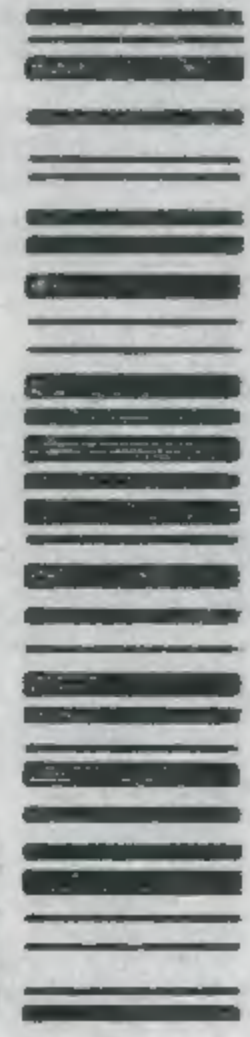








Bibliotheca Alexandrina



0652751